

زغل الدعوة والدعاة



كتبه العبد الفقير إلى مولاه الغني القدير
أبو عمار محمد بن عبدالله باهوسى
القائم على دار الحديث ومركز السلام العلمي
للعلوم الشرعية [اليمن - الحديدة]

تقديم

فضيلة الشيخ:
عثمان بن عبدالله السالمي
حفظه الله تعالى

فضيلة الشيخ:
عبد العزيز بن يحيى البرعي
حفظه الله تعالى

طبع على نفقة أهل الخير
نسأل الله تعالى لنا ولهم العفو والعافية وال توفيق

سلسلة طباعة الكتب السلفية ١٢٥

زغل الدعوة والدعاة

كتبه العبد الفقير إلى مولاه الغني القدير
أبو عمارة محمد بن عبد الله باهوسى

القائم على دار الحديث ومركز السلام العلمي
للعلوم الشرعية [اليمن - الحديثة]

تقديم

فضيلة الشيخ:
عثمان بن عبدالله السالمي
حفظه الله تعالى

فضيلة الشيخ:
عبد العزيز بن يحيى البرعي
حفظه الله تعالى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقرير فضيلة الشيخ عبد العزيز بن يحيى البرعي حفظه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم على آله وسلم.
أما بعد.

فقد اطلعت على الكتاب الذي أله الشیخ المبارك محمد بن عبد الله باموسی الذي أسماه (زغل الدعوة والدعاة) ذكر فيه مسائل كثيرة ومهمة مما قد يقع فيه الداعي إلى الله، فشكراً له على هذا الاستحضار، وقوة التصور لمشاكل الدعوة، ونحن عشر طلبة العلم غير معصومين، فكل له نصيب ذو السهم والسهمنين والثلاثة وهكذا، ولهذا فقد طلب مني الشیخ أبو عمار محمد بن عبد الله باموسی أن أقرأ الكتاب قراءة إفاده فقرأته قراءة استفادة، وفي أثناء القراءة كنت أنتظر متى ألقى على نفسي القبض وأقول: ها أنا ذا قد وقعت في الزغل. فإن قلت ماذا وجدت؟ أقول: أمروها كما جاءت، نسأل الله أن يستر ما لا تعلمون، وأن يغفر لنا، وأن يهدينا، ثم أقول: لعل بعض الناس يقول: إن المؤلف عن فلان أو عرض بفلان. فأقول: إن الشیخ لم يسم أحداً، وإنما هي نصيحة، فمن كان فيه شيء من الزغل أصلح نفسه، ومن ليس فيه شيء فهو تحذير له أن لا يقع، فجزاه الله خيراً على ما كتب، وخلاصة القول فإن الكتاب (زغل الدعوة والدعاة) يعتبر ترميمًا للبيت السلفي عبر القرون الآتية، فنحمد الله الذي أوجد في أهل السنة من يقوم بمثل هذه الأعمال المباركة، ولقد أحسن من قال:

يا أمة الإسلام لست عقيمة بل أنت قادرة على الإنجاب

كتبه / عبد العزيز بن يحيى البرعي

في مكة شرفها الله

بتاريخ ٢٣ / ٥ / ١٤٤١ هـ

تقرير فضيلة الشيخ عثمان بن عبد الله السالمي حفظه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وألهم آله وسلم.
أما بعد.

لقد طلب مني الشيخ الفاضل / محمد بن عبد الله باموسى - عافاه الله -
أن أطلع على كتابه الموسوم بـ (زغل الدعوة والدعاة)، فلقد قرأته كله
فوجدته كتاباً نافعاً في بابه، وقد رتبه ترتيباً حسناً، وبذل فيه جهداً مشكوراً
عليه، ففيه توجيهات للدعاة تشد لها الرحال، فالذى يدعو إلى الله تعالى
ويريد من وراء ذلك وجه الله فهو يتوجه بما وجهه الأئمة الناصحون
المجربون، والذين قد عاصروا علماء ربانيين، فأسأل الله أن يوفق شبابنا
ودعاة السنة إلى ما فيه نصر الإسلام والسنة، وأن يدفع عن الإسلام وأهله
كل سوء، وأسأل الله سبحانه أن ينفع بهذا الكتاب طلاب العلم، ويجزل
المثوبة لكتابه وقارئه، آمين، وصلى الله على نبينا محمد وآلها وسلم.

كتبه / أبو عبد الله عثمان بن عبد الله السالمي

حرر بتاريخ ١٥ جماد الأول سنة ١٤٤١ هـ

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، وننحوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أع مالنا، من يهدى الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آتُكُمُ اللَّهُ حَقَّ تَقْاِيهِ وَلَا مُؤْمِنٌ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ آتُكُمُ الَّذِي خَلَقْتُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُ عَنْهُ وَالْأَرْحَامُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَفِيقًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آتُكُمُ اللَّهُ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ٧٠﴾ يُصْلِحَ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١-٧٠].

أما بعد:

فإن الدعوة إلى الله وظيفة الأنبياء والمرسلين، والدعاة إلى الله هم ورثة الأنبياء والمرسلين، ولا يرث الميت إلا أقرب الناس إليه، قال تعالى عن زكريا عليه الصلاة والسلام: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيَّا ٥٥﴾ يرثني ويرث منْ أَلِيَّ عَقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيَّا ٦﴾ [مريم: ٦-٥].

وقال: «إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَرُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍ وَافِرٍ»^(١).

ويكفي الدعوة وأهلها فضلاً وفخرًا قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحَسَّ مُقَوْلًا مِمَّنْ دَعَاهُ إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَنْلِحًا وَقَالَ إِنَّمَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]، فلا أحد على

(١) صحيح رواه أحمد (٢١٧١٥)، و«أبو داود» (٣٦٤١)، و«الترمذى» (٢٦٨٢) عن أبي الدرداء رض، وصححه الألباني رحمه الله في « الصحيح الجامع » (٦٢٩٧).

الإطلاق أفضل ولا أحسن من الدعاء إلى الله الصادقين المخلصين، فهم أحباب الله وأولياؤه كما ثبت عن الحسن البصري رَحْمَةُ اللَّهِ (١).

وهم صفة الأمة، وحصنها الحصين، ودواء أدوائها، وباسم جراحاتها، وهم صفحة المجد الثابتة الناصعة في زمن التحولات والتغيرات والتنازلات والانتكاسات والانحرافات.

ودعاء التوحيد والسنة هم خيار الأمة، وفرسان الميادين والمنابر، والثابتون يوم الزحف في ساحة الدعوة والحق، وهم من يحمل همّ الأمة بِحَقٍّ، ويسعون في الليل والنهار لإعادة مجدها وعزها وشرفها. إن دعاء التوحيد والسنة هم أهل الوعي الصافي النقي الطاهر في عصر تلوثت فيه الأفكار والمفاهيم والعقائد والمناهج.

إن دعاء التوحيد والسنة هم أهل الأصالة والمنعن الصافي العتيق لعلوم الشريعة، بعيدين عن البغاء الفكري الخبيث الذي تلوثت به بعض الدعوات فأخذوا علومهم من الشرق والغرب.

إن دعاء التوحيد والسنة هم حراس العقيدة والشريعة، وحماة السنة والمنهج، وداعية العلم الشرعي الصحيح، وهم بحق العين الساحرة لحماية الأمة من الزيف والضلال.

(١) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/١٨٧) ط. الرشد، وابن المبارك في «الزهد» (٤٦١)، وابن جرير الطبراني في «تفسيره» (٢١/٤٦٩) من طريق عمر عن الحسن، وانظر كذلك «تفسير ابن كثير» (٦/٥٢٩) تحقيق: حكمت بن بشير بن ياسين، وقد صحح الحافظ ابن كثير رَحْمَةُ اللَّهِ روایة عمر عن الحسن، فقد أورد أثرين عن الحسن أحدهما من روایة عمر عنه تحت قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا آتَيْتَهُمَا صَلَحَّا جَعَلَاهُمْ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَيْتَهُمَا فَتَعَلَّمَ اللَّهُ عَمَّا يُشَرِّكُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٠]، ثم قال: وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن، وقال الذهبي رَحْمَةُ اللَّهِ في «السیر» (٥/٧): «عمر شهد جنازة الحسن البصري، وطلب العلم وهو حديث».

إن الدعاء إلى الله فضائلهم كثيرة، وكمالاتهم^(١) غزيرة، ومناقبهم جليلة، ومازدهم نبيلة، ولو أفيت ما بقي لي من عمر في ذكر محاسنهم لكت مقصراً، ويكتفي من القلادة ما أحاط بالعنق.

وقد قدمت بهذه المقدمة حتى لا يظن غافل أو متغافل وأنا أذكر زغل بعض الدعاة أنهم هم أهل المعايب والمثالب، حاشا الله، وكما يقال: كفى المرأة نبلأً أن تُعدَّ معايِّبةً، فهم بشر كالبشر يخطئون ويصيرون.

منْ ذَا الْذِي مَا سَاءَ قَطٌّ وَمِنْ لِهُ الْحُسْنَى فَقَطٌ

وحتى لا يشوب هذه الدعوة وأهلها شائبة؛ لأنهم ليسوا بمعصومين، أحببت أن أذكر نبذة مختصرة معتصرة في زغل^(٢) الدعوة والدعاة، لم أقصد

(١) عن أبي موسى رض قال: قال رسول الله صل: «كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكُمِلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا أَسِيَّةٌ امْرَأَةٌ فِرْعَوْنَ، وَمَرِيمٌ بِنْتُ عُمَرَانَ، وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلٍ ثَرِيدٍ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ» متفق عليه، «البخاري» (٣٤١١)، «مسلم» (٢٤٣١). قال النووي رحمه الله: «وَالْمَرَادُ هُنَا: التَّنَاهِي فِي جَمِيعِ الْفَضَائِلِ وَخَصَالِ الْبَرِّ وَالتَّقْوَى» شرح صحيح مسلم (١٥/١٩٨).

وقال الصناعي رحمه الله: «(كَمَلَ من الرجال كثير) في الدين، إذ هو الكمال الحقيقى، ويقال: كمال المرء في سنة العلم والحق والعدل والصواب والصدق والأدب، والكمال في هذه الخلال موجود في كثير من الرجال بفضل العقول وتفاوتها» «التنوير شرح الجامع الصغير» (٨/٢٣٩).

وقال القرطبي رحمه الله: «وَلَا شَكَ أَنْ أَكْمَلَ نَوْعَ الْإِنْسَانِ: الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ تَلَيَّهُمُ الْأُولَيَاءُ، وَيُعْنِي بِهِمْ: الصَّدِيقِيْنَ، وَالشَّهِداءُ، وَالصَّالِحِيْنَ» المفہوم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٢٠/٧٢).

(٢) الزَّغْلُ: هو الغش والأخلاق، يقولون: زغل السائق الذهب أي: غشه، والعملة الزغل هي المغشوشة، والمعنى: أنها مزخرفة مغشوشة. انظر: «المعجم الوسيط» (١/٣٩٥)، «العامي الفصيح من إصدارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة» (ص: ٨٢)، «محيط المحيط» ص (٣٧٣). وهناك كتاب لطيف اسمه «زغل العلم» لأبي عبد الله محمد بن عثمان الذهبي الإمام الشهير والمحدث التحرير صاحب التصانيف الكثيرة والعلوم الوفيرة.

ذكر فيه ما يعاب على أهل الفنون وما يتقد على أصحاب المذاهب، وتبنيه رحمه الله على ما ينبغي لهم أن يترفعوا عنه من الأخطاء والزلات العلمية والعملية.

بها داعية دون داعية، أو بلدًا دون بلد، وإنما قصدت بها معالجة الأخطاء الشائعة، والأخطاء الذائعة الطارئة التي تصدر من بعض الدعاة وهم قليل والأخطاء قليلة والله الحمد، أسأل الله لنا ولهم الهدایة، وهذا الزغل أو بعضه إذا دخل في أي دعوة عصف بها وجعلها ركاماً ﴿كَانَ لَمْ تَفْنِ بِالْأَمْسِ﴾ إذا لم يتم إصلاحه وتداركه.

والله من وراء القصد، وهو حسينا ونعم الوكيل، ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا إِلَصْحَاحًا مَا أَسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوْكِيدُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

كتبه العبد الفقير إلى مولاه الغني القدير

أبو عماد محمد بن عبد الله (باموسى)

القائم على دار الحديث ومركز السلام العلمي للعلوم الشرعية
اليمن - الحديدة

غرة شهر صفر ١٤٤٣ هـ

قال محقق كتاب «زغل العلم» للذهبي: «وقد تناول في هذه الرسالة اللطيفة العلوم المعروفة، وبيان رأيه فيها وأحوال المهتمين بها في زمانه، كعلم القراءات والتجويد، وعلم الحديث، وتكلم عن فقهاء المذاهب الأربع في عصره، وعن النحو واللغة، إلى آخر ما ذكر من تلك العلوم، وأن حالهم تلك مخالفة لسلوك الرعيل الأول من الصحابة والتابعين والأئمة الأوائل رحمهم الله، وشدد النكير على المقلدة والجهلة الجامدين على التقليد الأعمى، بلا برهان ولا دليل من كتاب وسنة، حتى أصبحوا حجر عثرة أمام أهل العلم وطلابه، وذكر كذلك الذين اتخذوا العلم وسيلة وغرضًا لتحصيل ملذات الدنيا وحطامها الفاني، علماء السوء الذين قصدتهم من العلم التنعم بالدنيا والتوصل إلى الجاه والمنزلة عند أهلها...» اهـ.

تمهيد

لا يخفى على طلبة العلم القاعدة الأصولية: «**الحكم على الشيء فرع عن تصوره**».

لذلك لو حصل منا تصور صحيح لأسباب الخلاف الذي هو بمثابة الداء في الساحة الدعوية لتوصلنا بإذن الله تعالى للجواب الكافي لمن سأله عن الدواء الشافي؛ لقوله ﷺ: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ دَاءً، إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ دَوَاءً، عَلِمَةٌ مَّنْ عَلِمَهُ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ»^(١).

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله^(٢): «ومن القواعد المعروفة المقررة عند أهل العلم: الحكم على الشيء فرع عن تصوره؛ فلا تحكم على شيء إلا بعد أن تتصوره تصوراً تاماً؛ حتى يكون الحكم مطابقاً للواقع، وإلا حصل خلل كبير جداً» اهـ.

وقد حصل عند الإمام الشاطبي والإمام ابن عثيمين رحمة الله عليهما تصور لأسباب الخلاف، وحصروه في ثلاثة أمور، وهي^(٣):

- ضعف الدين.
- ضعف العلم.

(١) صحيح رواه «أحمد» (٣٩٢٢)، و«الحاكم» (٧٤٢٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٩٥٦٠) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في «السلسلة الصحيحة» (٤٥١)، و«صحيح الجامع» (١٨٠٩).

(٢) «شرح الأصول من علم الأصول» (ص: ٦٠٤).

(٣) أشار إلى أسباب الخلاف الثلاثة الإمام الشاطبي رحمه الله في كتاب «الاعتصام» (٦٨٨-٦٧٩/٢) حيث قال: «كل خلاف له أسباب ثلاثة، قد تجتمع، وقد تفترق». وابن عثيمين رحمه الله في «شرح صحيح البخاري» (١٢٦/١)، و«شرح الأربعين النووية» (ص: ١١٠-١١٠)، وغير ذلك من شروحه.

٣- ضعف العقل.

قلت: وهذه الأمور الثلاثة هي أساس كل خلاف موجود في الساحة الدعوية وغيرها، وقد قمت ببيان ذلك وتوضيحه في ثلاثة فصول:
الفصل الأول: ضعف الدين ورقتّه عند الداعية يسبب زاغلاً كثيراً في الدعوة.

الفصل الثاني: ضعف العلم عند الداعية يسبب زاغلاً كثيراً في الدعوة.

الفصل الثالث: ضعف العقل عند الداعية يسبب زاغلاً كثيراً في الدعوة.

هذا اللف والإجمال وإليك النشر والتفصيل^(١):

(١) اللف والنشر عند أهل العلم يقرب من السبر والتقييم عند أهل الأصول، فإذا ذكرنا أكثر من شيء على سبيل الإجمال، ثم فصلنا هذه الأشياء على نفس الترتيب صار اللف والنشر مرتبًا، وإن تحدثنا عنها مع الإخلال بالترتيب صار اللف والنشر غير مرتب، ويسميه أهل العلم المشوش، وجاء القرآن بهذا وهذا، يعني: جاء القرآن بالمرتب وغير المرتب، يقول الله جل وعلا: ﴿يَوْمَ تَبَيَّضُ وُجُوهٌ وَسَوْدٌ وَجُوَودٌ﴾ هذا إجمال، التفصيل: ﴿فَامَّا الَّذِينَ اسْوَدَتْ وُجُوهُهُمْ اكْفَرُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ إلى آخره، ﴿وَامَّا الَّذِينَ اتَّيَضَتْ وُجُوهُهُمْ﴾ [آل عمران: ١٠٦-١٠٧] جاء التفصيل بعد الإجمال، لكن هل ترتيب التفصيل مطابق لترتيب الإجمال؟ الجواب: غير مطابق، إذًا هذا لف ونشر غير مرتب، وقد جاء في أفسح الكلام.

واللف والنشر المرتب: مثاله في قوله جل وعلا: ﴿فَيَنْهُمْ شَقِيقٌ وَسَعِيدٌ﴾ ﴿فَامَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ﴾ ﴿وَامَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فِي الْجَنَّةِ﴾ [هود: ١٠٥-١٠٨] إلى آخره، هذا نشر بعد لف لكنه على الترتيب، جاء النشر على ترتيب اللف.

الفَصْلُ الْأَوَّلُ

ضعف الدّين ورقته عند الداعية
يسبب زغلاً كثيراً في الدعوة

أذكر منه ما يلي:



ضعف الإخلاص

الإخلاص مركب الخلاص، وهو الركن الركين والأساس المتيقن لكل عمل، فإذا تخلله خلل أو دخن فإن العمل يعتريه من الخلل والدخن بقدر ما يعتري النية.

والبيت لا يُتنى إلا بأعمدةٍ ولا عماد إذا لم تُبنَ ركائز^(١)
وهذا مصدق لقوله ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى...»^(٢).

قال الإمام الزاهد الورع الكبير سفيان الثوري رحمه الله^(٣): «ما عالجت شيئاً أشدّ عليّ من نبتي» اهـ.

هذا وهو سفيان الثوري إمام الدنيا، فما بالك بنا نحن، نسأل الله أن يرحم ضعفنا.

ولما ذكر للإمام أحمد رحمه الله الصدق والإخلاص قال^(٤): «بهذا ارتفع القوم». ولما قال علي بن الفضيل بن عياض لأبيه رحمه الله^(٥): «يا أبت، ما أحلى كلام أصحاب محمد رضي الله عنه»، قال: يا بني، وتدري لي حلال؟ قال: لا يا أبت، شيئاً أشد على من نبتي، إنها تقلب عليّ».

(١) «روضة العقلاء» (ص: ٢٧٠).

(٢) متفق عليه، «البخاري» (١)، «مسلم» (١٩٠٧) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٣) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٦٢/٧) بلفظ: «ما عالجت شيئاً أشد على من نبتي». والخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي وأداب السامع» (٣١٧/١) بلفظ: «ما عالجت شيئاً أشد على من نبتي، إنها تقلب عليّ».

وذكره الذهبي في «السير» (٢٥٨/٧) بلفظ: «ما عالجت شيئاً أشد على من نبتي، مرة على، ومرة لبي». وابن جماعة في «تذكرة السامع والمتكلّم» ص (٣٥).

(٤) «طبقات الحتابلة» لابن أبي يعلى (٦١/١).

(٥) «شعب الإيمان» (٣٠١/٣).

قال: لِأَنَّهُمْ أَرَادُوا بِهِ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى». .

وقال ابن النحاس رحمه الله^(١): «من أخلص الله النية أثر كلامه في القلوب القاسية فلينها، وفي الألسن الذرية فقيدها، وفي أيدي السلطة فعقلها».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله^(٢): «والإخلاص لله أن يكون الله هو مقصود المرء و مراده، فحينئذ تتفجر ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه». وصدق الإمام العثيمين رحمه الله^(٣) حيث قال: «فإخلاص الداعي في دعوته الله تعالى أمر مهم، بالنسبة لنجاحه فيها وثوابه عليها».

وقال رحمه الله^(٤): «والغالب أن من دعا لنفسه -أعادنا الله وإياكم من هذا القلب- أن الله لا يجعل في علمه بركة».

وأن من أراد الحق جعل الله في علمه بركة حتى لو كان يتكلم بكلام لا يتكلم به إلا أدنى طلبة العلم.

فمثلاً نجد أناساً عندهم حسن نية -فيما نعلم- وحسن قصد، يتكلمون بكلام لا يتكلم به أدنى طالب علم ومع ذلك يكون له تأثير بلغ! لماذا؟ لأنهم يريدون الحق، وبيان الحق» اهـ

وقال الإمام ابن باز رحمه الله^(٥): «فيجب على الداعية أن يكون مخلصاً لله عزّ وجلّ، لا يريد رباء ولا سمعة، ولا ثناء الناس ولا حمدهم، إنما يدعو إلى الله يريد وجهه عزّ وجلّ، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ هَذِهِ سَيِّلٌ أَدْعُوكُمْ إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ١٠٨]، وقال عزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَاهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [فصلت: ٣٣]،

(١) «تنبيه الغافلين» ص (٦٨).

(٢) «النبوات» (٤٠٩ / ١).

(٣) «الصحوة الإسلامية» (ص ١٢٠).

(٤) «شرح بلوغ المرام».

(٥) «مجموع فتاوى ابن باز» (١ / ٣٤٥).

فعليك أن تخلص الله عزّ وجلّ، هذا أهم الأخلاق، وأعظم الصفات أن تكون في دعوتك ت يريد وجه الله والدار الآخرة» اهـ

وسائل العالمة الألباني رحمه الله عن علاج ظاهرة الفتور أو الضعف الإيماني لدى بعض الدعاة^(١)؟

قال رحمه الله: «هذا في الحقيقة يعود إلى شيء سبق أن أشرت إليه، وهو علة العلل في هذا العصر في كثير من الدعاة؛ ألا وهو: عدم الإخلاص في الدعوة. هناك ظاهرة تلقت نظر المفكر الذي يحاول أن يتعرف على ما يصيب المسلمين من أدواء، وأن يقدم -في حدود ما يعلم وما عنده من علم- الدواء، الظاهرة هي أن كلمة الدعوة أصبحت اليوم مهنة، وأصبحت يتبعها كل من يشعر أن لديه شيئاً من العلم، وهو كما يقال: ليس في العير ولا النفير في العلم» اهـ. قلت: ومن علامات ضعف الإخلاص عند الداعية:

حب الشهرة والتصدر، وحب الثناء والمدح، والتجليل والإجلال، والإفساح في المجالس، وحب الكلام في الاجتماعات، والغضب إذا لم يُفسح له المجال أو يتكلم، والغضب إذا لم يُذْكَر اسمه ويُشاد به في اللقاءات والاجتماعات والمحاضرات العامة، ويشار إليه بالبنان، وهكذا إذا خطب يحب أن يُمدح على خطبته، وإذا حاضر يحب أن يمدح على محاضرته، وإذا درّس يحب أن يمدح على درسه، وإذا ألف يحب أن يمدح على مؤلفه أو مؤلفاته، وإذا قرأ القرآن في صلاته أحب أن يمدحه الناس، وغير ذلك من الأمراض الخفية التي لا يعلم بها إلا رب البرية، فالخلاص

(١) «سلسلة الهدى والنور» (١٨٨).

من كل هذه القاذورات^(١) بالإخلاص، فالإخلاص سر نجاح الناجحين، وعدم الإخلاص سر فشل الفاشلين، وقد غفل عنه الكثير من المصلحين، فإذا نزع أو ضعف الإخلاص من أعمالنا أصبحت أعمالنا هباءً، لا قيمة لها ولا أثر ملموس في الواقع، وإذا وجد الإخلاص في الأعمال لمسنا الأثر بإذن الله تعالى.

فالنية الصالحة ترفع صاحبها إلى أعلى علیين، والنية الفاسدة ترمي إلى أسفل سافلين، وكما قال ابن المبارك رحمه الله فكم من عمل قليل كثراه وعظمته النية الصالحة، وكم من عمل كثير حقرته النية الفاسدة^(٢)، فينبغي للداعية دائمًا وأبدًا أن يتذكر نصوص الوعيد، وأن أول من تسمر بهم النار يوم القيمة ثلاثة^(٣): ومنهم: من طلب العلم ليقال: عالم، أو حفظ القرآن ليقال: حافظ..., ومع ذلك لا يأس الداعية إذا كان يجاهد نفسه في تحقيق الإخلاص؛ فإن الله يقول: ﴿وَالَّذِينَ جَنَحُدُوا فِيمَا لَهُدِينَهُمْ سُبُّلًا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]. قال ابن جماعة رحمه الله^(٤): «قال بعض السلف: طلبنا العلم لغير الله، فأبى أن يكون إلا الله، قيل: معناه: فكان عاقبته أن صار الله؛ ولأن إخلاص النية لو شرط في تعليم المبتدئين فيه مع عسره على كثير منهم لأدى ذلك إلى تفويت العلم كثيراً من الناس، لكن الشيخ يحرض المبتدئ على حسن النية بالدرج قوله وفعلاً، ويعلمه بعد أنسه به أنه ببركة

(١) قال رضي الله عنه: «اجتنبوا هذه القاذورة التي نهى الله عنها...» رواه الحاكم (٨١٥٨) وغيره عن ابن عمر رضي الله عنهما، وصححه الألباني رحمه الله في «السلسلة الصحيحة» (٦٦٣)، و«صحيح الجامع» (١٤٩).

(٢) «جامع العلوم والحكم» ص (٧١).

(٣) رواه «مسلم» (١٩٠٥)، و«الترمذى» (٢٣٨٢)، و«الحاكم» (١٥٢٧).

(٤) «تذكرة السامع والمتكلم» (ص: ٢٦).

حسن النية ينال الرتبة العلية من العلم والعمل، وفيض اللطائف، وأنواع الحِكم، وتنوير القلب، وانشراح الصدر، وتوفيق العزم، وإصابة الحق، وحسن الحال، والتسليد في المقال، وعلو الدرجات يوم القيمة» اهـ.



﴿الْتَّعَالَمُ وَحُبُّ الشَّهْرَةِ وَالظَّهُورِ يَقْسِمُ الظَّهُورَ﴾

لا شك أن هذه الفقرة داخلة في الفقرة التي قبلها، ولكنني أفردتتها للأهمية، فإن التعالم وهو أن يدعى الشخص بأقواله أو أفعاله أنه عالم وهو في الحقيقة ليس بعالم؛ خلّ في عقيدة التّوحيد، ومرض فتاك وداء عضال، عَصَفَ بعض الدعاة من البادئين في العلم خاصة، ويصدق على من اتصف بهذه الصفة قول النبي ﷺ: «المُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسٍ ثُوبَيْ زُورٍ»^(١).

وهكذا حب الشهرة والظهور فإنه قاصم للظهور، ولا يسلم منه إلا من عصمه الله، فإذا كانت نية الداعية أن يشتهر اسمه، ويلمع نجمه، ويرتفع ذكره، فقد أَسَسَ بُنْيَتَهُ عَلَى شَفَّا جُرْفٍ هَارِ [التوبه: ١٠٩]، وطلب سقيا ظمئه من سراب **﴿يَقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوْفَهُ حِسَابُهُ، وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾** [النور: ٣٩]، ودخل في: **﴿ظُلِمَتْ بَعْضُهَا فَوَقَّ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكْدِهُ لَمْ يَكْدِ يَرَهَا وَمَنْ لَمْ يَجِدْ اللَّهَ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾** [النور: ٤٠].

كيف لا يكون الحال كذلك وقد قال ﷺ: «...إِنَّ أَخْوَافَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الرِّيَاءُ، وَالشَّهْوَةُ الْخَفِيَّةُ»^(٢).

قال ابن الأثير رحمه الله^(٣): «إن الشهوة الخفية حب اطلاع الناس على العمل».

(١) متفق عليه، «البخاري» (٥٢١٩)، «مسلم» (٢١٣٠) عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها.

ولمزيد الفائدة انظر: الكتاب الماتع «التعالم» للعلامة بكر بن عبد الله أبو زيد رحمه الله.

(٢) حسن رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦٤٠٥) عن عباد بن تميم عن عممه رضي الله عنه، وحسنه الألباني رحمه الله في «السلسلة الصحيحة» (٥٠٨).

(٣) «النهاية» (٥١٦ / ٢).

طالب الجاه والشهرة، طالب آفة دنيوية، جاءت نصوص الوحين بذمها، قال تعالى: ﴿ تِلْكَ الْدَّارُ الْآخِرَةُ بِمَعْلَمَهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَيْقَةُ لِلْمُنْتَقَيْنَ ﴾ [القصص: ٨٣] وقال تعالى: ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَهَا نُوفَ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُنَّ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾ ^{١٥} ﴿ أُوْتِكُمُ الَّذِينَ لَيْسُ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَنَطَلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ^{١٦} [هود: ١٥-١٦].

ولو كانت الشهرة غاية يسعى إليها ومنقبة تتسوق لها النفوس الكريمة، لأكرم الله بها سادة الدنيا من الأنبياء والمرسلين الذين لا يعلم عددهم كثرة إلا الله، ورغم ذلك لم يذكر لنا القرآن سوى أسماء خمسة وعشرين نبياً لا غير^(١).

وقد كان السلف الصالح يفرون من الشهرة فراراً عظيماً، وفي مقدمتهم الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، فيروى أنه قد حج مع النبي ﷺ ما يربو على مائة ألف صحابي^(٢)، فلم يقدر ابن حجر العسقلاني رحمه الله - على قوّة حفظه، وسعة اطلاعه، ومهارة بحثه - أن يجمع لنا في كتابه «الإصابة» أكثر من ثمانية آلاف صحابي، فأين الباقيون؟! إنهم على منهاج قوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ، الْغَنِيَّ، الْخَفِيَّ»^(٣).

ومن اشتهر من الصحابة الكرام اشتهر بغير حب وتطلع للشهرة والظهور. وقد حذر سلفنا الصالح من حب الظهور والشهرة، ومنمن يجعلها هدفه، وغايته التي يسعى إليها، وتضافرت أقوالهم المحذرة من هذا الخلق

(١) ولمزيد الفائدة حول هذا الموضوع انظر: «الأخلاق والسير في مداواة النفوس» لابن حزم ص (٩١-٨٨).

(٢) قيل: عدد الذين حجوا مع النبي ﷺ في حجة الوداع مائة ألف. وقيل: مائة وأربعة عشر ألفا. وقيل: أقل. وقيل: أكثر. حكاية البهقي وغيره. وروى ابن الصلاح في مقدمته (ص: ٤٩٤) عن أبي زرعة الرازي أن عدتهم أربعون ألفا. والله أعلم.

(٣) رواه «مسلم» (٢٩٦٥) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

الذميم، فهذا سفيانُ الثوريُّ رَحْمَةُ اللَّهِ يَقُولُ^(١): «إِيَّاكَ وَالشَّهْرَةِ؛ فَمَا أَتَيْتُ أَحَدًا إِلَّا وَقَدْ نَهَىٰ عَنِ الشَّهْرَةِ» اهـ
 وقال إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رَحْمَةُ اللَّهِ^(٢): «أُرِيدُ أَنْ أَكُونَ فِي شَعْبِ بَمَكَّةَ؛ حَتَّىٰ لَا أُعْرَفَ، قَدْ بُلِيتُ بِالشَّهْرَةِ، إِنِّي أَتَمَنِّي الْمَوْتَ صَبَاغًا وَمَسَاءً» اهـ
 هكذا ماضى السَّلْفُ الصَّالِحُ عَلَىٰ هَذَا الْمَنْهَاجِ، وَكَانَ هَذَا دِينَهُمْ وَدِيَنَهُمْ، فَأَيْنَ هَذَا مِنْ أَقْوَامٍ غَلَبَهُمْ حُبُّ الشَّهْرَةِ، وَظَنُّوا أَنَّ التَّفَاضُلَ بِكُثْرَةِ الْمَعْلُومَاتِ، وَكُثْرَةِ الْمَحْفُوظَاتِ، وَبِالثَّنَاءِ، وَبِالْتَّشَارِ الْذِكْرِ، حَتَّىٰ سُجَّلَ التَّارِيخُ عَلَيْهِمْ عَارًا وَشَنَارًا، وَمِنْ قِرَأَ التَّارِيخِ وَغَاصَ فِيهِ يَجِدُ عَجَبًا، فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: لَيْتَ فَلَانًا ذَكَرْنِي فِي كِتَابِهِ وَلَوْ فِي الْكَذَابِينَ^(٣). وَهُوَ مِنْ أَفَاضِلِ الْعُلَمَاءِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَزَنَّدَ وَهُوَ يَبْحَثُ عَنِ الشَّهْرَةِ كَالْعَالَمِ الْكَبِيرِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَصِيمِي^(٤).

فِيَا أَيُّهَا الدَّاعِيَةُ الْكَرِيمُ إِيَّاكَ إِيَّاكَ وَالْتَّعَالَمَ وَحُبُّ الشَّهْرَةِ، فَإِنَّهُمَا شَهْوَةٌ خَفِيَّةٌ تُصِيبُ الْقُلُوبَ، فَتُمْنَعُهَا مِنِ الإِخْلَاصِ، وَالصَّدْقِ مَعَ اللَّهِ تَعَالَىٰ: فَتَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ، وَتُحَبِّطُ الْأَعْمَالَ الصَّالِحةَ، وَتُسَبِّبُ الْغَفَلَةَ، وَقُسْوَةَ الْقَلْبِ.

أَمَّا مَنْ اشْتَهَرَ بِالْعِلْمِ وَالْزُّهْدِ وَالْوَرْعِ، وَنِيَّتُهُ صَالِحةٌ وَعَمَلُهُ خَالِصٌ لِوَجْهِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ خَارِجٌ عَنْ هَذِهِ الدَّائِرَةِ، وَلَكِنَ الْوَاجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَفَقَّدَ حَالَ قَلْبِهِ بَيْنَ الْفَيْنَةِ وَالْأُخْرَىِ.

(١) «حلية الأولياء» (٢٣/٧)، «سير أعلام النبلاء» (٧/٢٦٠).

(٢) «مناقب الإمام أحمد» لأبي الجوزي (ص: ٣٧٧)، «سير أعلام النبلاء» (١١/٢١٦).

(٣) هو ابن البناء الحسن بن أحمد بن عبد الله البغدادي. انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٨/٣٨١).

(٤) انظر قصة عبد الله القصيمي في كتابي: «سرعة العقاب لمن خالف السنة والكتاب» (ص: ٢٩٤) ط. الثالثة.

﴿٣﴾ صراع بعض الدعاة على زمام الدعوة ورؤاستها

حب التسلط على الآخرين، سببه قوة خارجية وضعف داخلي، القوة الخارجية: كالشهرة، والمكانة، والجاه، والمنصب، والمال، وكثرة الأتباع، وجلساء السوء، وغير ذلك، والضعف الداخلي: كضعف الإيمان، أو ضعف العلم، أو ضعف العقل.

يُذْكَر عن الإمام الشاطبي رَحْمَةً اللَّهِ عَلَيْهِ أَنَّهُ قَالَ: «آخر الأشياء نزو لا من قلوب الصالحين: حب السلطة والتصدر» اهـ

قال بعض الحكماء: حب الرئاسة الدينية في قلوب أهلها أشد من حب الرئاسة الدنيوية في قلوب أهلها.

فحب الرئاسة جالب للتعاسة والانتكasaة.

قال يوسف بن الحسين رَحْمَةً اللَّهِ عَلَيْهِ أَنَّهُ قَالَ: «في الدنيا طغيانان: طغيان العلم، وطغيان المال، والذي ينجيك من طغيان العلم العبادة، والذي ينجيك من طغيان المال الزهد فيه» اهـ.

وهذه الآفة الخبيثة سبب صراعاً مريضاً ومعارك طاحنة بين بعض الدعاة والمصلحين في مشارق الأرض ومحاربها، راح ضحيتها خلق لا يحصي عددهم إلا الله، ضحايا في العقائد، وضحايا في المناهج، وضحايا في السلوك، وضحايا في العبادات، وجُرح آخرون في قلوبهم، وحصل بذلك القطيعة والتشاحن والتدابر والتقاطع والتهاجر إلى ما لا نهاية، فإذا خفيت على الناس أسباب هذه المعارك الوهمية، والصراعات الشيطانية، والانتصارات النفسية، فالله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ويوم

(١) «اقتضاء العلم العمل» (ص: ٣٠).

القيامة يبعث ما في القبور ويحصل ما في الصدور، اللهم سلم سلم، اللهم سلم سلم.



﴿تجمیع الداعیة الناس حوله لا حول الحق والدعاة﴾

إن بعض الدعاة هم جمع الناس حوله، يريد ولاءهم له، وحبهم له، وحضورهم له، ودراستهم عنده، يغضب إذا ذهبوا لغيره ممن هو مثله أو أفضل منه علمًا ودينًا، فتجده يغمز فيه ويلمز ويعرض بذاته عند كل مناسبة، ولسان حاله يقول: إن طلبت العلم عندي فأنت طالب علم مستفيد وعلى منهج سديد، ورأي رشيد، وإن طلبته عند غيري فأنت جاهل منحرف عنيد. وهذه أفعال الأحزاب والجماعات وليس أفعال الدعاة الصادقين المخلصين الذين يريدون الله والدار الآخرة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله^(١): «وليس للمعلمين أن يحزبوا الناس - حولهم - ويفعلوا ما يلقي بينهم العداوة والبغضاء» اهـ.

وقال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمه الله تحت حديث: «لأُغْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّأْيَةَ عَدَا رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَىٰ يَدِيهِ...»^{(٢)(٣)}: «ومن مسائله: التنبية على الإخلاص؛ لأن كثيراً لو دعا إلى الحق، فهو يدعو إلى نفسه» اهـ.

وقال العالمة صالح الفوزان حفظه الله^(٤): «فقد يكون الإنسان يدعوه ويحاضر ويخطب، لكن قصده من ذلك أنه يتبيّن شأنه عند الناس، ويصير له مكانة، ويمدح من الناس، ويتجمّرون عليه، ويكتثرون حوله، فإذا كان هذا قصده، فهو لم يدع إلى الله، وإنما يدعو إلى نفسه» اهـ.



(١) «مجموع الفتاوى» (٢٨/١٦).

(٢) متفق عليه: «البخاري» (٤٢١٠)، «مسلم» (٢٤٠٦)، عن سهل بن سعد رض.

(٣) «كتاب التوحيد» (ص: ٢١).

(٤) «إعارة المستفيد» (١/١٠١-١٠٢).

۞ التحاسد بين الدعاة ۞

إن التحاسد بين بعض الدعاة والمصلحين حاصل على مر العصور والدهور؛ لأنهم ليسوا بأنبياء معصومين. ومن صور التحاسد الحاصلة بين الدعاة:

أن يكون أحدهما محبوبًا أكثر من الآخر، أو له جماهير وصيت وشهرة أكثر من الآخر، أو من يحضر له في خطب الجمعة أو في محاضراته أو في دروسه أكثر من الآخر، أو له مؤلفات والأخر ليس له مؤلفات، أو عنده موهبة في فن الخطابة والأخر ليس عنده هذه الموهبة، أو صوته جميل في قراءة القرآن والأخر ليس كذلك، أو أحدهما يحفظ القرآن والأخر ليس كذلك، أو أحدهما أعلم من الآخر...

إلى غير ذلك من أسباب التحاسد بين الناس، ولا شك أن الحسد يدل على ضعف الإيمان بالقضاء والقدر، والله المستعان.

وقد حصل هذا الداء في أولاد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وما قصة يوسف عليه الصلاة والسلام مع إخوته عنكم بعيد، فقد ألقوه في غيابة الجُب، وما قصة ولدي آدم عليه الصلاة والسلام عنكم بعيد، حيث قتل أحدهما الآخر، وهذا مصدق لقوله ﷺ: «كُلُّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ»^(١). قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ما خلا جسد من حسد، لكن الكريم يخفيه والثيم بيديه» اهـ.

(١) صحيح رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٤٥٥) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، وصححه الألباني رحمه الله بشواهد كما في «السلسلة الصحيحة» (١٤٥٣).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٠ / ١٢٤ - ١٢٥)، «أمراض القلوب وشفاؤها» ص (٢١).

وقال الذهبي رحمه الله في تحاسد العلماء^(١): « ولو شئت لسردت من ذلك كراريس» أي: لملاة كتاباً ودفاتر من قصص تحاسد العلماء اهـ.

وقال الراغب الأصفهاني رحمه الله^(٢): « هلاك العلماء بحسدهم» أي: بتحاسد بعضهم بعضاً.

وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله^(٣): « مع الأسف الشديد أن الحسد بين العلماء أكثر منه في غيرهم نسأل الله السلامة» اهـ.



(١) قال الذهبي رحمه الله: «كلام الأقران بعضهم في بعض لا يعبأ به، لا سيما إذا لاح لك أنه لعداوة أو لمذهب أو لحسد، ما ينجو منه إلا من عصم الله، وما علمت أن عصراً من الأعصار سلم أهله من ذلك، سوى الأنبياء والصديقين، ولو شئت لسردت من ذلك كراريس، اللهم فلا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم».

انظر: «سير أعمال النبلاء» (٦٠-٥٩/١)، «ميزان الاعتدال» (١٣٦/١).

(٢) «محاضرات الأدباء» (٦٥/١).

(٣) «فتح ذي الجلال والإكرام» (٤٥٢/٦).

٦٧ تصوير الخلافات الشخصية إلى خلافات دينية عقدية
منهجية حتى يشرع عن خلافه مع خصمه وينتصر عليه

إن بعض الدعاة عند الاختلاف يحاول كل واحد منهما أن يسبق الآخر بتبديع خصمه أو تحزييه أو تفسيقه حتى يتتصر عليه ويشرع عن خلافه معه، ومن يعيش في الساحة الدعوية يرى عجباً من الخصومات بين بعض الدعاة، فتجد بعض الدعاة يتعرى من العلم والدين عند الخلاف والخصومة، ويفجر فجوراً عظيماً، لا يبالى بسمعته ولا بمكانته، فتجده يحاول جاهداً تبديع خصمه أو تحزييه؛ حتى يسقطه، وينتصر عليه، ويشرع عن خلافه معه بهذا التبديع أو التحزيب، وكأن الخلاف لا يصلح أن يكون بين أهل التوحيد والسنّة إلا بهذا، وهذه الأفعال تشبه أفعال بعض السياسيين، فإنهم أحياناً إذا اختلفوا مع جهة أو مع أشخاص اتهموهم بالإرهاب^(١)؛ من أجل كسب الرأي العام وشرعنـة أفعالـهم، وهذا والله انحراف بيـنـ، فقد اختلف العلماء سلـفاً وخلفـاً ولم يسـارـعـ كلـ واحدـ منـهـمـ إلى تبـديـعـ الآـخـرـ، إـلاـ مـنـ تـحـقـقـتـ فـيـهـ الشـروـطـ وـانـتـفـتـ المـوانـعـ^(٢).



(١) نحن لا ندافع عن الإرهاب وأهله، بل الدعوة السلفية وحملتها يحاربون الإرهاب وأهله تدريـنا قبل محاربة الحكمـ لـلـإـرـهـابـ سيـاسـةـ.

(٢) وهناك كتاب في هذا الموضوع انظره إن شئت غير مأمور، اسمه: «الخلاف بين العلماء» للعلامة محمد بن صالح العثيمين رحمـهـ اللهـ.

٧ المسابقة في تبديع الآخرين

وهناك لون آخر من المسابقة في التبديع أو التحربيب، وهو أن بعض الدعاة إذا رأى بعض المخالفات على بعض الدعاة في أي مكان كان هذا الداعية تجده يسارع ويسابق إلى تبديعه أو تحزيبه قبل العلماء؛ لا لشيء إلا من أجل أن يقول: أنا أول من بدّعت فلاناً وعرفت خبایاه. فيكون له السبق في هذا، ويقال عنه: بصیر بأهل البدع والأحزاب!، وقد ينحرف هذا الداعية المُبَدِّع أو المُحَرَّب بسبب هذا التبديع الباطل أو التحربيب العاطل، وقد ينحرف المُبَدِّع والمُحَرَّب للناس بغير أدلة ولا براهين، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ
اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ [إِرَاهِيمٌ: ٤٢].



﴿ إخراج الأسرار بعد الخلاف ﴾

من الأخلاق المشينة عند بعض الدعاة إفشاء أسرار إخوانهم بعد الخلاف معهم، فينشر **غسيلهم**^(١) للقاصي والداني، والقريب والبعيد، والبر والفاجر، من أجل أن يبرّ خلافه معهم وأنه محق وخصمه مخطئ، وهذا دليل على عجزه وإفلاته من الأدلة والبراهين، فيقوم بإخراج أسرار خصمه ولو أدى هذا إلى هدم الدعوة وكسرها ونصر البدعة وأهلها، والدعوة السلفية والله الحمد ليس فيها سرية مقيمة، بل ليتها ونهاها وظاهرها وباطنها سواء، لكن المراد بالأسرار: الأسرار الخاصة التي تكون في حياة الناس ولا بد، ولا شك أن إفشاء الأسرار خيانة للأمانة، ونقض للعهد، ودليل على لؤم الطبع، وفساد المروءة، ودليل على قلة الصبر، وضيق الصدر، وإفساد للأخوة، ومداعاة للتنافر أكثر وأكثر، وقطع حبال الصلة، وإغلاق باب الرجوع للحق أو الرجوع للأخ الذي أفشلت سره.

قل لي بربك أيها الداعية يا من أفشلت الأسرار كيف ستخطب وكيف ستحاضر للناس عن هذا الموضوع وعن حكم إفشاء السر، هل ستقول لهم: أيها الناس إن السر من الأمانات التي نهى الله عن خيانتها، كما قال تعالى: ﴿ يَنْهَا الَّذِينَ ءامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَاتِكُمْ وَأَتَمْ تَعْلَمُونَ ﴾

[الأمثال: ٢٧]

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤْدُوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ﴾ [النساء: ٥٨].
وهل ستقول لهم: إن إخراج أسرار الناس لآخرين خيانة للأمانة؟!

(١) أي: يعلن ويظهر للناس ما خفي عنهم من أخطائه، مثل الذي ينشر غسله — أي: الملابس المغسلة — على الرجال، فيها لباس الرجال، ولباس النساء، ولباس الصغار، ولباس الكبار...

وهم يعلمون أنك قد فعلت هذا مع الآخرين، ونشرت أسرارهم في المذكرات والملازم والصوتيات!

هل ستقول لهم: إن الله قد امتدح الذين هم لأمانتهم راعون، فقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ هُوَ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَاهَدَهُمْ زَعْوَنَ﴾ [المؤمنون: ٨].

وهل ستقول لهم: لقد عاب سبحانه وتعالى على بعض أزواج النبي ﷺ إفشاءها سرّ الرّسول الكريم ﷺ، قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَسْرَ أَلَيْهِ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا﴾ [الترمذ: ٣].

وهل ستتحدىهم بهذا الحديث: وهو قوله ﷺ: «إِذَا حَدَثَ الرَّجُلُ الْحَدِيثَ ثُمَّ التَّقَتَ فَهِيَ أَمَانَةً» ^(١).

قال ابن رسلان رحمه الله ^(٢): «لأن التفاتة إعلام لمن يحدّثه أنه يخاف أن يسمع حديثه أحد، وأنه قد خصّه سره» اهـ والأدلة من الكتاب والسنة وأثار السلف الصالح متضافة على وجوب حفظ السر وتحريم إفشاءه.

فافق الله أيها الداعي إلى الله وكن من الأبرار الذين صدورهم مقابر للأسرار.

قال الراغب الأصفهاني رحمه الله ^(٣): «إذاعة السرّ من قلة الصبر، وضيق الصدر، وتوصف به ضعفة الرجال، والصبيان، والنساء».

وقال الحسن البصري رحمه الله ^(٤): «إن من الخيانة أن تحدّث بسرّ

(١) حسن رواه «أحمد» (١٤٤٧٤)، و«أبو داود» (٤٨٦٨)، و«الترمذى» (١٩٥٩) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وحسنه الألبانى رحمه الله في «صحیح الجامع» (٤٨٦).

(٢) «شرح سنن أبي داود» لابن رسلان (١٨ / ٥٩٠).

(٣) «الذریعة إلى مکارم الشريعة» للراغب الأصفهاني ص (٢١٢).

(٤) «الصمت» لابن أبي الدنيا ص (٢١٤).

أخيك».

وقال أكثم بن صيفي رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنْوَحُهُمْ (١) : «إِنْ سِرَّكَ مِنْ دَمْكَ، فَانْظُرْ أَينَ تَرِيقَهُ أَيْ: لَا تَخْبُرْ بِسِرَّكَ إِلَّا لِمَنْ تَشَقْ بِهِ».

وقال الأعمش رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنْوَحُهُمْ (٢) : «يَضِيقُ صَدْرُ أَحَدِهِمْ بِسِرَّهُ حَتَّى يَحْدُثَ بِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: اكْتُمْهُ عَلَيَّ».



(١) «الآداب الشرعية» لابن مفلح (٢٦٨/٢).

(٢) «روضة العقول» ص (١٩١).

﴿ حب انحراف المشاهير من الدعاة ليتبواً مكانهم ﴾

إن من حظوظ النفس الدنيئة أن يحب الشخص هلاك الداعية الآخر أو انحرافه؛ ليتبواً هو مكانه، والنبي ﷺ يقول: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُ لِنَفْسِهِ»^(١).

قال الإمام النووي رحمه الله: «وقد تظاهرت نصوص الشرع وإجماع العلماء على تحريم الحسد واحتقار المسلمين وإرادة المكره بهم وغير ذلك من أعمال القلوب وعزمها» اهـ

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ قَالَ: «لَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تَسْأَلُ طَلاقَ أُخْتِهَا، لِتَسْتَرْغَ صَحْفَتَهَا، فَإِنَّمَا لَهَا مَا قُدِرَ لَهَا»^(٢).

قال ابن عبد البر رحمه الله: «في هذا الخبر من الفقه أنه لا ينبغي أن تسأل المرأة زوجها أن يطلق ضرتها لتنفرد به، فإنما لها ما سبق به القدر عليها، لا ينقصها طلاق ضرتها شيئاً مما جرى به القدر لها ولا يزيدوها» اهـ

وهكذا العالم مع العالم، والشيخ مع الشيخ، والداعية مع الداعية، قوة إلى قوة يشد بعضها بعضاً، وانظر إلى الفرق الواسع والبون الشاسع بين هؤلاء وبين السلف، فهذا يحيى بن جعفر يقول: «لو قدرت أن أزيد في عمر محمد بن إسماعيل لفعلت، فإن موتي يكون موت رجل واحد، وموت محمد بن إسماعيل ذهاب العلم»^(٤).

(١) متفق عليه: «البخاري» (١٣)، «مسلم» (٤٥) عن أنس رضي الله عنه.

(٢) «شرح النووي على مسلم» (١٥٢/٢).

(٣) رواه «البخاري» (٥١٥٢)، و«مسلم» (١٤١٣)، واللفظ للبخاري.

(٤) «التمهيد» (١٦٥/١٨).

(٥) «تاریخ بغداد» (٣٤٠/٢).

وأيوب السختياني رَحْمَةُ اللَّهِ قَالَ^(١): «إنه ليبلغني موت الرجل من أهل السنة فكأنما يسقط عضو من أعضائي».



(١) «حلية الأولياء» (٣/٩).

﴿ دفن بعض الدعاة لحسنات بعضهم ﴾

وهناك لون من ألوان الحسد وهو دفن حسنات بعض الدعاة لبعضهم، فلا يحب إظهارها للناس، ولا يحب مدحه، ولا الثناء عليه بما يستحق، بل إذا ذكر عنده بالجميل يجد في نفسه عليه، وقد استعاد النبي ﷺ من هذا الصنف، حيث قال ﷺ: «...اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ خَلِيلٍ مَا كَرِّ عَيْنَهُ تَرَانِي وَقَلْبُهُ يَرْعَانِي إِنْ رَأَى حَسَنَةً دَفَنَهَا، وَإِذَا رَأَى سَيِّئَةً أَذَاعَهَا»^(١).

قال ابن القيم رحمه الله^(٢): «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ طَبَعَهُ طَبْعٌ خَتْرِيرٌ يَمْرُّ بِالظَّبَابِ فَلَا يَلْوِي عَلَيْهَا، فَإِذَا قَامَ الْإِنْسَانُ عَنْ رَجْيِعِهِ قَمَهُ، وَهَكُذا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَسْمَعُ مِنْكَ وَيَرَى مِنَ الْمَحَاسِنِ أَصْعَافَ أَصْعَافِ الْمَسَاوِيِّ فَلَا يَحْفَظُهَا وَلَا يَقْلُلُهَا وَلَا تُنَاسِبُهُ، فَإِذَا رَأَى سَقْطَةً أَوْ كَلْمَةً عَوْرَاءَ وَجَدَ بُغْيَتَهُ وَمَا يُنَاسِبُهَا فَجَعَلَهَا فَأَكَهَتَهُ وَنَقْلَهُ» اهـ.

وقال الشوكاني رحمه الله^(٣) عند ذكره لكتاب «العواصم» لابن الوزير رحمه الله^(٤): «ولو خرج هذا الكتاب إلى غير الديار اليمنية لكان من مفاخر اليمن وأهله ولكن أبي ذلك لهم ما جبلوا عليه من غمط محاسن بعضهم البعض ودفن مناقب أفالضلهم» اهـ.

وذكر الذهبي رحمه الله^(٥) في «سير أعلام النبلاء» في ترجمة عبد الرزاق بن همام قال: «قال علي بن المديني: قال لي هشام بن يوسف: كان عبد الرزاق أعلمنا، وأحفظنا».

(١) **جيد** رواه الطبراني في «الدعاة» (١٣٣٩)، وجود إسناده الألباني رحمه الله في «السلسلة الصحيحة» (٣١٣٧).

(٢) «مدارج السالكين» (٤٠٦/١).

(٣) «البدر الطالع» (٩١/٢).

قال الذهبي رحمه الله تعالى معلقاً على هذا الخلق الكريم: «هكذا كان النظرة
يعترفون لأقرانهم بالحفظ» اهـ.



﴿الْعُجَبُ وَالتَّطْلُعُ لِالْقَابِ الشَّنَاءِ وَالْمَدْحُ وَالْأَغْتَرَارِ بِهَا﴾

لا شك أنه في غمرة انشغال الداعية في أعماله الدعوية، يحصل لديه – أحياناً – قصور في تزكية نفسه، ومحاسبتها، وربما تسلل إلى قلبه آفات قادحة في عمله وإخلاصه، مفسدة لقلبه، قد يشعر بها وينشغل عن علاجها، وقد لا يشعر بها أصلاً.

ومن هذه الأمراض العجب، ومما يدخل العجب على الداعية نظره لما منحه الله إياه من بлагة أو فصاحة وبيان أو سعة في العلم وقوته في الرأي وغير ذلك، فكيف إذا اضاف إلى ذلك حديث الناس عن أعماله، وتعظيمهم له، وإقبالهم عليه، لا شك أن الفتنة تعظم، ولذا يتتأكد في حقه حراسة نفسه من العجب، فإنه من الأمراض المهلكة والآفات الممحقة للعمل والعمل؛ لذلك كانت كلمة الشرع فيه شديدة وحاسمة، فهو مذموم أشد الدم، ومسالكه ودروبها كلها مذمومة، حتى أن خير الخلق وسيد الأنبياء والمرسلين ﷺ، الذي قضى عمره كله في خدمة الدين والجهاد في سبيله، فلم يبل أحد مثل بلائه، ولا جاهد وصابر مثل جهاده وصبره، ومع ذلك كله أمره ربه سبحانه وتعالى في بداية طريق الدعوة بقوله: ﴿وَلَا تَمْنُنْ سَتَّكِثُر﴾ [المدثر: ٦].

وقد حذر النبي ﷺ من هذا الداء العضال فقال: «لَوْلَمْ تَكُونُوا تُذَنِّبُونَ خَشِيتُ عَلَيْكُمْ مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ الْعُجْبُ الْعُجْبَ»^(١).

وحذر السلف الصالح من العجب ومن ذلك ما جاء عن كعب رضي الله عنه

(١) حسن رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦٨٦٨) عن أنس رضي الله عنه، وحسنه الألباني رحمه الله في « صحيح الجامع » (٥٣٠٣).

أنه قال لرجل رأه يَتَّبِعُ الأحاديث: «اتق الله وارض بالدون من المجالس ولا تؤذ أحدا؛ فإنه لو ملأ علمك ما بين السماء والأرض مع العجب ما زادك الله به إلا سفالاً ونقصاً»^(١).

وعن مسروق رَحْمَةُ اللَّهِ قال: «كفى بالمرء علماً أن يخشى الله، وكفى بالمرء جهلاً أن يعجب بعلمه»^(٢).

وكان يحيى بن معاذ رَحْمَةُ اللَّهِ يقول: «إياكم والعجب، فإن العجب مهلكة لأهله، وإن العجب ليأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»^(٣).

وقال الحارث بن نبهان رَحْمَةُ اللَّهِ: سمعت محمد بن واسع يقول: «وأصحابه! ذهب أصحابي قال: قلت: يرحمك الله، أليس قد نشأ شباب يقرؤون القرآن، ويقومون الليل، ويصومون النهار، ويحجون ويقرؤون؟ قال: فبزق، وقال: أفسدهم العجب»^(٤).

فالعجب يا معاشر الدعاة مرض يعرض للنفس، ويحتاج من المؤمن أن يتفطن له؛ حتى لا يغله على أخلاقه الحسنة، بل حتى لا يخدش في توحيده وإيمانه بالله.

ومن مظاهر هذا المرض: البحث وراء التزكية، وحب الثناء والمدح، وألقاب الشرف، كالدكتوراه^(٥) مثلاً، أو العلامة، والإكثار من الثناء على

(١) «حلية الأولياء» (٥/٣٧٦)، «جامع بيان العلم وفضله» (١/٥٦٧).

(٢) «حلية الأولياء» (٢/٩٥)، «جامع بيان العلم وفضله» (١/٥٦٩).

(٣) «شعب الإيمان» (٩/٣٩٥).

(٤) «الزهد» للإمام أحمد (١/٤٦٧).

(٥) وقد بسطت القول حول هذا الموضوع في كتابي: «السطور الذهبية في بيان أهداف وثمار دور الحديث السلفية في الديار اليمنية» ص (٧٧) تحت فقرة «دور الحديث السلفية لها دوبي كدوبي النحل، إنها بيوت مطمئنة وروضة من رياض الجنة».

النفس ومدحها، لحاجة ولغير حاجة، تصريحاً أو تلميحاً، وقد يكون على هيئة ذم النفس.

قال مطرّف بن عبد الله بن الشّخّير رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: «كَفَىٰ بِالنَّفْسِ إِطْرَاءً عَلَىٰ رُؤُوسِ الْمَلَائِكَةِ أَرَدْتَ بِهِ زَينَهَا وَذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ شَيْنُهَا»^(١).

ومن مظاهر العجب كذلك: النفور من النصيحة، وكراهيتها، وبغض الناصحين، والاعتداد بالرأي، وازدراء رأي الغير، وما أشبه ذلك، وهذا كله خلاف ما كان عليه الأوائل.

كان شيخ الإسلام ابن تيمية رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ إذا مدح يقول: مَا لِي شَيْءٌ، وَلَا مِنِّي شَيْءٌ، وَلَا فِي شَيْءٍ. ويتمثل بهذا البيت:

أَنَا الْمُكَدِّي وَابْنُ الْمُكَدِّي وَهَكَذَا كَانَ أَبِي وَجَدِّي

وكان إذا أثني عليه يقول: والله إنني إلى الآن أجدد إسلامي كل وقت، وما أسلمت بعد إسلاماً جيداً^(٢).

ولم يترجم الإمام الذهبي رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ لنفسه في «سير أعلام النبلاء»؛ لأنَّه كتاب تركية، وإنما ذكر نفسه في كتابه «المعجم المختص بالمحدثين» حيث قال عن نفسه^(٣): «وَجَمِعَ تَوَالِيفَ يَقَالُ: مُفَيْدَةُ الْجَمَاعَةِ يَتَفَضَّلُونَ وَيَشْتَوْنَ عَلَيْهِ، وَهُوَ أَخْبَرُ بِنَفْسِهِ فِي الْعِلْمِ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَنُ وَلَا قُوَّةٌ إِلَّا بِهِ، وَإِذَا سَلَمَ لِي إِيمَانِي فِيَا فُوزِي» اهـ.

(١) «رسائل ابن حزم» (١/٨٨)، «تاريخ دمشق» (٥٨/٣٠١)، «حلية الأولياء» (٢/٢٠٢).

(٢) «مدارج السالكين» (١/٥٢٠).

معنى أنا المكدي وابن المكدي: أي: أنا المقل ابن المقل، أو الذي عمل عملاً قليلاً ثم تركه، وهو مأخوذ من الكدية وهي: الصخرة التي لا تعمل بها الفؤوس والمعاول، لأنَّ الإنسان حفر شيئاً يسيراً فواجهته صخرة كبيرة فترك العمل، قال تعالى: ﴿وَأَعْطَنِي قَلِيلًا وَأَكَدَّهُ﴾ [النجم: ٣٤]، يعني: ترك.

(٣) «المعجم المختص بالمحدثين» ص (٩٧).

وترجم لنفسه في كتابه «ذيل ديوان الضعفاء»^(١) فقال: «محمد بن أحمد بن عثمان الفارقي سيء الحفظ ليس بالمتقن ولا بالمتقي سامحه الله تعالى» اهـ.

وقال الألباني رحمه الله^(٢): «إنما أنا طالب علم، لا شيء آخر». وحين مدحه بعض طلبة العلم مدحًا خفيقًا أجهش بالبكاء، وقال:

«أحلفُ يميناً أنكم مغشوشون، لو عرفتم حقيقتنا ما مشيتوا معنا»^(٣) اهـ

وقال الشيخ مقبل رحمه الله: «مقبول يا إخوان لا يساوي بصلة» اهـ

وهكذا الشيخ عبد العزيز بن باز، وابن عثيمين، وكبار أهل العلم في هذا العصر، لم يرفعهم الله عز وجل إلا بالتواضع، ولم يعلم عن أحد منهم العجب والبحث وراء الثناء والمدح، بل هم من يحاربه كما في سيرهم وترجمتهم.



(١) «ذيل ديوان الضعفاء» رقم الترجمة (٣٤٥).

(٢) «موسوعة الألباني في العقيدة» (٢١٣ / ١).

(٣) «سلسلة الهدى والنور» (صوتي).

الاغترار بالجماع والكثرة

إن الاغترار بالجماع والكثرة في الدروس، أو المحاضرات، أو الخطب أو غير ذلك، خطير عظيم، وهو يدخل في قوله تعالى: ﴿أَلَهُمْ أَكَثُرُ﴾ [التكاثر: ١]، وقد ذم الله تعالى الإعجاب بالكثرة حتى لو كانت على الحق؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُفْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحِبَّتْ ثُمَّ وَلَيَّتُمْ مُّدَبِّرِينَ﴾ [التوبه: ٢٥]. فالخير الكثير يسر ولا يغرر ^(١).

قال عبد الرحمن بن مهدي رض: «كنت أجلس يوم الجمعة، فإذا كثر الناس -أي: عليه- فرحت، وإذا قلوا حزنت، فسألت بشر بن منصور، فقال: هذا مجلس سوء فلا تدع إليه» ^(٢). وهكذا كانوا يحدرون الكثرة من حولهم، أي: الكثرة التي تفضي إلى اغترار الإنسان.

فيما أيها الداعية المبارك لا تغتر بالكثرة والجماع في دروسك، أو خطبك، أو محاضراتك، أو مؤلفاتك أو....، ولا تغتم بالقلة، أو تأسف للغرابة؛ فهي إلى النجاة أقرب، ومن أخلاص وصبر جمع الله عليه القلوب ولو بعد حين، فإن القلوب بين أصابع الرحمن، فإذا أقبل العبد بقلبه إلى الله وحده أقبل الله بقلوب العباد إليه، وانظر كيف رفع الله سفك الصالح يوم صلحت نياتهم.

قال الإمام مالك رض: «كنت آتي نافعًا وأنا غلام حديث السن، فينزل

(١) انظر كتابي: «سرعة العقاب لمن خالف السنة والكتاب» ص (١٣٣) تحت عنوان «العجب بالكثرة هزيمة وحسنة».

(٢) «حلية الأولياء» (١٢/٩)، «سير أعلام النبلاء» (١٩٦/٩).

ويُحَدِّثُنِي، وكان يجلس بعد الصبح في المسجد، لا يكاد يأتيه أحد»^(١).
وقال الأوزاعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مات عطاء بن أبي رباح يوم مات وهو أرضى
 أهل الأرض عند الناس، وما كان يشهد مجلسه إلا تسعه أو ثمانية»^(٢).
 فَرَحِمَ اللَّهُ سلفنا الصالح، أخلصوا اللَّهُ العمل، وفطَنُوا إِلَى هَذَا الدَّاء
 الْعُضَالِ فَهَجَرُوهُ وَمَضُوا إِلَى اللَّهِ، شعارهم ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾
 [العنكبوت: ٢٦]، فَأَبَيَ اللَّهِ إِلَّا أَنْ يَجْمِعَ عَلَيْهِمْ قُلُوبَ الْعِبَادِ إِلَى يَوْمِ الْمَعْدَادِ.



(١) «المعرفة» للفسوبي (١/٦٤٦)، «تاريخ دمشق» (٦١/٤٣٦)، «سير أعلام النبلاء» (٥/٩٨).

(٢) «حلية الأولياء» (٣/٣١١)، «سير أعلام النبلاء» (٥/٨٤).

١٣ بـ بعض الدعاة والمشايخ يجعل نفسه ميزان السنة، من اقترب منه اقترب من السنة، ومن ابتعد عنه ابتعد عن السنة

لقد طفت هذه الظاهرة على السطح في الآونة الأخيرة، حيث يجعل بعض الدعاة والمشايخ من نفسه ميزاناً للحق والسنة، من أحبه وأكثر من زيارته فقد أحب السنة وأهلها وهو من أهل السنة والجماعة، ومن اشغل عنه مع حفظ مكانته وكرامته فهو من أهل البدع والأهواء، أو على أقل تقدير فيه نظر، فعلى قدر قربك من هذا الشيخ يكون قربك من السنة، هكذا جعل لنفسه أو جعل له الأتباع هذه الصفة، نعم قد يكون هذا الميزان إذا كان هذا الداعية إماماً في السنة في بلده، أو لا يوجد غيره في بلده من أهل السنة إلا هو، فهنا نقول: نعم من أتى من هذه البلاد وأثنى على هذا الداعية أو هذا الشيخ فهذه علامة حبه للسنة وأهلها، ومن أبغضه فهو علامة بغضه لأهل السنة، لكن الأصل في هذه المسألة أن نقول: على قدر تمسك الشخص بالكتاب والسنّة على فهم السلف الصالح يكون قربه من الفرقة الناجية والطائفة المنصورة، والعكس بالعكس، والمقرر في القاعدة المشهورة أن الرجال يُعرفون بالحق ولا يُعرف الحق بالرجال^(١).

واسمع إلى هذه القصة العجيبة: قال عبد الله بن محمد الوراق: كنت في مجلس أحمد بن حنبل، فقال: من أين أقبلتم؟ قلنا: من مجلس أبي كريب. فقال: اكتبوا عنه، فإنه شيخ صالح. قلنا: إنه يطعن عليك. فقال: فأي شيء حيلتي، شيخ صالح قد بُلي بي^(٢). اهـ

(١) «الواضح في أصول الفقه» (٥/٢٠٨) لأبي الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الظفراني (المتوفى: ٥١٣هـ).

(٢) «تاریخ دمشق» (٥٥/٥٨)، «سیر اعلام النباء» (١١/٣١٧).

قلت: هذا هو العلم والدين والعقل، وهؤلاء هم الكبار.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله^(١): «وليس لأحد منهم أن يأخذ على أحد عهداً بموافقته على كل ما يريده؛ وموالاة من يواليه؛ ومعاداة من يعاديه، بل من فعل هذا كان من جنس جنكيز خان وأمثاله الذين يجعلون من وافقهم صديقاً مواليًّا ومن خالفهم عدوًّا باغياً» اهـ.

وقال رحمه الله أيضاً^(٢): «كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمن جعل شخصاً من الأشخاص غير رسول الله صلى الله عليه وسلم، من أحبه ووافقه كان من أهل السنة والجماعة، ومن خالفه كان من أهل البدعة والفرقة -كما يوجد ذلك في الطوائف من اتباع أئمة في الكلام في الدين وغير ذلك- كان من أهل البدع والضلال والتفرق». اهـ.



(١) «مجموع الفتاوى» (٢٨/١٦).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٣/٣٤٧).

﴿١٤﴾ احتكار الحق في أفراد في الحكم بالسنة أو البدعة

بعض الدعاة يحتكر الحق على نفسه، لا يمكن أن يخرج إلى غيره، ويدعى الناس إلى تقليده، والتقليد المطلق محرّم بالكتاب والسنة وإجماع الأمة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله^(١): «ومن نصب شخصاً كائناً من كان، فوالى وعادى على موافقته في القول والفعل، فهو ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً﴾ الآية، وإذا تفقه الرجل وتأدب بطريقة قوم من المؤمنين، مثل: اتباع الأئمة والمشايخ؛ فليس له أن يجعل قدوته وأصحابه هم العيار، فيوالي من وافقهم، ويعادي من خالفهم» اهـ

وقال ابن القيم رحمه الله^(٢): «وقد نهى الأئمة الأربع عن تقليدهم، وذمّوا من أخذ أقوالهم بغير حجة» اهـ

قلت: وهذا لسان مقال بعض الدعاة والعلماء في هذا العصر وليس لسان حالي، فتجدهم ينكرون على الأتباع التقليد في المسائل العلمية والعملية ويلزمونهم بتقليدهم في الأحكام على الأشخاص بالسنة والبدعة.

ثم قال ابن القيم رحمه الله^(٣): «وأعجب من هذا أن أئمتهم نَهَوْهُم عن تقليدهم فعصوهـم وخالفوهمـ، وقالوا: نحن على مذاهبـهمـ، وقد دانوا بخلافـهمـ في أصول المذهبـ الذي بنوا عليهـ، فإنهـمـ بنوا علىـ الحجـةـ، ونهـوا عنـ التـقـلـيدـ، وأوصـوهـمـ إذا ظـهـرـ الدـلـلـ أنـ يـتـركـوا أـقـوـالـهـمـ وـيـتـبـعـوهـ، فـخـالـفـوهـمـ فيـ ذـلـكـ كـلـهـ وـقـالـواـ: نـحـنـ مـنـ أـتـبـاعـهـمـ، تـلـكـ أـمـانـيـهـمـ، وـمـاـ أـتـبـاعـهـمـ

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٠/٨-٩).

(٢) «إعلام الموقعين» (١/٧٩).

(٣) «إعلام الموقعين» (٣/٤٨٤).

إلا من سلك سبيلهم واقتفي آثارهم في أصولهم وفروعهم» اهـ.

قلت: وما أشبه الليلة بالبارحة، وقد وصل الأمر ببعض المتعصبة إلى أن قالوا: كل آية تخالف ما عليه المذهب فهي مؤولة أو منسوبة، وكل حديث يخالف ما عليه المذهب فهو مؤول أو منسوخ. وهذا كله من آفات التقليد الأعمى، ونسمع اليوم من يقول: كل قول يخالف قول فلان في الرجال فارموا به عرض الحائط. فالتقليد تقليد وهو أنواع.

فقد كانوا والله يجاجّون الرجال بالأدلة، واليوم أصبحوا يجاجّون الأدلة بالرجال!

وكانوا يقولون: اعرف الحق تعرف الرجال. وأما اليوم فلسان حاهم يقول: اعرف الرجال تعرف الحق!

فقد احتكروا الحق في الرجال، وأي احتكار أعظم من هذا! ولا يحتكر إلا خاطئ.

ورحم الله الإمام الوادعي فقد كان يكرر كثيراً هذه المقوله على طلابه: «لا يقلدني إلا ساقط».

وقال الإمام ابن باز رحمه الله^(١): «لا يجوز أن تقلد زيداً ولا عمراً في خلاف السنة، ولو كان عظيماً، ولو كان مالكاً، أو كان أبا حنيفة، أو الشافعي، أو أحمد، طالب العلم لا يقلد العلماء، يأخذ بالدليل» اهـ

وهكذا هو كلام الشيخ الألباني، والشيخ ابن عثيمين، والشيخ العبّاد، وعلماء اللجنة الدائمة، وجميع علماء السنة، رحمة الله على الجميع.

ولا يعني هذا ردّ كلام علماء السنة في أهل البدع والأهواء بالحجّة والبرهان.



(١) «فتاوي نور على الدرج» (٨/١٥١).

١٥ السكوت عن الموافقين وإن أخطأوا، والقدح في المخالفين وإن أصابوا

إن لسان حال بعض الدعاة يقول: من وقف معي وصف في صفي سكت عنه ومدحته ولو كان من المفسدين، ومن خالبني قدحت فيه ولو كان من المصلحين.

لا شك أن هذه الطريقة طريقة من تشبع بالهوى، كما قال تعالى: ﴿أَفَرَئَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَنَهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَمَّ عَلَىٰ سَعْيِهِ وَقَلِيلٌ هُوَ بَصَرٌ وَغَشْوَةٌ فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].

فإن الميزان الشرعي في الحب والبغض والقرب والبعد هو التمسك بالكتاب والسنة على فهم السلف الصالح وليس الميزان الهوى والمزاج، إن الصادقين من السلف الصالح كان الواحد منهم إذا سُئل عن أبيه قال: إنه الدين، إن أبي ضعيف. وكم من السلف الصالح من ترك أقرب الناس إليه من أجل هذا الدين^(١)، ورحم الله الإمام الألباني حين قال له والده رحمه الله: إما

(١) قال الخطيب البغدادي رحمه الله في «شرف أصحاب الحديث» ص (٤١): «فليس أحد من أهل الحديث يحيي في الحديث أباه، ولا أخيه، ولا ولده. وهذا علي بن عبد الله المديني، وهو إمام الحديث في عصره، لا يروى عنه حرف في تقوية أبيه بل يروى عنه ضد ذلك» اهـ.

وقال ابن حبان رحمه الله في «المجرودين» (٢/١٥): «سئل علي بن المديني عن أبيه فقال: أسألهوا غيري. فقالوا: سألهناك، فأطرق، ثم رفع رأسه وقال: «هذا الدين، أبي ضعيف» اهـ. وهذا يحيى بن معين رحمه الله يتكلم في صاحب له ومن كان يحبه، فنقل عنه الحسين بن حبان قوله في محمد ابن سليم القاضي: «هو والله صاحبنا، وهو لنا محب، ولكن ليس فيه حيلة ألبته، وما رأيت أحداً قط يشير بالكتاب عنه ولا يرشد إليه» وقال: «قد والله سمع سمعاً كثيراً، وهو معروف، ولكنه لا يقتصر على ما سمع، يتناول ما لم يسمع»، قلت له: يكتب عنه؟ قال: «لا» اهـ انظر «تاريخ بغداد» (٣/٢٧٤).

الموافقة أو المفارقة.

فقال الألباني رحمه الله: بل المفارقة^(١).

إن هؤلاء القوم الذين يسكتون على أخطاء من وافقهم تشبهوا بأصحاب الثورات الذين ثاروا على الحكومات بسبب الفساد - زعموا ، فإذا شعر بعض السياسيين بغرق سفينة الحكومة قفز إلى سفينة الثوار، فيرحب به الثوار مباشرةً، ويفرحون به، ويجعلونه من المصلحين، وكان عندهم من كبار المفسدين، لكنه الآن وقف في صفهم، فنعود بالله من هذا التشابه، وكم من ثورة حصلت في الدعاة، فإذا انتقل الشخص من مجموعة إلى مجموعة أخرى رحبو به وجعلوه من خير البرية، فنعود بالله من هذه البلاية، وصدق من قال:

وافقتني مُدْحَثٌ
حالفتني جُرْحَتَ



وهذا جرير بن عبد الحميد رحمه الله يقول عن أخيه أنس: «لا يكتب عنه؛ فإنه يكذب في كلام الناس» اهـ «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٢٨٩/٢).

والإمام البخاري رحمه الله يروي في صحيحه كثيراً عن شيخه محمد بن يحيى الذهلي رغم ما تعرض له من الأذى بسبب كلامه فيه وهجره له، إلا أن العداء لم يمنعه من قبول حديثه وروايته.

(١) «سلسلة الهدى والنور» شريط رقم (١٦٧)، وقصة هذه المقوله: أن والد الشيخ الألباني رحمه الله كان حنفياً متعصباً للمذهب، فطلب من ابنه المحدث السلفي محمد بن ناصر الدين الألباني أن يكون حنفياً مثله، فقال له: إما الموافقة - أي: على المذهب الحنفي - أو المفارقة. فقال العلامة الألباني رحمه الله: بل المفارقة.

١٦ سكوت بعض الدعاة والعلماء عن جلسائهم المفسدين في الدعوة

إن بعض الدعاة يسكتون عن جلسائهم المفسدين؛ لأنهم يقومون بخدمتهم وتبجيلهم، وإظهار المحبة لهم، والدفاع عنهم، فأصبح هؤلاء الجلساء حلقة فصل وليسوا حلقة وصل بين العلماء ومحبيهم، ولا يخفى على هؤلاء العلماء أنه قد ضعف بعض العلماء بسبب ورّاقه الفاسد^(١)، نعم قد يتزين هؤلاء الجلساء للمشايخ ويتظاهرُون لهم بالصلاح، وقد وثق بعض العلماء من السلف الصالح من تزيين له بالصلاح^(٢)، لكن كما قال عَسَاطِ اللَّهِ: «لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ»^(٣)، وليرحص الشيخ أن يكون كما قيل: لست خبًّا ولا الخبر يخدعني^(٤)، ولا يخفى على هؤلاء

(١) مثل: سفيان بن وكيع، كان له ورّاق سوء يُدخل في كتبه ما ليس منها فضُعْفٌ بسببه.
انظر: «الكامل» لابن عدي (١٢٥٣-١٢٥٤/٣)، و«التهذيب» (٤/١٢٣) رقم (٢١٠)، و«التقريب» رقم (٣٢٣ و٣٢٢).

(٢) مثل: عبد الكرييم بن أبي المخارق ضعيف الحديث، وكان يرى الإرجاء مع تعبد وخشوع، قال النسائي والدارقطني: متروك. وقال أحمد: ضربت على حديثه. وقال ابن عبد البر: اغتر مالك بيكانه في المسجد، وروى عنه في الفضائل. انظر: «سير أعلام النبلاء» (٦/٨٣)، «التاريخ الكبير» (٦/٨٩)، «التاريخ الصغير» (٢/٧)، «الجرح والتعديل» (٦/٥٩)، «تهذيب الكلمة» (٨٥٠)، «ميزان الاعتدال» (٢/٦٤٦)، «تهذيب التهذيب» (٦/٣٧٦).

(٣) متفق عليه، «البخاري» (٦١٣٣)، «مسلم» (٢٩٩٨) عن أبي هريرة رض.

(٤) هذا الأثر مروي عن الفاروق رض نسبة إليه ابن تيمية في «المجموع الفتاوى» (١٠/٣٠٢)، وابن القيم في «إعلام الموقعين» (٣/١٨٩)، وجاء مسنداً عن إيس بن معاوية: أخرجه ابن قتيبة، في «عيون الأخبار»، ووكيع في «أخبار القضاة» (١/٣٤٨)، ومن طريقه ابن عساكر، في «تاريخ دمشق» (١٠/١٩)، وأخرجه المزي في «تهذيب الكلمة» (٣/٤١٨)، من طريق ابن التقور، أربعتهم رواه من قول إيس بن معاوية رض بلفظ «لست بخَبٍ، والخَبُ لا يخدعني، ولا يخدع ابنَ سيرين، ويخدع الحَسَنَ»،

العلماء شروط الجليس الصالح السبعة التي ذكرها الله في قوله: ﴿وَاصْبِرْ
نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ
عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الْدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلَنَا قَلْبَهُ، عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ
هَوْنَهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

فليست من العقل ولا من العلم ولا من الدين أن يكون واجهة العلماء
هؤلاء المشاغبين، وأخشى أن تكون هذه مؤامرة كبرى على العلماء
والدعاة والمصلحين.



ويخدع أبا معاوية بن قرة، ويخدع عمر بن عبد العزيز، وهذا لفظ وكيع، واستشهاد به
الإمام الألباني ونسبة للفاروق رض. انظر: «سلسلة الهدى والنور» رقم (٢٨٨).

**١٧ إعطاء بعض الدعاة والعلماء الضوء الأخضر لجلسائهم بالرد
والتحذير من بعض الدعاة ويقى العالم في صورة الصالح المصلح**

ومما يحزن القلب ويبدع العين ما يفعله بعض الدعاة والمشايخ حيث إنه يوغر إلى بعض جلسائه بالرد على فلان والتحذير منه، إما بالصوت، أو بالكتابة، أو في المجالس، ويبقى هذا العالم في صورة الناصح الصالح المصلح، وقد قال بعض الحكماء: إذا أردت أن تعرف ماذا عند الكبار فانظر ماذا عند الصغار^(١).

وإذا اشتد الخلاف قد يحتكمون عنده، ويقف هذا العالم في صف من أوعز إليه بالكلام ويحكم له، ولا يقبل من الطرف الثاني صرفاً ولا عدلاً، وهذا الأسلوب المشين لم يعهد عن أحد من حملة عرش الدعوة من لدن رسول الله ﷺ إلى عصرنا هذا، عصر الباز، والعثيمين، والألباني، والوادعي، وغيرهم من الكبار علمًا ودينًا وعقلاً وحكمة.



(١) قال الجاحظ في «الرسائل الأدبية» (٩٥-٩٦): «وأكثـر ما يذيع أسرار الناس أهلوهم وعيدهم، وحاشيتـهم وصـيـانـهم، وـمن لـهم عـلـيهـم الـيد وـالـسـلـطـانـ. فالـسـرـ الذـي يـودـهـ خـلـيقـةـ فـي عـاـمـلـ لـهـ يـلـحـقـهـ زـيـنـهـ وـشـيـنـهـ، أـخـرىـ أـلـاـ يـكـتـمـهـ. وـهـذـاـ سـبـيلـ كـلـ سـرـ يـسـتـوـدـعـهـ الـجـلـةـ وـالـعـظـمـاءـ، وـمـنـ لـاـ تـلـحـقـهـ الـلـائـمـةـ».

﴿ مِنْهُمْ بَعْضُ أَقْوَالِ الدُّعَاءِ لِأَفْعَالِهِمْ ﴾

قال تعالى: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوكُمْ مَا لَا تَعْلَمُونَ كَبَرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف: ٣-٤].

وقال تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْإِيمَانِ وَتَنْسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتَلُوْنَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٤٤].

وقال سبحانه وتعالى عن شعيب عليه السلام: ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَكُمْ عَنْهُ ﴾ [هود: ٨٨].

فالالتزام الداعية بما يدعوه إليه سبب من أسباب نجاحه، والعكس بالعكس.

قال ابن القيم رحمه الله مبيناً أهمية القدوة^(١): «علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم، ويدعونهم إلى النار بأفعالهم؛ فكلما قالت أقوالهم للناس: هلموا... قالت أفعالهم: لا تسمعوا منهم؛ فلو كان ما دعوا إليه حقاً كانوا أول المستجيبين له، فهم في الصورة أدلة وفي الحقيقة قطاع الطرق». اهـ.

وقال الإمام الذهبي رحمه الله في «زغل العلم»^(٢): «إذا رأيت الوعاظ راغباً في الدنيا قليل الدين، فاعلم أن وعظه لا يتجاوز الأسماع، وكم من واعظ مفوه قد أبكى وأثر في الحاضرين تلك الساعة، ثم قاموا كما قعدوا». اهـ.



(١) «الفوائد» ص (٦١).

(٢) «زغل العلم» ص (٥٠).

١٩) الكيل بمكيالين، والوزن بميزانين في الحكم على الأفراد

ومن الظواهر السيئة التي سببت عند البعض ارتجاجاً هو الكيل بمكيالين، والوزن بميزانين في الحكم على الأفراد، فإنه قد يشترك اثنان في خطأ واحد ويكونان بمنزلة متقاربة في العلم والسنّة، ويختلف الحكم عليهما بدون فوارق^(١).

والصادق المخلص يحذر من الكيل بمكيالين: مكيال للنفس يستوفي فيه، ومكيال للمخالف يُخسره فيه ويبخسه حمه، وقد قال تعالى: ﴿وَيَلِدُ لِلْمُطَّفِقِينَ ۚ الَّذِينَ إِذَا أَكَلُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفِونَ ۚ وَإِذَا كَانُوكُمْ أَوْ وَزَوْهُمْ يُخْسِرُونَ ۚ﴾ [المطففين: ١-٣] (٢).

(١) هناك قاعدة متقررة عند العلماء وهي أن العالم السنّي إذا كثرت حسنته فإنها تمنع من القدح فيه، ويحكم على فعله بالخطأ؛ لأن الماء إذا بلغ القلتين لم يحمل الخبث. انظر لمزيد الفائدة حول هذه القاعدة: «جامع بيان العلم وفضله» (٢/٩٣)، و«التمهيد» (٢/٣٤)، و«مجموع الفتاوى» (٢٠/٢٣٢)، و«سير أعلام النبلاء» (٥/٢٧١)، و«إعلام الموقعين» (٣/٢٨٣)، وغير ذلك.

ويإياك أن يختلط عليك أمر هذه القاعدة بقاعدة الموازنات الفاسدة، حيث ألزم بعض الناس العلماء بذكر الموازنة بين الحسنات والسيئات عند الرد على المبدع، وهذه قاعدة باطلة عاطلة، فالعلماء سلفاً وخلفاً لا يذكرون محسن المبتدة إلا حال الترجم، أما عند التحذير من بدعهم وضلالهم فيكتفون بذكر خطر هذه الضلالات والبدع والتحذير منها ومن صاحبها؛ لثلا يغتر به الآخرون، وهذه هي الطريقة الصحيحة والمنهج السوى.

(٢) قال القشيري رحمه الله: «لفظ المطاف يتناول التطفيف في الوزن والكيل، وفي إظهار العيب وإخفائه، وفي طلب الإنفاق والانتصاف؛ ويقال: من لم يرض لأخيه المسلم ما يرضاه لنفسه فليس بمنصف، والمعاشرة والصحبة من هذه الجملة، والذي يرى عيب الناس ولا يرى عيب نفسه من هذه الجملة، ومن طلب حق نفسه من الناس ولا يعطيهم

ف عند تقويم مواقف الرجال كم نستنكر سلوكاً لرجل نخالفه وهو من أهل السنة، فنبذّعه أو نحرّبه بسببه، ثم تمر السنون، ويدور الزمان دورته، ويصدر نفس السلوك في موقف مشابه من داعية نحبه ونتفق معه، فنعمل له ونبرّ ونحسن الظن به، ولا نبذّعه ولا نحرّبه.

والله يقول: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُوْنُوا قَوَّمِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوْ أَوْلَادِكُمْ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَإِنَّ اللَّهَ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّسِّعُ أَهْمَوْيَّةُ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلُوْا أَوْ تُعَرِّضُوا فِيْنَ اللَّهُ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرًا﴾

[النساء: ١٣٥].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُوْنُوا قَوَّمِينَ لَهُ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِي مَنَّكُمْ شَنَعَانَ قَوْمٌ عَلَىٰ أَلَا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَأَقْرَبُوا إِلَيْهِ اللَّهُ أَحَدٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ٨].
وقال ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنْهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقُوا فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الْمُضَيِّفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَإِنَّمَا اللَّهَ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بْنَتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا»^(١).



حقوقهم كما يطلبه لنفسه فهو من هذه الجملة، والفتى من يقضي حقوق الناس ولا يطلب من أحد لنفسه حقاً اهـ. (التفسير الوسيط) (١٨٢٥ / ١٠).

(١) متفق عليه: «البخاري» (٣٤٧٥)، «مسلم» (١٦٨٨) عن عائشة رضي الله عنها.

٢٠ تبع العثرات عند الاختلاف، والسكوت عنها

عند الاختلاف

إن تبع عثرات دعاء أهل السنة عند الاختلاف والسكوت عنها عند الائتلاف ليس من منهج السلف ^(١)، فمنهج السلف رد الزلات الظاهرة وإنكارها عند الاختلاف وعند الائتلاف بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن للتي هي أقوم، أما هذه الطريقة الفجّة فهي طريقة مريبة، وقد قال ﷺ: «إِنَّكَ إِنِّي أَتَبْعَثُ عَوْرَاتِ النَّاسِ أَفْسَدُهُمْ، أَوْ كِدْتَ أَنْ تُؤْسِدُهُمْ» ^(٢).

وكان من دعاء النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ كَلِمَةً الْحَقِّ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا» ^(٣).

(١) علق الشيخ عبد العزيز البرعي حفظه الله على هذه الفقرة بقوله: «فما ظنك بمن يجمعها عند الائتلاف ليبيتها عند الاختلاف، وهو نظام الأرشفة». ثم قال: «وهذه الطريقة استوردها الإخوان المسلمين من الماسونيين للإطاحة بأى شخص متى ما أرادوا، ثم قلّدهم من قلّدهم من أهل السنة» اهـ. قلت: غلق هذا الباب مطلقاً غير صحيح، وفتحه مطلقاً غير صحيح، لكن إذا علمت عند رجل أخطاء يصل ضررها إلى الشرع أو حملة الشرع ونحو ذلك فلا بأس للمتأهلين بتبع أخطائه والرد عليها وعليه، وتحذير الأمة إذا كان في ذلك مصلحة راجحة، لكن المعيب السكوت عن أخطائه إذا كان موافقاً لك، والرد عليه والبحث عن أخطائه إذا اختلفت معه.

(٢) صحيح رواه «أبو داود» (٤٨٨٨) عن معاوية ^{رض}، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (٤٨٨٨)، وشيخنا الوادعي في «ال الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» (١١١٦).

(٣) صحيح رواه «النسائي» (١٣٠٥)، والطبراني في «الدعاء» (٦٢٤) عن عمار بن ياسر ^{رض}، وصححه الألباني في تحقيقه على «الطحاوية» ص (١٠١)، وشيخنا الوادعي في «الجامع في القدر» (ص: ٣٤).

قال بعض السلف^(١): «لا تكن ممن إذا رضي أدخله رضاه في الباطل، وإذا غضب آخر جه غضبه من الحق».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : «ليس لأحد أن يتبع عورات العلماء، ولا له أن يتكلّم فيهم؛ فمن عدل عن الحجّة إلى الظن والهوى فهو ظالم، وكذلك كل من آذى المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا، ومن عظم حرمات الله، وأحسن إلى عباد الله، فهو من أولياء الله» اهـ

وقال ابن رجب رَجُلَ اللَّهِ أَعْلَمُ بِعِيْبِهِ: «وَأَمَّا إِذَا كَانَ مَرَادُ الرَّادِّ بِذَلِكَ إِظْهَارٌ عِيْبٍ مِّنْ رَدَّ عَلَيْهِ وَتَنَقْصَهُ وَتَبَيْنَ جَهْلِهِ وَقَصْوَرِهِ فِي الْعِلْمِ وَنَحْوَ ذَلِكَ كَانَ مَحْرُمًا سَوَاءً كَانَ رَدُّهُ لِذَلِكَ فِي وَجْهِهِ مِنْ رَدَّ عَلَيْهِ أَوْ فِي غَيْبِهِ، وَسَوَاءً كَانَ فِي حَيَاتِهِ أَوْ بَعْدَ مَوْتِهِ، وَهَذَا دَاخِلٌ فِيمَا ذَمَّهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ وَتَوْعِيدٌ عَلَيْهِ فِي الْهَمْزِ وَاللَّمْزِ، وَدَاخِلٌ أَيْضًا فِي قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «يَا مُعْشِرَ الْمُسْلِمِينَ أَمِنُوا عَلَيْهِمْ عُورَتَهُمْ يَتَبعُهُمْ عُورَتُهُمْ تَؤَذِّنَهُمْ وَلَا يَتَبَعُونَ عُورَاتَهُمْ، فَإِنَّمَا يَتَبَعُ عُورَاتَهُمْ يَتَبَعُهُمْ عُورَتَهُمْ وَمَنْ يَتَبَعُ اللَّهَ عُورَتَهُ يَفْضِّلُهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ بَيْتِهِ». وَهَذَا كَلْهُ فِي حَقِّ الْعُلَمَاءِ الْمَقْتَدِيِّ بِهِمْ فِي الدِّينِ، فَأَمَّا أَهْلُ الْبَدْعِ وَالضَّلَالِ وَمَنْ تَشَبَّهَ بِالْعُلَمَاءِ وَلَيْسَ مِنْهُمْ فَيُجُوزُ بِيَانُ جَهْلِهِمْ وَإِظْهَارُ عِيْبِهِمْ تَحْذِيرًا مِّنِ الْاقْتِداءِ بِهِمْ» اهـ.

هذا وقد ابتلينا في هذا العصر بهذه البالية وهي تتبع عشرات وأخطاء علماء أهل السنة ودعاتها لأدنى خلاف معهم، فيكلف بعض الدعاة طلابه بنخل مؤلفات هذا الداعية السنّي وأشرطته ودروسه وخطبه ومحاضراته،

(١) «إغاثة اللهفان» (١/٢٩).

(٢) «مسائل لخصها الشيخ محمد بن عبد الوهاب من كلام ابن تيمية» ص (٣١).

(٣) «الفرق بين النصيحة والتعيير» ص (١٣).

وللفائدة: للشيخ ابن عثيمين رحمه الله كلام نفيس في هذه المسألة في «شرح رياض الصالحين» (٢/٣٩٣-٣٩٥)، و«شرح حلية طالب العلم» ص (٤٠).

و قبل الاختلاف معه كان لا يرى له خطأ يُذكَر ، والله المستعان ، وهذه الطريقة خلاف طريقة السلف وكبار علماء الخلف .

و إن تعجب فاعجب والأعاجب جمة ، أن الذي يقوم بجمع وتتبع عثرات الشيخ والداعية هو طالب من طلابه ، وحسنة من حسناته ، فلا غرابة فنحن في زمن العقوق والجفاء .

قال العالمة الصنعاني رحمه الله^(١) : « لئيم الطلبة وخبيث الحضار عند العالم متبع العثرات ، وكاشف العورات ، ودافن الحسنات ، وما أكثر هذا النوع - لا كثراهم الله - فإنهم الذين أفسدوا معلم العلم ، وملاووا المواقف على العلماء أحاديث كاذبة ... وبئس الجزاء أن يجازي التلميذ شيوخه بإشاعة هفواتهم وزلاتهم فإنه لا بد لكل جواد من كبوة وكل صارم من نبوة :

وَمَنْ ذَا الَّذِي تُرْضِي سَجَایَاهُ كُلُّهَا
كَفَى الْمُرْءَ بُنْلًا أَنْ تُعَدَّ مَعَابِيهُ
فَخَيْرُ النَّاسِ مِنْ أَشَاعَ الْخَيْرَ عَنِ الْعُلَمَاءِ وَأَذَاعَهُ وَدَافَعَ عَنْهُمْ إِنْ سَمِعَ
قَادِحًا فِيهِمْ ... » اهـ .



(١) «التنوير شرح الجامع الصغير» (٩/٥٢٧-٥٢٨).

٦١) **عند الخلاف يصبح الرجل عالماً ويمسي جاهلاً، ويمسي جاهلاً ويصبح عالماً**

ومن زغل بعض الدعاة ما ظهر في الآونة الأخيرة وذلك أنه إذا اختلف عالمٌ أو داعية مع آخر يقوم أحدهما بتجهيل الآخر مباشرةً، وأنه لا يفقه من دين الله شيئاً، وأنه أجهل من حمار أهله، وأنه ... وقد كان عنده قبل الخلاف من الراسخين في العلم، ومن الدعاة المصلحين، فإذا تراجع هذا العالم عن خطئه في نفس المجلس أو في نفس اليوم يعيد له ألقابه المسلوبة ومكانته المنهوبة، ومنها: الشيخ الفاضل، والداعية المبارك، والعالم، والعلامة، والمصلح الكبير، فهل العلم يُسلب بالمخالفة للآخرين؟! ﴿نَيَّغُونِي يُعلِّمُ إِنْ كُنْتُمْ صَدِيقِنَ﴾ [الأعلم: ١٤٣].

هذا والله خلاف ما كان عليه السلف وجرى عليه كبار علماء الخلف، وهو نوع من البهتان الذي اتصف به اليهود، فقد قال عليه السلام لليهود: «فَأَيُّ رَجُلٍ فِيْكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ؟» قَالُوا: ذَاكَ سَيِّدُنَا وَابْنُ سَيِّدِنَا، وَأَعْلَمُنَا وَابْنُ أَعْلَمِنَا. فَلَمَّا أَعْلَنَ إِسْلَامَهُ وَخَالَفَ مَا هُمْ عَلَى نَكْسَوْا عَلَى أَعْقَابِهِمْ، وَقَالُوا: شَرُّنَا، وَابْنُ شَرِّنَا. وَوَقَعُوا فِيهِ -وَجَهَّلُوهُ وَسَفَهُوهُ-

(١).

فوقوع العالم في المخالفة ولو أصبح مبتدعاً لا يسلبه صفة العلم، كما قال الله: ﴿وَأَقْلُ عَيْنَهُمْ بِمَا أَذْنَى مَا تَيَّنَهُ مَا يَتَّنَا فَأَنْسَلَهُ مِنْهَا فَاتَّبعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْفَارِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٥]، فأثبتت له العلم مع أنه انسلح من الدين. وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَّهُ عَلِيَّةً أَنْ يَعْلَمَهُمْ وَعْلَمُوْا بَيْنَ إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء: ١٩٧]، فأثبتت لهم العلم وهم على ضلال.

(١) رواه «البخاري» (٣٣٢٩) و(٣٩١١) عن أنس رض.

وقال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهًا هَوَنَهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية: ٢٣]، فأثبتت له العلم مع أنه ضال.

وكان عَبْرَيْسَرْكَوْلُوسْ في مراسلته يقول: «...إِلَىٰ هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ...»^(١). إذاً نحكم على المبتدع بالبدعة إذا أصبح مبتدعًا، ولا نحكم عليه بالجهل إذا كان ممن عُرف بالعلم، فإثبات العلم شيء، والمخالفه والبدعة شيء آخر، نعم قد يُسلَب منه نور العلم إذا استمر على ضلاله.



(١) متفق عليه: «البخاري» (٧)، «مسلم» (١٧٧٣) عن أبي سفيان رض.

﴿٢٢﴾ عند الخلاف يصبح الرجل سنياً سلفياً ويمسي مبتدعاً ضالاً، ويمسي مبتدعاً ضالاً ويصبح سنياً سلفياً بغير أدلة مرضية أو قواعد علمية

هذه المسألة أيضاً كسابقتها وهي العجلة والتسرع في التبديع أو التسنين بغير أدلة مرضية أو قواعد علمية، فكم من داعية أمسى سنياً ثم حصل بينه وبين زميله خلاف فبدعه وأصبح مبتدعاً، ثم اصطلحا واعتذر بعضهم من بعض فستّنه، وكان قد ملاً الانترنت ضجيجاً بتبديعه، ثم حين اعتذر منه ملاً وسائل التواصل الاجتماعي تسنيّاً له، وأنه قد رجع إلى منهج السلف، وهو إنما رجع إليه واعتذر منه، وقد حصلت فتنة بين أهل السنة شرّقت وغرّبت واستمرت سنين عدداً: ملازم، وردود، وصوتيات، ومحاضرات، ومهرات، ومباريات، وتباغض، وتدابير، ثم نسمع من أحدهم يقول: لو أن فلاناً يعتذر منا فنحن نقبل اعتذاره وينتهي كل شيء ونعود إخوة كما كنا.

فيما سبحانه الله!! أين التراجع عن الأخطاء العقدية، والأخطاء المنهجية، والأخطاء السلوكية، والأخطاء الدعوية التي كنت تتهمه بها؟! أصبحنا كالسياسيين نختلف في الصباح ونصطلح في المساء، والشعوب لا تدرى لماذا اختلفنا ولماذا اصطلحا وإنما هم تبع لحكامهم.



﴿الانتقام للنفس وتصفية الحسابات في وقت الفتن بلباس الشريعة والغيرة على الدين﴾

إن كثيراً من الناس يستتر بالفتنة ويترس بها، فتجده ينتقم لنفسه من خصومه إذا حانت له الفرصة، كل ذلك بلباس الشريعة والغيرة على الدين، وسلفهم في ذلك قاتل خليفة المسلمين عثمان بن عفان رض الذي تستحي منه الملائكة، قتله بحجة الغيرة على الدين والدفاع عن الحق المبين، طعنه الباغي تسع طعنات، ثم قال: ثلاث الله، وست لما في نفسي عليه ^(١).

والمؤمن حقاً لا يشفى غيظه ^(٢)، لا سيما من أخيه السنّي، فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «مَا انتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ يُؤْتَى إِلَيْهِ حَتَّى يُتَهَكَّمَ مِنْ حُرْمَاتِ اللَّهِ، فَيَتَقَمَّلَ اللَّهُ» ^(٣).

والحذر كذلك ممن يبدأ موقفه نصرة لدين الله، ويتهيي بنصرة نفسه وأغراضه الشخصية، فالحذر من انقلاب النوايا في مثل هذه المسائل الشائكة.

قال ابن الجوزي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^(٤): «ومن تلبيس إبليس: قدح بعضهم في بعض طلباً للتشفي، ويخرجون ذلك مخرج الجرح والتعديل الذي استعمله قدماء هذه الأمة للذب عن الشرع، والله أعلم بالمقاصد» اهـ

(١) «سير أعلام النبلاء» (٤/٤٨٤)، «تاريخ الإسلام» (٢/٢٤٢)، «البداية والنهاية» (٧/١٨٥).

(٢) جاء في «تاريخ بغداد» (١٠/٩٤) في ترجمة سعيد بن سليمان المدايني المساحقي القاضي الإمام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما نصه: «قال نوفل بن ميمون: جاء سعيد بن سليمان إلى عبد الله بن محمد بن عمران شاهداً، فرد ابن عمران شهادته، فلما ولّي سعيد القضاء، جاء عبد الله بن محمد بن عمران شاهداً، فأخذ شهادته فنظر فيها ساعة ثم رفع رأسه، فقال: المؤمن لا يشفى غيظه، أوقع شهادته يا ابن دينار، فأوقعها».

(٣) متفق عليه: «البخاري» (٦٨٥٣)، «مسلم» (٢٣٢٨)، واللفظ للبخاري.

(٤) «تلبيس إبليس» ص (١٠٥).

وقال الشيخ عبد السلام بن برجس رَحْمَةُ اللَّهِ^(١): «والله وبالله وتالله لن يفلح من جعل دين الله وشرعه وسنة نبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باً لتصفية الحسابات الشخصية والتشفى ممن نقه أو وضح باطله» اه
قلت: وصدق الشاعر حين قال:

أَسْلَمَنِي قَوْمِي وَلَمْ يَغْضِبُوا لِسَوْءَةِ حَلْتْ بِهِمْ فَادَحَةٌ
 كُلُّ خَلِيلٍ كُنْتُ خَالِلَتُهُ لَا تَرَكَ اللَّهُ لَهُ وَاضِحَةٌ
(٢) كُلُّهُمْ أَرَوَغُ مِنْ ثَلِبٍ مَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالْبَارَحَةِ

فنحن والله وبالله وتالله نرى اليوم هذه المشاهد الظلامية الظالمة تتكرر، فكم من شخص يتخذ المواقف العدائية ضد فلان من الناس؛ لا شيء إلا من أجل أغراض دنيوية، كأن يكون قد أساء إليه في يوم من الأيام بكلمة، أو بموقف، أو لم يمدحه ويجعل له جاهاً بين الناس، أو لم يعطه مالاً، أو من أجل مشاكل أسرية بين النساء أو بين الأولاد...، أو لحسد، أو لأي خلاف حقير دنيوي، فإذا حصل لصاحبه أي فتنه وقف ضده مع خصومه باسم الدفاع عن الحق والدين وإن كان من وقف ضده مظلوماً، فاللهem سلم سلم، ويوم القيامة يبعثر ما في القبور ويحصل ما في الصدور، ﴿يَوَمَئِذٍ تُعرَضُونَ لَا تَخْفَنَ مِنْكُمْ خَافِيَةً﴾ [الحاقة: ١٨]، فالجسد مكسوف عار، وما في الصدور مكسوف، والصحائف مكسوفة، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنَقَّلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].



(١) محاضرة بعنوان «ذم الإرجاء والتحذير من المرجئة» (صوتي).

(٢) «ديوان طرفة بن العبد» ص (٤).

٦٤ تسجيل مكالمات العلماء الهاتفية بغير إذنهم ونشرها بين الناس بقصد الفتنة

من البلايا التي أشعلت الفتن وزادت الطين بلة: تسجيل المكالمات الهاتفية بغير إذن ونشرها بين الناس بقصد الفتنة، فالالأصل في هذه المسألة المنع والتحريم، وقد قال عليه السلام: «إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ الْحَدِيثَ ثُمَّ التَّفَتَ فَهِيَ أَمَانَةٌ»^(١).

وقال عليه السلام: «الْمَجَالِسُ بِالْأَمَانَةِ»^(٢).

قال المناوي رحمه الله^(٣): «فلا يحل لأحد من أهل المجلس أن يفضي على صاحبه ما يكره إفشاوه» اهـ.

وقال فضيلة الشيخ محمد بن سعيد رسلان حفظه الله^(٤): «إذا سجلت مكالمة من تكلمه دون إذنه وعلمه فهذا مكر وخديعة، وخيانة للأمانة، وإن نشرت هذه المكالمة لآخرين فهي زيادة في التخون وهتك للأمانة... وإن فعلت فعلتك الثالثة، فتصرفت في نص المكالمة بتقطيع وتقديم وتأخير ونحو ذلك، إدخالاً أو إخراجاً ودبلاجة، فالآن ترتدي الخيانة مضاعفة وتسقط على أم رأسك في أم الخبائث غير مأسوف على خائن.

تأمل، ولذا ضعف التسجيل عن حجية الإثبات والحكم قضاء إلى رتبة القرائن ولا يُعد دليلاً، ويحتاج إلى إذن كما هو معلوم، وهو هدر إذا

(١) حسن. رواه «الترمذى» (١٩٥٩) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وحسنه الألبانى رحمه الله في «السلسلة الصحيحة» (١٠٩٠).

(٢) حسن. رواه الخرائطي في «مكارم الأخلاق» (٧٠٤) عن علي عليه السلام، وحسنه الألبانى رحمه الله في «صحیح الجامع» (٦٦٧٨).

(٣) «فيض القدير» (٥٦٩/٢).

(٤) (صوتي).

جيء به غير مأذون به، ومعلوم أن كل من سجل لغيره بدون علمه ثم ظهر ذلك فإنه يُعاقب قانوناً، فكيف بشرع ربك؟[؟]
 بهذه خصوصيات الناس، وهذه أسرار الخلق، وهذا تبسيط أخيك معك، وهذا ائتمانه إليك على ما يُلْغَى إياه، والمحدثون رحمة الله عليهم -لنا في هذا سلف- فإن الشيوخ إذا كانوا بمجلس المذاكرة، يعني: يُسقطون الأسانيد ويأتون بالمتون، يتخلصون، أو يأتون في المذاكرة بما لا يرتضونه إسناداً أو متنًا، أو إسناداً ومتناً معاً، إذا كانوا في المذاكرة وحضر بعض الطلاب، يقولون: لا يحل لكم أن ترووا عنا ما سمعتموه في حال المذاكرة.

والخلاصة: أن تسجيل الكلام سواء كان عبر الهاتف أو غيره دون علم المتalking وإذنه فجور وخيانة وجرح في العدالة، ولا يفعلها إلا الضامرون في الدين والخلق والأدب، لا سيما إن تضاعفت كما ذكر، فاتقوا الله عباد الله ولا تخونوا أماناتكم ولا تغدروا بإخوانكم» اهـ.

وقال فضيلة الشيخ محمد بن علي فركوس حفظه الله^(١): «التسجيل الخفي الذي يكون غرضه الواقعة بمن يتكلم، أو غرضه كسر الدعوة الصافية التي يحملها، أو غرضه تغريم دوره للانتهاص منه، أو التسجيل للجهات الحكومية تحريشاً منه لتطويقه أو لسجنه، فهذه أفعال لا تتماشى مع خُلُقِ المسلم والصدق، فالصدق يأبى الخيانة والتلبيس والتديس والتزوير والكذب والافتراء، أما إذا كان لقمع عصابة أو جماعة أشرار، أو أرسله الحاكم لمعرفة جماعات إسلامية مخربة فسجلت عنهم هذه التسجيلات لتطويق الشر، أو إبعاده دفعاً للفساد، وإحقاقاً للعدل، إذا كانت في هذه المعاني فلا بأس في ذلك» اهـ.

(١) من سماعات أبي محمد الطراibiسي.

٣٥ طرح الأسئلة التي يراد من ورائها إيقاع الفتن بين العلماء والدعاة

لا شك أن سؤال العلماء فيما أشكل أمر مهم، قال تعالى: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الْدِّينَ كَيْفَ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].
وقال عليه السلام: «فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعَيْنِ السُّؤَالُ» ^(١).

وهذا أمر مجتمع عليه، أن تسأل العلماء بقصد التعلم عن مسائل في العقيدة، أو في الفقه، أو في المنهج، أو في الجماعات والأحزاب، أو تسأل عن فرد تذكر اسمه وتسأل عنه سؤالاً واضحاً صريحاً بقصد الاستفادة والخير.

لكن من المؤسف له جدًا أن تجد بعض من يتسب إلى طلب العلم الشرعي من يطرح بعض الأسئلة على العلماء بقصد التحرير بين العلماء والمشايخ، بأسلوب أليق ما يكون بفعل الهمج الرعاع من الدهماء، لا يليق بطالب علم يتسب إلى سنة النبي ﷺ، وإلى طلب العلم.

فتتجده يتقصّد طرح أسئلة على بعض المشايخ حول بعض الألفاظ والأقوال والأفعال الصادرة من بعض المشايخ والدعاة الآخرين، والتي ظاهرها الخطأ، وقد يكون قائلها أو فاعلها متاؤلاً، أو لعل السامع لم يفهم مراد المتكلم، أو غير ذلك من الأعذار الشرعية، ثم إذا أجابه الشيخ عن سؤاله يذهب إلى حيث أراد، وينشر مقولته ذلك المجيب في حكم العبارة المنقوله، ويضع لها عنواناً سميّجاً من عنده: (رد الشيخ فلان على فلان)،

^(١) حسن. رواه «أحمد» (٣٠٥٦)، و«أبو داود» (٣٣٧)، و«ابن ماجه» (٥٧٢)، و«الحاكم» (٦٣٠) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وحسنه الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيف سنن أبي داود» (٣٣٧)، و«صحيف سنن ابن ماجه» (٤٧٠)، و«صحيف الجامع» (٤٣٦٣).

مع أنه سأله عن الكلمة أو العبارة أو الفعل أو القول ولم يسم الفاعل أو القائل، وهذا ديدن بعض من يتتبّع إلى طلب العلم، تجد شغله الشاغل في الليل وفي النهار السؤال عن زيد وعبيد، ولا يسأل عن العلم الشرعي ولا يهتم به ولا يهتم بالدعوة ولا يهتم بالعبادة.

فعلى طالب العلم حقاً أن يتَّقِيَ الله سبحانه وتعالى فيما يقول ويذر، ويعلم أنه ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨].

قال الإمام الألباني رحمه الله تعالى^(١): «أنا كثيراً ما أسألك ما رأيك بفلان؟ فأفهم أنه متحيز له أو عليه، وقد يكون الذي يسأل عنه من إخواننا القدامى يقال عنه: انحرف، فأنا أُنصح السائل يا أخي: ماذا تريد بزيد وبكر وعمرو؟ استقم كما أُمِرْتَ وتعلَّمَ العلم، وهذا العلم سيميز لك الصالح من الطالح والمنخطئ من المصيب» اهـ.

وقال العلامة العثيمين رحمه الله تعالى^(٢): «يا أخي لا تجعل ديدنك وهمك ما تقول في فلان؟ ما تقول في فلان؟ كفر فلاناً! بدُّع فلاناً! فسق فلاناً! ما يصير هذا!».

وسائل العلامة ربيع المدخلي حفظه الله^(٣): هل السؤال عن الرجال من هدي السلف؟

فأجاب: «نعم، السؤال عن الرجال من منهج السلف، كما قال ابن سيرين: إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم. لكن في الناس من يسأل بصدق وإخلاص، يريد أن يأخذ دينه من الأكفاء،

(١) «سلسلة الهدى والنور» (٧٨٤).

(٢) «لقاء الباب المفتوح» (٢٢٥).

(٣) «مرحباً يا طالب العلم» ص (٣٣٧).

من أهل العلم والعقيدة الصحيحة والمنهج الصحيح، فهذا له أن يسأل. وبعض الناس يسأل للفتن، في هذا الوقت كثير من الأسئلة، ما رأيك في فلان؟ ما رأيك في فلان؟ ما رأيك في منهج فلان؟ وليس قصده الاستفادة منه، أو الابتعاد عنه، وإنما قصده شيء آخر هو: الإشاعات، ونشر الفتنة بين الناس! فهذه الأسئلة لا تجوز؛ لأنها للفتن، والأمور بمقاصدها.

وأما إذا كان السائل يريد الخير، ويريد أن يتعلم، ويأخذ دينه الصحيح، فيجب أن تدلle على من يأخذ منه العلم» اهـ

وقال العلامة صالح الفوزان حفظه الله^(١): «في بعض الإخوان سامحهم الله يصير عندهم هوئ على أحد أو بغض لأحد من طلبة العلم أو من العلماء فيسألونك عن سؤال أنت تجيب عليه، هم يرگبونه على ذلك الشخص وأنك تعنيه، ويقولون: قال فلان في فلان كذا وكذا، أنت ما طرأ عليك فلان ولا فلان ولا علان، أنت تجيب على سؤال فقط، هم يرگبونه ويقولون: قصده فلاناً، قصده الطائفة الفلانية، ويدبلجون في الأشرطة ويؤلّفون كتاباً فلاناً قال في فلان كذا، وأجاب عن كذا، وقصدهم بهذا الإفساد بين الناس والتحريش بين طلبة العلم وإيقاع العداوة بين طلبة العلم. فنحن نحذركم ونعيذكم بالله من هذه الخصلة، أن لا تغروا بها أو تنطلي عليكم، احذروا منها غاية الحذر» اهـ.

قلت: وقد رد هذا الأسلوب الشنيع وهذه الطريقة السمجة جميع علماء ومشايخ الدعوة السلفية في هذا العصر، كالعلامة عبد العزيز بن باز، والعلامة ابن عثيمين، والعلامة الوادعي، والعلامة صالح الفوزان،

(١) مقطع صوتي.

والعلامة العبّاد، والعلامة عبد العزيز آل الشيخ، والعلامة اللحدان، والعلامة الغديان، والعلامة أحمد بن يحيى النجمي، والعلامة زيد المدخلبي، والعلامة صالح السحيمي، والعلامة محمد آدم الأتيويبي، والعلامة وصي الله عباس، وغيرهم، رحم الله الأموات منهم ومتّع بالأحياء.



٦٦ طغيان الجرح والتعديل والرد على المخالفين على طلب العلم والدعوة إلى الله مخالف لمنهج السلف

لا شك أن الجرح والتعديل مشروع بالكتاب والسنة وإجماع الأمة^(١)، وإن اختلفت أسماؤه، فبعضهم يقول: لا نسميه جرحاً وتعديلًا وإنما هو نصيحة. والبعض يقول: لا نقول: جرحاً وتعديلًا بل أمر بالمعروف ونهي عن المنكر...، والخلاصة: أنه لو لا علماء الجرح والتعديل لاختلط الحابل بالنابل والقابل بالدابر، وأصبح الحق باطلًا والباطل حقًا، لكن نقول: كل شيء زاد عن حدّه انقلب إلى ضده، فالجرح والتعديل كالملح للطعام إن زاد أفسد وإن قلل أفسد، ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدْرٍ﴾ [القرآن: ٤٩].

فالإمام أحمد رحمه الله له كتاب «المسنن» خمسون مجلداً، وأما في باب الردود فليس له إلا جزء يسير لطيف في الرد على الجهمية والزنادقة^(٢)،

(١) أدلة الجرح والتعديل في القرآن الكريم كثيرة، من أشهرها: قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ يُبَشِّرُ بِغَيْرِهِ﴾ [الحجرات: ٦].

وأما أدلة السنة على مشروعية الجرح والتعديل فهي كثيرة كذلك، من أشهرها في التعديل: قول النبي ﷺ: «نَعَمْ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ» متفق عليه: «البخاري» (١١٢٢)، «مسلم» (٢٤٧٩) عن حفصة رضي الله عنها.

وفي الجرح: قول الرسول ﷺ: «بَشَّسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ» متفق عليه: «البخاري» (٦٠٣٢)، «مسلم» (٢٥٩١) عن عائشة رضي الله عنها.

وقد سرد شيخنا العلامة الإمام الوادعي رحمه الله أدلة الجرح والتعديل الكثيرة المتکاثرة في كتبه، منها: «نشر الصحيفة» ص (١٢٥-٦٢)، و«المخرج من الفتنة» (ص: ٢١-٢٦)، و«الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين»، وقد انعقد الإجماع على مشروعية هذا العلم العظيم، نقل الإجماع غير واحد، منهم: الإمام النووي رحمه الله في «رياض الصالحين» باب: مَا يُبَاحُ مِنْ الْغَيْبَةِ ص (٤٣٢).

(٢) لا شك أن الإمام أحمد رحمه الله له كلام كثير في الرجال في كتب الجرح والتعديل، وهكذا الإمام البخاري، وفي صحيح البخاري وبقية كتب السنة أبواب في الرد على الخوارج،

وهو إمام أهل السنة والجماعة، والإمام البخاري رَحْمَةُ اللَّهِ لِهِ «صحيح البخاري»، وله كتاب «خلق أفعال العباد»، وله «الأدب المفرد»، وله كتب كثيرة في العلم، وله جزء يسير لطيف في مسألة القراءة خلف الإمام، يرد فيه على من يقول بعدم القراءة، وكتاب «رفع اليدين في الصلاة» رد فيه على الأحناف عند أن كرهوا رفع اليدين في الصلاة، هذا منهج السلف، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فِيهِمْ دِلْهُمْ أَفَتَدِهُ﴾ [الأعماں: ٩٠].^(١)

قال شيخنا العالمة الوادعي رَحْمَةُ اللَّهِ^(٢): «على أنني أنصحكم أن تقبلوا على العلم النافع، ولا تنشغلوا بالجرح والتعديل فإن هذا يشغلكم. أقبلوا -حفظكم الله- على حفظ القرآن، وعلى حفظ ما استطعتم من سنة رسول الله ﷺ، وعلى تعلم اللغة العربية، وهكذا أيضاً دراسة العقيدة. أقبلوا على العلم النافع أنسف لكم من الكلام في فلان وفلان؛ اللهم إلا إذا رأيت الناس يغترون بهذا الرجل، وهو ملبس مبتدع ضال؛ فلك أن تبين شيئاً من ضلاله بحسب ما تعلم».

والرد على المرجئة، والرد على الجهمية، وغيرهم من أهل البدع، وإنماقصد هنا أنهم لم يفردوا الردود في أجزاء مستقلة إلا الشيء اليسير، ولم ينشغلوا بكثرة الردود عن العلم الشرعي والدعوة إلى الله.

(١) قال الشيخ عبد العزيز البرعي حفظه الله معلقاً على هذه الفقرة: «ونتمنى أن يتفرغ عالم للجرح والتعديل لرجال العصر على طريقة السلف الصالح ليخرج بمؤلف ينفع الله به في بابه» اهـ.

قلت: وأنا أتمنى لو أن عالماً متخصصاً ورعاً تقىاً في هذا العصر يجمع في كتاب واحد جميع المجرورجين المعاصرين، من أفراد، وأحزاب، وجماعات، ومواقع، وكتب، بالأدلة والبراهين، ويكون الكتاب نافعاً من جهتين: الجهة الأولى: التحذير من أهل البدع والأهواء بعلم ودين وعقل. والجهة الثانية: إغلاق الباب أمام بعض الشباب السلفي المتهاور في باب الردود والجرح والتعديل.

(٢) شريط «محاضرة وأسئلة هافتية من إيرلندا».

وقال رَحْمَةُ اللَّهِ^(١): «المبتدعة لا تهتموا بهم ويشغلوك عن طلب العلم، تكفيهم لطمة على الطريق، إذا سجلت شريطاً أو في درس أو في غيرها وإن ركضة أو نطحة أو غير ذلك، ولا تشغلك نفسك بهم جزاكم الله خيراً.

نحن نُعدُك إلى أن تكون مرجعاً للمسلمين، إلى أن تكون مؤلفاً، إلى أن تكون داعياً إلى الله، فهذه هي وظيفة الأنبياء، ما نُعدُك فقط للرد على الإخوان المسلمين وأصحاب جمعية الحكمة، ومن أصحاب جمعية الحكمة؟ حتى أننا نتساءل بهم؟!».

وقال رَحْمَةُ اللَّهِ^(٢): «الذى أنسح به إخواننا بالجد والاجتهاد في تحصيل العلم النافع وألا يشغلوا أنفسهم بما لا يعنיהם، فهذا الاختلاف وهذه الفرقـة ناشئة عن فراغ، والشيخ الغلاني مصيب والشيخ الغلاني مخطئ! والشيخ فلان لا يؤخذ عنه العلم، والشيخ فلان كذا وكذا! فأنا أقول: يجب أن تحدثك نفسك أن تكون مثل الشيخ الغلاني أو أحسن».

وقال رَحْمَةُ اللَّهِ^(٣): «ننصح إخواننا بالإقبال الكلـي على طلب العلم؛ فهذا الاختلاف موجود... بين أهل العلم هو ناشئ عن فراغ، فما أسهل أن تحفظ لك كلمات (فلان حزبي) أو (فلان عميل) وترددـها من هذا المجلس إلى هذا المجلس!»

أريد أن تبدأ بحفظ القرآن، وبحفظ ما استطعت من أحاديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهكذا اللغة العربية، فأنا أقول: إن هذا الصراع عندهم ناشئ عن فراغ أعجبـهم هذا الكلام أم لم يعجبـهم، فلو شغلتـ أنفسـكم بحفظ القرآن وبحصـيلـ العلم النافع لما وجدـتم وقتـاً لهـذاـ الكلام».

(١) «تحفة المعجيب» (ص: ٣٣٢).

(٢) «غارة الأشرطة» (٢/١٠٣).

(٣) «غارة الأشرطة» (٢/٤١١).

وقال رَحْمَةُ اللَّهِ (١) : «إِنِّي أَنْصَحُ طُلَّابَ الْعِلْمِ بِالِإِقْبَالِ الْكُلِّيِّ عَلَى طَلْبِ الْعِلْمِ وَعَدْمِ الالْتِفَاتِ إِلَى هَذِهِ الْأُمُورِ الَّتِي لَيْسَتْ بِضَائِرَةٍ، فَلَا تُشْغِلْ نَفْسَكَ بِالْتَّعَصُّبِ لِفَلَانٍ وَلَا التَّعَصُّبِ لِفَلَانٍ، بَلْ أَقْبَلْ عَلَى طَلْبِ الْعِلْمِ».

ففي ذات مرة كتب إلى أخي... وقال لي: إن الحزبية استفحلت عندنا فماذا أعمل؟ فنصحته وقلت له: أقبل إقبالاً كلياً على طلب العلم ولا تلتفت إلى هذه الأمور، وكان متالما من وضعهم ويريد أن يرد عليهم، فقلت له: لا تشغل نفسك بالردود عليهم فأنت طالب علم تحتاج إلى التزود من العلم، وإذا شغلت نفسك في هذا؛ تُشَغَّلُ عن حفظ القرآن وعن تحصيل العلم النافع، فلا تشغل نفسك بهذا، وأقبل إقبالاً كلياً على تحصيل العلم النافع».

وقال العلامة أحمد النجمي رَحْمَةُ اللَّهِ (٢) : «إِنَّ الْمِبالغَةَ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ تُخْرِجُ طَالِبَ الْعِلْمِ عَنْ نَطَاقِ الْحَقِّ إِلَى الْجُدْلِ، وَتُضِيِّعُ الْوَقْتَ فِي الْكَلَامِ الَّذِي لَا يَتَجَحَّظُ عَنْهُ فَائِدَةٌ، بَلْ يَكُونُ الْإِنْسَانُ فِي حَلْقَةٍ مُفَرَّغَةٍ! فَهَذَا لَا يَنْبَغِي. بَلْ يَجُبُ عَلَى طَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَسْتَغْلِلْ وَقْتَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَفِي الْبَحْثِ عَنِ الْعِلْمِ، وَحُضُورِ الْحَلْقَاتِ».

ولَا بَأْسَ أَنْ يَسْمَعَ التَّحْذِيرَ مِنْهُمْ مِنْ عُلَمَاءِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَبِيَانِ صَفَاتِهِمْ حَتَّى يَحْذِرُهُمْ، أَمَّا أَنَا جَعَلْنَا كُلَّ أَوْقَاتِنَا فِي الْكَلَامِ فِيهِمْ وَلَا نُشَغِلُ بِطَلْبِ الْعِلْمِ الَّذِي يَنْفَعُنَا! فَهَذَا لَا شَكَّ خَطأً كَبِيرًا، وَخَطأً عَظِيمًا» اهـ.



(١) «غارة الأشرطة» (١/٧٤).

(٢) «الفتاوى الجلية» (ص ٢٧-٢٨).

٢٧ إتقان بعض المسائل العلمية ثم طرحها في المجالس ليقال: عالم محرر ومدقق

ومن المظاهر المخزية وهي صورة من صور التعاليم أنك ترى بعض طلبة العلم يتقن مسألة من مسائل العلم الفرعية ويحيطها^(١) بحثاً ليلاً ونهاراً وربما يستمر في بحثها الزمن الطويل، ويحفظ الأقوال والردود والراجح والمرجوح في هذه المسألة ثم يفتح هذه المسألة في المجالس بطريقة أو بأخرى حتى يقال عنه: بحر لا ساحل له في العلم، وأنه من الباحثين المدققين المحررين المتحررين. فإن سأله عن مسألة في نفس الباب حار عن الجواب، بل لو سأله في أصول الدين وفي الكليات والقطعيات والثوابت لا يحسن جوابها.

قال الإمام ابن بطة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٢): «اعلموا إخواني أني فكرت في السبب الذي أخرج أقواماً من السنة والجماعة واضطربهم إلى البدعة والشناعة، وفتح باب البلية على أفئدتهم، وحجب نور الحق عن بصيرتهم، فوجدت ذلك من وجهين، أحدهما: البحث والتنقير وكثرة السؤال عما لا يعنيه ولا يضر العاقل جهله ولا ينفع المؤمن فهمه ... إلخ».

وقال الشيخ بكر أبو زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٣): «احذر ما يتسلى به المفلسون من العلم، يراجع مسألة أو مسائلتين، فإذا كان في مجلس فيه من يشار إليه، أثار البحث فيهما، ليظهر علمه! وكم في هذا من سوءة، أقلها أن يعلم أن الناس

(١) قتل الموضوع بحثاً: درسه من جميع جوانبه. انظر: «معجم اللغة العربية المعاصرة» (١٧٧٤ / ٣).

(٢) «الإبانة» (١ / ٣٩٠).

(٣) «حلية طالب العلم» (ص: ١٩٨).

يعلمون حقيقته» اهـ.

وقال شيخنا الوادعي رحمه الله^(١): «ولكن بعض طلبة العلم رضي بما عنده من العلم وأصبح يجادل به كل من خالقه.

وهذا سبب من أسباب الفرقـة والاختلاف، روى الإمام الترمذـي في جامـعـه^(٢) عن أبي أمـامـة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مـا ضـلـلـ قـوـمـ بـعـدـ هـدـيـ كـانـوا عـلـيـهـ إـلـاـ أـتـوـاـ الـجـدـلـ»، ثـمـ تـلـاـ هـذـهـ الـآـيـةـ: ﴿مـا ضـرـبـ يـوـهـ لـكـ إـلـاـ جـدـلـ بـلـ هـمـ قـوـمـ خـصـمـونـ﴾ [الخرف: ٥٨].

وقال الشيخ عبد السلام بن برجـس رحمـهـ اللهـ^(٣): «... وقد بلينا في هذا الزـمنـ بـشـرـذـمةـ قـلـيلـةـ وـهـ اللـهـ الـحـمـدـ يـقـرـؤـونـ كـتاـبـاـ أوـ كـتاـبـيـنـ، وـيـحـفـظـونـ مـسـأـلـةـ أوـ مـسـأـلـتـيـنـ، ثـمـ بـعـدـ يـوـمـ أوـ يـوـمـيـنـ مـنـ أـعـمـارـهـمـ فـيـ الـطـلـبـ يـصـبـحـونـ مجـتـهـدـيـنـ، وـلـيـتـهـمـ يـقـتـصـرـوـنـ عـلـىـ هـذـاـ الـخـيـالـ الـكـاسـدـ، بـلـ يـسـتـصـغـرـوـنـ غـيرـهـمـ مـنـ الـعـلـمـاءـ، بـلـ طـلـبـ الـعـلـمـ وـالـدـعـاـةـ، وـيـرـوـنـ لـأـنـفـسـهـمـ مـكـانـاـ عـالـيـاـ لـاـ يـصـلـ إـلـيـهـ أـحـدـ، يـظـهـرـ ذـلـكـ عـلـىـ مـلـابـسـهـمـ، وـمـشـيـهـمـ، وـكـلامـهـمـ، فـإـنـاـ اللـهـ وـإـنـاـ إـلـيـهـ رـاجـعـونـ، مـاـ أـعـظـمـ ضـرـرـهـمـ وـأـقـلـ نـفـعـهـمـ، وـأـمـتـنـ جـهـلـهـمـ! نـسـأـلـ اللـهـ تـعـالـىـ أـنـ يـهـدـيـهـمـ سـوـاءـ السـبـيـلـ...» اهـ.



(١) التـرـجمـةـ (صـ: ٢٠١).

(٢) صحيح رواه «أحمد» (٢٢١٦٤)، و«الترمذـي» (٣٢٥٣)، و«ابن ماجـه» (٤٨)، و«الحاكم» (٣٦٧٤)، وحسـنـهـ الأـلـبـانـيـ رـحـمـهـ اللهـ فيـ صـحـيـحـ الجـامـعـ (٥٦٣٣)، وصـحـحـهـ شـيـخـناـ الوـادـعـيـ رـحـمـهـ اللهـ فيـ صـحـيـحـ الصـحـيـحـ (٤٥٢٣).

(٣) عـوـائـقـ الـطـلـبـ (صـ: ٤٠).

﴿ العجلة في التصدر في فتاوى النوازل، وفي
الدعوة، والتأليف. ﴾

قال ابن الجوزي رحمه الله^(١): «فصل: فليسمع هذه النصيحة من يخاف على دينه، ويعرض على طلب الرئاسة في غير وقتها، فقد قال الحكماء: من تصدر وهو صغير فاته علم كثير» اهـ

قلت: وفي القاعدة المتفق عليها في الجملة «من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه»، ومن منهج أهل السنة والجماعة «التأهيل قبل التشغيل».

قال بكر أبو زيد رحمه الله^(٢): «فكم رأينا نِزَالًا في حَلَائِبِ الْعِلْمِ، مِنْ رَأَيْمَ الْبُرُوزِ قَبْلَ أَنْ يَنْضُجَ، وَتَرَبَّبَ قَبْلَ أَنْ يَتَحَصَّرَ» اهـ.
وقال الألباني رحمه الله عن هذا الصنف: «طار ولمّا يريش بعد»^(٣).



(١) «تعظيم الفتيا» ص (١٣٠).

(٢) «التعالم» ص (٧).

(٣) «صحيح الترغيب والترهيب» (١١/١)، وهي مقوله الذهبي رحمه الله قبل الألباني رحمه الله، انظر: «سير أعلام النبلاء» (٣٧٧/١٣).

﴿٢٩﴾ زيف بعض الدعاة بسبب الطمع وحب المال

لا شك أن النفوس قد جُبلت على حب المال، قال تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًا جَمَّا﴾ [النجر: ٢٠]، وروى البخاري ومسلم^(١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «لَوْ كَانَ لَابْنِ آدَمَ وَادِيَانٍ مِنْ مَالٍ لَا يَتَغَيِّرُ ثَالِثًا، وَلَا يَمْلأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ».

وروى البخاري ومسلم^(٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَكْبِرُ ابْنُ آدَمَ وَيَكْبِرُ مَعَهُ اثْنَانٌ: حُبُّ الْمَالِ، وَطُولُ الْعُمُرِ». وقد حذر النبي ﷺ أمته من فتنة المال، فروى البخاري ومسلم^(٣) من حديث عمرو بن عوف رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال لأصحابه: «فَأَبْشِرُوا وَأَمْلُوا مَا يُسْرُكُمْ، فَوَاللهِ لَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنَّ أَخَشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَىٰ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا وَتَهْلِكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ».

لذلك تجد بعض الدعاة يضعف ضعفاً شديداً أمام المال، فتجده في الدعوة والعبادة سنياً، وفي المعاملة المالية جنباً، يأخذ المال من حلّه وحرامه، قال الألباني رحمه الله^(٤): «قد يكون الشخص سلفياً في عقيدته، ولكنه ليس سلفياً في تربيته وسلوكيه» اهـ

فمن الدعاة من اتجه للتجارة وترك الدعوة، ومن الدعاة من اتجه للرقية وترك الدعوة، ومن الدعاة من اتجه للسياسة وترك الدعوة، ومن

(١) «البخاري» (٦٤٣٦)، «مسلم» (١٠٤٩).

(٢) «البخاري» (٦٤٢١)، «مسلم» (١٠٤٧).

(٣) «البخاري» (٣١٥٨)، «مسلم» (٢٩٦١).

(٤) «سلسلة الهدى والنور» شريط رقم (٧٨١).

الدعاة من سافر إلى بعض البلاد وترك الدعوة، ومن الدعاة من خطفته بعض الجماعات والأحزاب وترك الدعوة... .

حقاً لقد فتن المال خلقاً كثيراً، وهذا مصدق لقوله ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً وَفِتْنَةً أَمَّتِي الْمَالُ»^(١).

ومن الأدلة على أن سبب زيف كثير من الناس هو المال: قوله ﷺ: «الْفَقْرَ تَخَافُونَ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتُصَبِّنَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا صَبَّاً، حَتَّى لا يُرِيغَ قَلْبَ أَحَدِكُمْ إِزَاغَةً إِلَّا هِيَهُ...»^(٢).

قال سفيان الثوري رضي الله عنه: «الْعَالَمُ طَيْبٌ هَذِهِ الْأُمَّةُ، وَالْمَالُ الدَّاءُ، فِإِذَا كَانَ الطَّيْبُ يَجْرُ الدَّاءَ إِلَى نَفْسِهِ كَيْفَ يُعَالِجُ غَيْرَهُ؟» اهـ.

قال ابن المبارك رضي الله عنه في هذا الصنف من الدعاة:

يَصْطَادُ أَمْوَالَ الْمُسَاكِينِ بِحِيلَةٍ تَذْهَبُ بِالدِّينِ كَنْتَ دَوَاءً لِلْمَجَانِينِ عَنْ أَبْنِ عَوْنَٰنِ وَأَبْنِ سِيرِينِ وَتَرُكَ أَبْوَابَ السَّلَاطِينِ زَلَّ حِمَارُ الْعِلْمِ فِي الطِّينِ ^(٤)	يَا جَاعِلَ الْعِلْمَ لَهُ بَازِيَا احْتَلْتَ لِلْدُنْيَا وَلَذَاتِهَا فَصِرْتَ مَجْنُونًا بِهَا بَعْدَمَا أَيْنَ رِوَايَاتُكَ فِيمَا مَضَى وَدَرْسُكَ الْعِلْمَ بِأَثَارِهِ تَقُولُ أَكْرَهْتُ فَمَاذا كَذَا
---	--

(١) صحيح رواه «الترمذى» (٢٣٣٦) عن كعب بن عياض رضي الله عنه، وصححه الألبانى رضي الله عنه في «السلسلة الصحيحة» (٥٩٢)، وحسنه شيخنا الوادعى رضي الله عنه في «ال الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» (١٠٩٣).

(٢) حسن رواه «ابن ماجه» (٥) عن أبي الدرداء رضي الله عنه، وحسنه الألبانى رضي الله عنه في «السلسلة الصحيحة» (٦٨٨).

(٣) «حلية الأولياء» (٦/٣٦١)، «سير أعلام النبلاء» (٧/٢٤٣)، «تذكرة الحفاظ» (١٠/٢٣٣)، «تاريخ الإسلام» (٩/١٥٢).

(٤) «جامع بيان العلم وفضله» (٩/٦٣٧)، «سير أعلام النبلاء» (٩/١١٠).

فالواجب على الدعاة وطلاب العلم الصبر على الفقر، لذلك كان يكرر الشنقيطي رحمه الله صاحب «أصوات البيان» هذا البيت:

الجُوعُ يُطْرَدُ بِالرَّغْيِفِ الْيَاسِ
فَعَلَامَ تَكُثُرُ حَسْرَتِي وَوَسَاوِسِي

وهذه سنة الله في الدعاة وطلاب العلم أن الله اختار لأكثرهم الفقر، حتى قال أحدهم:

قال لي: في عمامٍ الفقهاء	قلتُ للفقر: أين أنت مقيم؟
وعزيزٌ علىٰ تراث الإخاء!	إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ لِإِخَاءٍ

وقال آخر: الفرق بين الفقيه والفقير:
 إن الفقيه هو الفقير وإنما رأى الفقير تجمعت أطرافها
 وقد فضل ابن القيم رحمه الله في كتابه الماتع العظيم «مفتاح دار السعادة»
 العلم على المال من خمسين وجهًا.
 فوصيتي للدعاة هي وصية النبي صلوات الله عليه وسلم لنا جميعًا: «...وَارْضُ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ...»^(١).
 قال الشاعر:

لَنَا عِلْمٌ وَلِلْجُهَالِ مَالٌ	رَضِينَا قِسْمَةَ الْجَبَارِ فِينَا
وَكَنْزُ الْعِلْمِ بَاقٍ لَا يَرَالُ	فَكَنْزُ الْمَالِ يَفْنَى عَنْ قَرِيبٍ



(١) حسن رواه «أحمد» (٨٠٩٥)، و«الترمذى» (٢٣٠٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٩٣٠)، و«صحیح الجامع» (١٠٠).

﴿٣٠﴾ غياب القدوة أحياناً، خاصة في باب السلوك ومكارم الأخلاق

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله^(١): «من أصول أهل السنة والجماعة الدعوة إلى مكارم الأخلاق».

لذلك أمر الله نبيه ﷺ أن يقتدي بالأنبياء وهم أكمل الناس أخلاقاً، حيث قال سبحانه: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فِيهِدَنَاهُمْ أَقْتَدَهُ﴾ [الأعماں: ٩٠]. وأمرنا أن نقتدي به ﷺ وهو أكمل الناس أخلاقاً، حيث قال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقال الله عن أخلاق نبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

والعلماء والدعاة هم ورثة الأنبياء في العلم والأخلاق، فينبغي أن يكون الداعية طليق الوجه، حليمًا صبوراً كريماً، ملازمًا للورع والتواضع واللوقار وجميع مكارم الأخلاق ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وأن يتتجنب ما يذهب المروءة ويزيل الهيبة؛ مثل كثرة الضحك والمزاح، وأن يحافظ على مظهره الخارجي وغير ذلك ^(٢).

قال شيخنا الوادعي رحمه الله^(٣): «حسن الخلق وحسن المعاملة الطيبة، ربما تكون أبلغ وأبلغ من ألف موعظة» اهـ.



(١) «العقيدة الواسطية» ص (١٢٩).

(٢) للاستزادة في هذا الموضوع انظر كتاب: «أخلاق العلماء» للأجري.

(٣) شريط «أسئلة من لندن».

العنصرية في بعض الدعاة إما بالحسب أو النسب أو البلد، أو الغنى أو الفقر

اعلم رحمني الله وإياك أن ميزان التفاضل بين الناس ومقاييس الكراهة عند الله تعالى هو التقوى، قال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائلَ لِتَعَارِفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنفَقْتُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِخَيْرٍ﴾ [الحجرات: ١٣].

فقد ذكرت هذه الآية ثلاثة أشياء: المساواة، وتعارف المجتمع الإنساني، وحصر التفاضل بالتقوى والعمل الصالح. والمراد بالمساواة بين الناس: المساواة في الأصل والمنشأ، فهم جميعاً من أب واحد وأم واحدة.

أما اختلاف الألسنة والألوان والمواهب والطبع والاستعدادات والغنى والفقير فهذه الأشياء لا ينبغي أن تكون مدعاه للتفاخر والتعاظم على الآخرين، فالأكرم عند الله الأتقي والأصلاح في نفسه وللأمة المسلمة، قال عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ» ^(١).

وقد حارب عليه السلام هذه الأخلاق النازلة الدينية فقال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عَيْنَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَعَاظَمَهَا بِأَيَّاهَا، فَالنَّاسُ رَجُلَانِ: بُرُّ تَقِيٌّ كَرِيمٌ عَلَىٰ اللَّهِ، وَفَاجِرٌ شَقِيقٌ هَيْنُ عَلَىٰ اللَّهِ، وَالنَّاسُ بُنُوْ أَدَمَ، وَخَلَقَ اللَّهُ أَدَمَ مِنْ تُرَابٍ» قال الله: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائلَ لِتَعَارِفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَقْتُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِخَيْرٍ﴾ [الحجرات: ١٣].

(١) رواه «مسلم» (٢٥٦٤) عن أبي هريرة ^{رض}.

(٢) صحيح رواه «الترمذى» (٣٢٧٠) عن ابن عمر ^{رض}، وحسنه الألبانى ^{رحمه الله} في «صحيح الجامع» (٧٨٦٧)، وصححه شيخنا الوادعى ^{رحمه الله} في «الصحيح المسند» (٧٨٩).

والحاصل أن أساس التفاضل في الإسلام هو تقوى الله تعالى، ولكن من ضعف دينه لا يحكم بميزان الشرع وإنما بالعادات والتقاليد والأعراف والأهواء.

فالغني منهم يحتقر الفقير، وصاحب النسب يحتقر وضع النسب، والأبيض يحتقر الأسود، والعربي يحتقر العجمي وهكذا، وإن كان المحتقر أفضل منهم علمًا وتقوى ودعوة ونفعًا للأمة في بلاده، لكن هذا ميزان عامة الناس وليس ميزان أهل العلم والتقوى.

قال العلماء: العِلم رَحْمٌ بين أهله، وَصَلَةُ خَيْرٍ بين أصحابه وَحَمَلَتْه. وقال بعض العلماء: العوام ينسبون بالأولاد، والأغنياء بالأموال، والعلماء ^(١) بالعلم.

فكم من العلماء العظام من الموالي والأعاجم ^(٢)، فقانون العلم والتقوى فوق كل القوانين، قال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ درجتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

وقال عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ» ^(٣).



(١) «النكت في المسائل المختلفة فيها بين الشافعي وأبي حنيفة» ص (٢٨).

(٢) وانظر لمزيدفائدة: «فتح المغيث» للسعراوي (٤/٣٩٣-٣٩٩)، فقد ذكر باباً مستقلًا في هذه المسألة بعنوان: «الموالي من العلماء والرواة».

(٣) رواه «مسلم» (٨١٧) عن عمر رض.

﴿ الاهتمام بالظاهر أكثر من المخبر خلل في التربية ﴾

خلق الله الإنسان في أحسن تقويم، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا إِلَيْنَاهُ فِي أَحْسَنِ تَوْبِيرٍ﴾ [الذين: ٤]، وأنعم عليه بالظاهر الجميل، والمخبر السويّ الجليل، قال الله تعالى: ﴿يَتَأَبَّلُ إِلَيْهَا إِلَيْنَاهُ مَا غَرَّكُ بِرِبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الذى خلقك فسوانك فعدلك] في أي صورة مَا شاء رَبُّكَ [الأنطاف: ٦-٨]. واكمال جمال الإنسان بصلاح المخبر الذي يُبرّز حسن المظهر، ونقاء الجوهر الذي يُثمر طيب المنظر.

ولئن كان المظاهر هو محل اهتمام الخلقي ومستوى إدراكهم، فإن المخبر هو محل نظر الله تعالى، في ينبغي الاهتمام به أكثر.

قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ صُورَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَيْهِ قُلُوبَكُمْ وَأَعْمَالَكُمْ»^(١).

وقال ﷺ: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»^(٢).

فينبغي على الداعية والمربي أن يهتم بالمخبر أكثر من المظاهر فيربي طلابه، وقبل ذلك نفسه على الإخلاص والورع والخشية والخوف من الله والتواضع والمراقبة وجميع أعمال القلوب.

قال ابن القيم رحمه الله^(٣): «اعلم أن الجمال ينقسم قسمين: ظاهر، وباطن، فالجمال الباطن هو المحبوب لذاته، وهو جمال العلم والعقل والوجود والعفة والشجاعة، وهذا الجمال الباطن هو محل نظر الله من عبده

(١) تقدم تخریجه.

(٢) متفق عليه، «البخاري» (٥٢)، «مسلم» (١٥٩٩) عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٣) «روضة المحبين» (ص: ٢٢١).

وموضع محبته كما في الحديث الصحيح «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكُنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»، وهذا الجمال الباطن يزيّن الصورة الظاهرة وإن لم تكن ذات جمال، فتكسوا صاحبها من الجمال والمهابة والحلاؤة بحسب ما اكتسبت روحه من تلك الصفات، فإن المؤمن يعطي مهابة وحلاؤة بحسب إيمانه، فمن رآه هابه، ومن خالطه أحبه، وهذا أمر مشهود بالعيان، فإنك ترى الرجل الصالح المحسن ذا الأخلاق الجميلة من أحلى الناس صورة وإن كان أسود أو غير جميل، ولا سيما إذا رزق حظًّا من صلاة الليل فإنها تنور الوجه وتحسنـه.

وقد كان بعض النساء تكثر صلاة الليل، فقيل لها في ذلك، فقالت: إنها تحسن الوجه، وأنا أحب أن يحسن وجهي. ومما يدل على أن الجمال الباطن أحسن من الظاهر: أن القلوب لا تنفك عن تعظيم صاحبه ومحبته والميل إليه» اهـ.



﴿ الاستدلال بأخطاء العلماء على صحة مذهب الخاطئ ﴾^(٣)

العلماء والدعاة ليسوا بمعصومين من الخطأ، فكل ابن آدم خطاء، لكن من العيب الكبير أن تجد بعض الدعاة يخطئ في بعض المسائل المنصوص عليها، أو المُجْمَع عليهما، أو الخلاف فيها ضعيف جداً، فإذا أُخرجَ بحثَ عن أخطاء بعض العلماء التي توافقه على خطئه ويستدل بها على صحة قوله، فيقول: إن فلاناً من العلماء قال بهذا القول... وهكذا، فتقول له: أقوال العلماء يُحتاجُ لها بالأدلة ولا يُحتاجُ بها كالأدلة، ويستدل لها ولا يستدل بها، فالعالم دليل إلى الدليل، وليس قوله دليلاً مستقلاً عن الدليل.

فيا عجباً من دعاة يقول لهم: قال الله، قال رسوله ﷺ. فيقول لك: لكن قال فلان وفلان^(١).

قال الخطابي رحمه الله^(٢): «ليس الاختلاف حجّة، وبيان السنّة حجة على

(١) فائدة: أثر ابن عباس رضي الله عنهما: (يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله ﷺ وتقولون: قال أبو بكر وعمر). (لا أصل له بهذا اللفظ)، والذي صحَّ عن ابن عباس رضي الله عنهما هو ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣١٢١)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢٤٠ - ٢٣٩ / ٢)، والخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» أن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (أراهم سيهلكون، أقول: قال النبي ﷺ، ويقولون: قال أبو بكر وعمر) صصحه العلامة أحمد شاكر في تحقيق «المسنن» (٣١٢١).

وجاء بلفظ: (والله ما أراك متهين حتى يعذبكم الله، أحدثكم عن رسول الله ﷺ وتحذونا عن أبي بكر وعمر). صصحه محققاً «زاد المعاد» (٢٠٦ / ٢) شعيب الأرناؤوط عبد القادر الأرناؤوط.

انظر كتابي: «إسعاف الأخيار بما اشتهر ولم يصح من الأحاديث والآثار والقصص والأشعار» (٢٦٣ / ٢).

(٢) «أعلام الحديث» (٣ / ٢٠٩٢).

المختلفين من الأولين والآخرين».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله^(١): «وليس لأحد أن يحتج بقول أحد في مسائل النزاع وإنما الحجة النص والإجماع، ودليل مستنبط من ذلك تقرر مقدماته بالأدلة الشرعية لا بأقوال بعض العلماء؛ فإن أقوال العلماء يحتج لها بالأدلة الشرعية لا يحتج بها على الأدلة الشرعية» اهـ

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله^(٢): «ولسنا ممن يعرف الحق بالرجال وإنما ممن يعرف الرجال بالحق، ولسنا ممن يعرض الحق على آراء الخلق فما وافقه منها قبله وما خالفه رده! وإنما نحن ممن يعرض آراء الرجال وأقوالها على الدليل بما وافقه منها اعتد به وقبله وما خالفه خالقه».

وقال رحمه الله^(٣): «أما أن نقعد قاعدة ونقول هذا هو الأصل، ثم تردد السنة لأجل مخالفته تلك القاعدة!! فلعمرا الله، لهدم ألف قاعدة لم يؤصلها الله ورسوله أفرض علينا من ردّ حديث واحد» اهـ.



(١) «مجموع الفتاوى» (٢٦/٢٠٢).

ولمزيد الفائدة انظر كتاب «الاحتجاج بالخلاف حقيقته وحكمه» للدكتور أسامة بن محمد الشيبان.

(٢) «الفروسية» (ص: ٤١).

(٣) «إعلام الموقعين» (٢/٣٦٨).

﴿٣﴾ ضعف التحاسم للكتاب والسنة عند الخلاف

إن مما يتضمنه الإيمان بالله ورسوله وجوب الرجوع عند النزاع إلى الله ورسوله، قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَنْزَعُمُ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النساء: ٥٩].

قال ابن القيم رحمه الله^(١): ﴿فَإِنْ تَنْزَعُمُ فِي شَيْءٍ﴾ نكرة في سياق الشرط تعم كل ما تنازع فيه المؤمنون من مسائل الدين دقه وجله، جليه وخفيه، ولو لم يكن في كتاب الله وسنة رسوله بيان حكم ما تنازعوا فيه، ولم يكن كافياً لم يأمر بالرد إليه إذ من الممتنع أن يأمر تعالى بالرد عند النزاع إلى من لا يوجد عنده فصل النزاع، وقد أجمع الناس أن الرد إلى الله جل جلاله هو الرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول عليه السلام هو الرد إليه نفسه في حياته وإلى ستته بعد موته» اهـ.

فالواجب على الدعاة قبل غيرهم إذا دب خلاف ونزاع بينهم أن يبادروا في سرعة البرق إلى التحاسم إلى كتاب الله وسنة النبي عليه السلام؛ لأنهم قدوة للآخرين، قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَّاعُوا يَهُ وَلَوْرَدُوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَئِكَ أُولَئِكَ أَمْرٌ مِّنْهُمْ لَعِلْمُهُ الَّذِينَ يَسْتَنْطِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٣٣].

فإذا ظهر الحق بأدله لفلان لزم الآخر الانصياع والإذعان لحكم الله ورسوله، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمْ الْخَيْرَ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

قال ابن كثير رحمه الله^(٢): «فهذه الآية عامة في جميع الأمور، وذلك أنه إذا

(١) «إعلام الموقعين» (١/ ٣٩).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٤٢٣).

حُكْمَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ بِشَيْءٍ فَلَيْسَ لِأَحَدٍ مُخَالِفَتُهُ، وَلَا اخْتِيَارٌ لِأَحَدٍ هَا هَنَا، وَلَا رَأْيٌ وَلَا قَوْلٌ، كَمَا قَالَ تَبَارُكَ وَتَعَالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَحْدُوْا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَإِلَيْهِمْ أَوْ سِلِّيْمًا﴾ [النساء: ٦٥]، وَلَهُذَا شَدَّدَ فِي خَلَافِ ذَلِكَ، فَقَالَ: ﴿وَمَنْ يَعْصِي اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَقَدَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]، كَقُولَهُ تَعَالَى: ﴿فَلَيَحْذِرُ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

وَقَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ فِي تَفْسِيرِ قُولَهُ تَعَالَى: ﴿فَلَيَحْذِرُ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]؛ «أَيْ: عَنْ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَسَبِيلِهِ وَمَنْهَا جَهَ وَطَرِيقَتِهِ وَسَنَتِهِ، وَشَرِيعَتِهِ، فَتَوَزَّنَ الْأَقْوَالُ وَالْأَعْمَالُ بِأَقْوَالِهِ وَأَعْمَالِهِ، فَمَا وَاقَعَ ذَلِكَ قُبْلًا، وَمَا خَالَفَهُ فَهُوَ مَرْدُودٌ عَلَىٰ قَائِلِهِ وَفَاعِلِهِ كَائِنًا مِنْ كَانَ»^(١).

وَإِنْ تَعْجَبْ فَاعْجَبْ وَالْأَعْجَبْ جَمِّةً مِنْ بَعْضِ الدُّعَاءِ إِلَى اللَّهِ الَّذِينَ يَدْعُونَ الْقَرِيبَ وَالْبَعِيدَ، وَالصَّغِيرَ وَالكَبِيرَ، وَالرَّجُلَ وَالمرْأَةَ، وَالغُنْيَ وَالْفَقِيرَ، وَالحاكمَ وَالْمُحْكُومَ، إِلَى التَّحْكِيمِ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فِي خُطُبِهِمْ، وَمَحَاضِرِهِمْ، وَدُرُوسِهِمْ، وَكِتَبِهِمْ، فَإِذَا اخْتَلَفَ هُوَ مَعَ بَعْضِ الدُّعَاءِ تَجِدُهُ فِي حَقِيقَةِ الْأَمْرِ مِنْ أَبْعَدِ النَّاسِ عَنِ التَّحْكِيمِ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فِي هَذِهِ الْمُسَأَّلَةِ، وَصَدَقَ اللَّهُ الْقَائِلُ: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيُحَكِّمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [٤٨] وَإِنْ يَكُنْ لَهُمْ لَهُمْ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذَعِّنِينَ [٤٩] [النور: ٤٨-٤٩].

فَإِذَا دُعِيَ إِلَى التَّحْكِيمِ لِلشَّرْعِ يَحِصُّ وَيَمِيْصُ، وَيَلِفُ وَيَدُورُ، وَيَحْلِفُ الْأَيْمَانَ الْمُغَلَّظَةَ أَنْ خَصِّمَهُ كَذَابٌ وَمَرَاوغٌ وَلَنْ يَقْبَلْ بِحُكْمِ الشَّرْعِ وَيَسْتَمِرَ النَّزَاعُ وَالخَلَافُ بَيْنَهُمْ وَيَذْهَبُ كُلُّ فِي طَرِيقٍ، وَمَا رَأَيْتَ خَلَافًا بَدَأَ

(١) «تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ» (٦/٨٢).

في الدعوة والتأم أبداً إلا أن يشاء الله، ثم تكون مآلاته هذا الخلاف أن يسقط بعضهم في وحل المعا�ي والتحزبات والبدع والخرافات وفي أحضان الجماعات الذين يقولون له كما قال ملك غسان لكعب ﷺ حين

هجره النبي ﷺ: «الْحَقُّ بِنَا نُوَاصِكَ»^(١).

والخلاصة: أن الدعاة المختلفين:

- ١ - لم يجلسوا مع بعضهم البعض ويناقشوا المسائل المختلفة فيها بروح الأخوة، ويرددوا المسائل المختلف فيها بكل تجرّد للكتاب والسنة بفهم السلف الصالح.
- ٢ - لم يحتكموا لكتاب الدعوة في بلادهم، ويرضوا بحكمهم ويكون فيصالاً للنزاع وإطفاء للفتنة، وللأسف أنك تجد العامة تحتمل للدعوه في مسائل كبيرة ويرضون بحكمهم ويسلمون تسليماً، وبعض الدعاة للأسف لم يفعلوا كما فعل العامة، فكلُّ يرى نفسه أكبر من الآخر، والله يقول لنبيه داود عليه السلام وهونبي: ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَنْتَعِذْ أَهْوَى﴾ [ص: ٢٦].
- ٣ - لم يرفعوا المسائل التي اختلفوا فيها إلى أكبر عالم من أهل السنة في بلدتهم، فإن لم يكن فيرفعوا قضيتهم إلى أكبر عالم سنة على وجه الأرض ثم يقبلوا بحكمه، وهذا سهل وميسر في هذا الزمان والله الحمد.
- ٤ - في بعض الأحيان يحل مشاكل الدعوة والمعلمين والخطباء والناصحين بعض الوجاه أو مشايخ القبائل.
- ٥ - في بعض الأحيان تصل مشاكل الدعوة إلى أقسام الشرطة وتحل هناك.
- ٦ - قد تصل بعض مشاكل الدعوة أحياناً إلى المحاكم والقضاء، ويشمت بها الأعداء في كل ما تقدم؛ لأنهم لم يستجيبوا الصوت الحق ونداء السماء.

(١) متفق عليه، «البخاري» (٤٤١٨)، «مسلم» (٢٧٦٩).

٧- بعض الدعاة يدعوا خصمهم للمباهلة على مسائل خلافية فرعية، والمباهلة لا تكون إلا في مسائل العقيدة، أو القضايا الخطيرة الهامة، وتستعمل في أضيق الأحوال وليس في كل حال^(١).

وأخيراً: أجدهني أصرخ صرخة ملحة من أعماق قلبي إلى إيجاد علماء عقلاً حكماء منصفين يقومون بدور الوساطة بين المختلفين والمتخصصين من دعوة الحق والتوحيد والسنّة في أنحاء العالم، وأن يتولى ذلك في كل بلد أناس على درجة عالية من الوعي والفهم والإدراك والحكمة والخبرة والعلم والحلم، يعتمدون مع المختلفين لغة الحوار والإقناع والتعقل، كل ذلك مدعوماً بلغة العلم والدليل، ويكون هدفهم تقديم مصلحة الدعوة على مصلحة الداعية، ورأب الصدع، وتصفية النقوس بين الدعاة والعلماء، وترتيب البيت السلفي وترميمه.

(١) هذا هو الراجح من أقوال أهل العلم أن المباهلة تكون في القضايا المتعلقة بالعقيدة خاصة، أو المسائل الهامة جداً، كالخصام مع الملحدين والكافرة والمبطلين، ولا تكون في النزاعات المالية أو العلمية؛ لأن المباهلة تتضمن اللعن والإبعاد والطرد من رحمة الله عزّ وجلّ، ولا ينبغي أن يقع ذلك من مسلمين بسبب خلافٍ مالي أو نحوه. قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في فوائد قصة أهل نجران: «وفيها مشروعيه مباهلة المخالف إذا أصر بعد ظهور الحجة، وقد دعا ابن عباس إلى ذلك، ثم الأوزاعي، ووقع ذلك لجماعة من العلماء» فتح الباري (٩٥ / ٨).

وقال الشيخ الألباني رحمه الله: «لا يجوز سحب هذه الواقعة (المباهلة) أو هذا الحكم الشرعي إلى الأمور المادية لسببين اثنين:

أولاً: لأن القصة جاءت في الأمور العقدية كما يقولون اليوم.

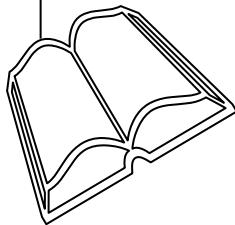
وثانياً: الأمور المادية جعل لها الإسلام نظاماً وقاعدة فقال: (البينة على المدعى و اليدين على ما أنكر) فتحل هذه القضية المادية بهذه القاعدة الشرعية فلم يبق هناك مجال للتجوؤ إلى المباهلة التي شرعها الله» اهـ سلسلة الهدى والنور شريط رقم (٧٠٣).

و قريب من تفصيل الشيخ الألباني قال الشيخ ابن عثيمين رحمة الله على الجميع.

الفصل الثاني

ضعف العلم عند الداعية يسبب زغلاً كثيراً في الدعوة

أذكر منه ما يلي:



﴿٣٥﴾ قال الشوكاني رحمه الله: أنصاف المتعلمين هم منشأ الشر والفتنة في الدعوة.

إن الناظر في الخلافات والصراعات الدعوية يجد أكثر من يشغلها بعض طلاب العلم كما ذكر ذلك الإمام الشوكاني رحمه الله في «البدر الطالع»، حيث قال رحمه الله في ترجمة علي بن قاسم حنش^(١): «ومن محاسن كلامه الذي سمعته منه: الناس على طبقات ثلاث:

فالطبقة العالية: العلماء الأكابر، وهم يعرفون الحق والباطل، وإن اختلفوا لم ينشأ عن اختلافهم الفتنة؛ لعلهم بما عند بعضهم بعضاً.

والطبقة السافلة: عامة على الفطرة، لا ينفرون عن الحق، وهم أتباع من يقتدون به، إن كان محقاً كانوا مثله، وإن كان مبطلاً كانوا كذلك.

والطبقة المتوسطة: هي منشأ الشر، وأصل الفتنة الناشئة في الدين، وهم الذين لم يعنوا في العلم حتى يرتقوا إلى رتبة الطبقة الأولى، ولا تركوه حتى يكونوا من أهل الطبقة السافلة، فإنهم إذا رأوا أحداً من أهل الطبقة العليا يقول مالاً يعرفونه مما يخالف عقائدهم التي أوقعهم فيها القصور فوقوا إليه سهام الترقيق، ونسبوه إلى كل قول شنيع، وغيروا فطر أهل الطبقة السفلية عن قبول الحق بتمويلهات باطلة، فعند ذلك تقوم الفتنة الدينية على ساق» اهـ

وقال الإمام ابن الجوزي رحمه الله^(٢): «أفضل الأشياء التزييد من العلم، فإنه من اقتصر على ما يعلمه، فظننه كافياً؛ استبد برأيه» اهـ

(١) «البدر الطالع» ترجمة علي بن قاسم حنش (١٤٧٣-٤٧٢).

(٢) «صيد الخاطر» (ص: ١٢٧).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله^(١): «وقد قيل: إنما يفسد الناس أربعة - وذكر منهم -: نصف فقيه» اهـ.

وقال الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد رحمه الله^(٢): «احذر أن تكون «أبا شبر»، فقد قيل: العلم ثلاثة أشبار، من دخل في الشبر الأول تكبر، ومن دخل في الشبر الثاني تواضع، ومن دخل في الشبر الثالث علم أنه ما يعلم» اهـ.

وقال العلامة الوادعي رحمه الله^(٣): «ينبغى لنا جميعاً ألا نمكّن الفوضويين من الدعوة؛ فإنهم سيحطمون الجماعة وستذكرون».

وقال أيضاً رحمه الله^(٤): «أنصح القائمين على الدعوة ألا يتسرعوا وألا يستفزهم الطائشون، فالطائشون سبب لضرب الدعوات» اهـ

قلت: لكن لا ينسحب ويعمم كلام العلماء على جميع طلاب العلم في أصقاع^(٥) المعمورة، فهناك كوكبة كبيرة من الدعاة وطلاب العلم أهل عقل وحلم وأدب ودين، هم سفراء العلماء، يصلحون في الأرض ولا يفسدون، فهو لاء لهم كل التقدير والإجلال والاحترام.



(١) «مجموع الفتاوى» (١١٨/٥)، «الرد على البكري» (٢/٧٣٠). ولمزيد الفائد انظر «الاعتصام» للشاطبي (٧/٢) عند قوله تعالى: ﴿فَمَآمَا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَبَغٌ فَيَتَّعَذَّرُ مَا تَشَبَّهُ مَنْهُ﴾ [آل عمران: ٧].

(٢) «حلية طالب العلم» (ص: ١٩٨)، وانظر: «تذكرة السامع والمتكلّم» (ص: ٦٥).

(٣) «السير الحثيث شرح اختصار علوم الحديث» (ص: ٤٣٨).

(٤) «غارة الأشرطة» (١/٣٠٥).

(٥) قال ابن منظور رحمه الله في «لسان العرب»: «كُلُّ مَا يُذْكُرُ فِي تَرْجِمَةٍ صَقَعَ بِالصَّادِ فَالسَّيْنُ فِيهِ لُعَّةٌ». قال الخليل: كُلُّ صَادٍ تَحِيُّهُ قَبْلَ الْقَافِ، وَكُلُّ سِينٍ تَحِيُّهُ قَبْلَ الْقَافِ، فَلَلْعَرَبِ فِيهِ لُغَتَانِ» اهـ

٣٦ عدم توفر بعض شروط الدعوة في الداعية يسبب خللاً في الدعوة

قال سفيان الثوري رض^(١): «لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من كان فيه خصال ثلات:

- ١- رفيق بما يأمر رفيق بما ينهى،
- ٢- عدل بما يأمر عدل بما ينهى،
- ٣- عالم بما يأمر عالم بما ينهى» اهـ

لا شك أن الأصل في الدعوة هو الرفق، والأدلة على ذلك كثيرة متکاثرة، وكذلك العدل في الدعوة إلى الله واجب من الواجبات، ولا تتحقق هذه الأمور إلا بالعلم، لذلك لا ينبغي للداعية أن يبادر إلى إنكار ما يراه منكراً حسب علمه القاصر حتى يتحقق من عدم وجود الخلاف السائغ والمعتبر فيه، وحتى لا يحصل ظلم وجور وعدم عدل، هذا هو الأصل، خاصة في المسائل التي قد يحصل بسببها خلاف وشر.

والمنكرات قسمان:

القسم الأول: المنكرات الظاهرة التي يعلمها العالم والجاهل، والخاص والعام، كترك الصلاة والصيام والزكاة، وكالكذب، والظلم، والغش، والخيانة، والزنا، وشرب الخمر، وأكل حقوق الناس، فهذه المنكرات ينبغي لكل مسلم أن ينكرها بالأساليب المرعية والطرق الشرعية، فكل الناس علماء بها.

القسم الثاني: المنكرات التي في حكمها شيء من الخفاء، أو اختلف

(١) انظر: «حلية الأولياء» (٦/٣٧٩)، «جامع العلوم والحكم» (٢٥٦/٢)، «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» للخلال ص (٢٤)، «اللوامع الأنوار» للسَّفاريني (٤٣٠-٤٢٩/٢).

فيها العلماء المجتهدون، فهذه المنكرات لا يتكلم فيها إلا العلماء ومن عرف حكمها جيداً من طلاب العلم الشرعي، بالأساليب المرعية والطرق الشرعية كما تقدم.

قال النووي رحمه الله ^(١): «إنما يأمر وينهى من كان عالماً بما يأمر به وينهى عنه، وذلك يختلف باختلاف الشيء، فإن كان من الواجبات الظاهرة والمحرمات المشهورة، كالصلوة، والصيام، والزنا، والخمر، ونحوها، فكل المسلمين علماء بها.

وإن كان من دقائق الأفعال والأقوال، ومما يتعلق بالاجتهاد، لم يكن للعوام مدخل فيه، ولا لهم إنكاره، بل ذلك للعلماء.

ثم العلماء إنما ينكرون ما أجمع عليه، أما المختلف فيه فلا إنكار فيه» اهـ وليس من الحكمة أن يتتعجل الداعية في الإنكار لمجرد قول عالم سمعه أو قرأه قبل هضم المسألة، فقد يكون في المسألة خلاف بين العلماء، وهناك أدلة أخرى لا يعلمها، وقد يكون الصواب هو القول الآخر الذي لا يعلمه الداعية الآن.

والله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَلَا تَنْقُضْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ، عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادُ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

قال ابن القيم رحمه الله ^(٢): «إذا كانت الدعوة إلى الله أشرف مقامات العبد وأجلها وأفضليها، فهي لا تحصل إلا بالعلم الذي يدعوه به وإليه، بل لا بد في كمال الدعوة من البلوغ في العلم إلى أقصى حد يصل إليه السعي» اهـ وإذا لم يلتزم الداعية بهذا وتتكلم فيما لا يعلمه فإنه سيفسد وهو يظن

(١) «شرح مسلم» (٢٣ / ٢).

(٢) «مفتاح دار السعادة» (١ / ١٥٤).

أنه من المصلحين، ويتسرب في نزاعات وخصومات بين المسلمين، ولذلك قال عمر بن عبد العزيز رَحْمَةُ اللَّهِ^(١): «من عمل بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح» اهـ.



(١) «الزهد» للإمام أحمد ص (٢٤٤).

٣٧ - عدم الحكمة في الدعوة

قال تعالى: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْخَيْرَةِ وَجَهَنَّمُ لَهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحَسَنُ﴾ [التحل: ١٢٥].

قال ابن القيم رحمه الله (١): «الحكمة: فعل ما ينبغي، على الوجه الذي ينبغي، في الوقت الذي ينبغي».

زاد ابن عثيمين رَحْمَةُ اللَّهِ(٢) : «والمكان الَّذِي ينبعي».

ثم قال ابن القيّم رَحْمَةُ اللَّهِ أَيْضًا: «والله تعالى أورث الحكمة آدم وبنيه، فالرجل الكامل من له إرث كامل من أبيه، ونصف الرجل -كالمرأة- له نصف ميراث، والتفاوت في ذلك لا يحصيه إلا الله تعالى، فكل نظام الوجود مرتبط بهذه الصفة، أي: صفة الحكمة، وكل خلل في الوجود وفي العبد فسيبيه الإخلال بها، فأكمل الناس أوفرهم نصيباً، وأنقصهم وأبعدهم عن الكمال أقلهم منها ميراثاً، ولها ثلاثة أركان: العلم، والحلم، والأناة، وأفاتها وأضدادها: الجهل، والطيش، والعجلة، فلا حكمة لجاهل، ولا طائش، ولا عجوز، والله أعلم» اهـ

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي رَبِّكَ رَبِّكَ اللَّهُ أَكْبَرَ (٣): «أَدْعُ إِلَى سَيِّلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ» أي: كل أحد على حسب حاله وفهمه وقوله وانقياده.

ومن الحكمة: الدعوة بالعلم لا بالجهل، والبداءة بالأهم فالأهم، وبالأقرب إلى الأذهان والفهم، وبما يكون قبوله أتم، وبالرفق واللين، فإن

(١) «مدارج السالكين» (٤٤٩ / ٢).

(٢) «فتاوی نور علی الدرج» (١٢ / ٢٢٤ و ٢٢٧ و ٢٣٨)، «شرح العقيدة السفارينية» ص

(٨١)، «اللقاء الشهري» رقم (٤٠).

(٣) «تفسير السعدي» (ص: ٤٥٢).

انقاد بالحكمة، وإلا فيتقل معه بالدعوة بالموعظة الحسنة، وهو الأمر والنهي المقرن بالترغيب والترهيب» اهـ

فالداعي إلى الله كقائد السفينـة الحكيم، قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبِّنِيـنَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلِمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩]، والرباني مأخذـ من ربانـ السفينـة وهو القائدـ الحكيمـ الخبرـ الذي يقودـ السفينـةـ في خضمـ الأمواجـ المتلاطـمةـ والرياحـ العاصـفةـ والأخـطرـ المتلاـحـقةـ ويخرجـ بهاـ إلىـ برـ الأمـانـ، فـينـجوـ هوـ والـسفـينـةـ والـركـابـ والـبـضـائـعـ المـحملـةـ وأـموـالـ النـاسـ، والـفضلـ فيـ هـذـاـ اللـهـ ثـمـ بـحـكمـتـهـ وـخـبـرـتـهـ، وـالـلـهـ عـزـ وجـلـ يـرـيدـ منـ الدـاعـيـ أـنـ يـكـونـ هـكـذاـ^(١).



(١) يفسـرـ الـبعـضـ الـربـانـيـ فيـقـولـ: هوـ الـذـيـ يـعـلـمـ صـغارـ الـعـلـمـ قـبـلـ كـبـارـهـ. وهذاـ التـفـسـيرـ صـحـيحـ لـكـنهـ يـدـخـلـ فيـ التـفـسـيرـ الـعـامـ الـذـيـ ذـكـرـنـاهـ، وهـنـاكـ تـفـسـيرـ آخـرـ لـالـربـانـيـ، وهـوـ الـعـالـمـ الـذـيـ جـمـعـ بـيـنـ الـعـلـمـ وـالـعـمـلـ. وهـنـاكـ أـقـوـالـ أـخـرـىـ انـظـرـهـاـ فيـ «ـمـفـاتـحـ دـارـ السـعـادـةـ»ـ لـابـنـ الـقيـمـ (١٢٥ـ ١٢٦ـ).

ضعف الخبرة وال بصيرة في الدعوة إلى الله

قلة خبرة بعض الدعاة وضعف بصيرتهم في الدعوة سبب أخطاء فادحة في الدعوة، لذلك لا بد للداعية من البصيرة في الدعوة.

قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَيِّلَى آدَعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشَرِّكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله^(١): «على بصيرة في ثلاثة أمور:

الأول: على بصيرة فيما يدعوه إليه، بأن يكون عالماً بالحكم الشرعي فيما يدعو إليه؛ لأنَّه قد يدعو إلى شيء يظنه واجباً، وهو في شرع الله غير واجب فيلزم عباد الله بما لم يلزمهم الله به، وقد يدعو إلى ترك شيء يظنه محرّماً، وهو في دين الله غير محرّم، فيحرم على عباد الله ما أحلَّه الله لهم.

الثاني: على بصيرة في حال المدعو، قال عليه السلام لمعاذ رضي الله عنه لما بعثه إلى اليمن: «إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلَ كِتَابٍ، فَلَيْكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَواتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلِيَلَيْتِهِمْ، فَإِذَا فَعَلُوا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَرُدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا، فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ»^(٢).

الثالث: على بصيرة في كيفية الدعوة اهـ أي: بصيرة بوسائل الدعوة وكيفيتها.

(١) «شرح دعاء قنوت الوتر» ص (٦)، «مجموع فتاوى ورسائل العثيمين» (١٤/١٥١)، كتاب «العلم» ص (١٦٩)، «شرح الثلاثة الأصول» ص (٢٢)، «زاد الداعية إلى الله» ص (١٢).

(٢) متفق عليه، «البخاري» (١٤٥٨)، «مسلم» (١٩).

فمن البصيرة مراعاة حال المدعوين، إذ ليس من الحكمة استخدام أسلوب واحد في الدعوة مع الكبير والصغير، والرجل والمرأة، والمتعلم والجاهل، والرئيس والمرؤوس، والهادئ والغضوب، بل لا بد من تنوع أسلوب المخاطبة كل بما يناسبه.

إن الداعية الناجح هو الذي يعطي كل إنسان ما يلزمـه من أفكار سليمة وتجيئـات كريمة، ويحاول أن يقنـعه بالـأسلوب الذي يناسبـه، ويناسبـ مدارـكه وثقـافته ومـكانـته.



٣٩) عدم التدرج في الدعوة وتقديم الأولويات

إن التدرج في الدعوة إلى الله منهج الأنبياء والمرسلين، ويعتبر من أهم الخصائص التي تيسّر قبول دين الإسلام، وتحمّل تكاليفه، وتطبيقه في الواقع بيسر وسهولة، ومعنى التدرج في الدعوة إلى الله التقدم خطوة خطوة، والبدء بالأهم فالمهم؛ للترقي بالناس المدعوين إلى أعلى المراتب، فكما يقال: من أراد الوصول إلى السطح فليصعد من الدرجة الأولى والدور الأول.

وكما يقال: طعام الكبار سُم الصغار.

ومن معاني الرباني في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبِّيَّنِعَنَّ بِمَا كُنْتُمْ تُعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩]، الرباني: هو الذي يعلم صغار العلم قبل كباره.

ومن أهم دعائم التدرج هو علم هذه الأولويات، حتى يتسرّى للداعية أنْ يعلم من أين يبدأ، وما هو الشيء الذي يجب أنْ يبدأ به قبل غيره، فلا يكفي أنْ يكون الداعية عالماً بأحكام الدين، حافظاً لها، بل يجب عليه كذلك أنْ يكون ملماً بواقع المجتمع الذي يعيش فيه، ويدرس ما فيه من طبائع وصفات، ويشخص ما فيه من علل وأمراض، حتى يتمكن من علاجها، فالحكم على الشيء فرع عن تصوره، و«مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ دَوَاءً، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ، وَجَهَلَهُ مَنْ جَهَلَهُ»^(١).

ومن الأحاديث الدالة على التدرج في الدعوة ما قاله رض لمعاذ حين

(١) صحيح رواه «أحمد» (٣٩٢٢)، و«الحاكم» (٧٤٢٤)، والبيهقي في «ال السنن الكبرى»

(١٩٥٦٠) عن عبد الله بن مسعود رض، وأصله في الصحيحين، وصححه الألباني في

«السلسلة الصحيحة» (٤٥١).

بعثه إلى اليمن: «إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَىٰ قَوْمٍ أَهْلَ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا فَعَلُوا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاتٍ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَرُدْ عَلَىٰ فُقَرَاءِهِمْ، فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا، فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ»^(١).

فهذا الحديث يعتبر أصلًا أصيلاً ومنهجًا قويًّا في التدرج في الدعوة إلى الله وتقديم الأولويات، لكن وللأسف تجد بعض من قل علمه وعقله يحذّر المسلم الجديد في بلاد الكفر من فلان وعلان الذي ربما لا يعرفه بعض خواص المسلمين ومن عاش في بلاد الإسلام، فتجده يحذّره منه ويجلب عليه بخيله ورجله، وربما يهجره ويزجره، أو يمتحنه بآخر فتنة حصلت في الدعوة وما موقفه منها، فأين فقه الأولويات كتعليم التوحيد وأصول الإيمان، وأركان الإسلام، ومحاسن الإسلام؟!، نعم، لا بأس أن يُدَلِّل هذا المسلم الجديد على أهل السنة والجماعة، ويُعرَّف بأكبر علمائها ورموزها والنهر الذي ينهل منه، أما الدخول به في بنيات الطريق وفي هذه الأنفاق المظلمة وهو ليس معه النور الكافي أخشى أن ينطفئ نوره بالكلية، وتكون أنت سبب هذه الضحية.

قال العز بن عبد السلام رحمه الله^(٢): «اعلم أن تقديم الأصلاح فالإصلاح، ودرء الأفسد فالأفسد، مرکوز في طبائع العباد نظراً لهم من رب الأرباب ... ولا يقدم الصالح على الأصلاح إلا جاهل بفضل الأصلاح، أو شقي متتجاهل لا ينظر إلا ما بين المرتبتين من التفاوت» اهـ.

وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله^(٣): «لا ريب أن المرشدين

(١) تقدم تخریجه.

(٢) «قواعد الأحكام» (١/٤-٥).

(٣) «مجموع فتاوى ابن باز» (١/٣٢١-٣٢٢).

هم أطباء المجتمع، ومن شأن الطبيب أن يهتم بمعرفة الأدواء ثم يعمل على علاجها بادئاً بالأهم، وهذه طريقة أنسح الأطباء وأعلمهم بالله وأقومهم بحقه وحق عباده، سيد ولد آدم عليه من ربها أفضل الصلاة والتسليم؛ فإنه ﷺ لما بعثه الله بدأ بالنهي عن أعظم أدوات المجتمع وهو الشرك بالله سبحانه، فلم يزل ﷺ من حين بعثه الله يحذر الأمة من الشرك ويدعوهم إلى التوحيد إلى أن مضى عليه عشر سنين، ثم أمر بالصلاحة، ثم ببقية الشرائع، وهكذا الدعاة بعده: عليهم أن يسلكوا سبيله وأن يقتفيوا أثره، بادئين بالأهم فالأشد.

ولكن إذا كان المجتمع مسلماً ساغ للداعي أن يدعوه إلى الأهم وغيره، بل يجب عليه ذلك حسب طاقته؛ لأن المطلوب إصلاح المجتمع المسلم وبذل الوسع في تطهير عقیدته من شوائب الشرك ووسائله، وتطهير أخلاقه مما يضر المجتمع ويضعف إيمانه. ولا مانع من بدأته بعض الأوقات بغير الأهم، إذا لم يتيسر الكلام في الأهم، ولا مانع أيضاً من اشتغاله بالأهم وإعراضه عن غير الأهم، إذا رأى المصلحة في ذلك وخاف إن هو اشتغل بهما جمیعاً أن يخفق فيهما جمیعاً» اهـ.

وقال شيخنا الوادعي رحمه الله^(١): «أهل السنة ينكرون كل مُنكر يوجد على ظهر الأرض، ويقدمون الأهم فالأشد، فهم ينكرون التمسح بأتربة الموتى، وهم ينكرون تشييد القباب، وهم ينكرون الضرائب والجمارك التي أنهكت المسلمين، وهم ينكرون التبرج والسفور، وهم ينكرون أيضاً الاختلاط في الجامعات» اهـ.



(١) «إجابة السائل» (ص: ٢١).

عدم تفريق بعض الدعاة بين جهاد الدعوة وجهاد السيف

إن بعض الشباب المتحمس في الدعوة إلى الله يخبط خبط عشواء في الدعوة، فتجده لا يفرق بين جهاد الدّعوة وجهاد السيف من حيث الأسلوب، فجهاد الدّعوة الأصل فيه أن يكون بالرفق واللين، وجهاد السيف الأصل فيه أن يكون بالشدة والغلظة، قال تعالى في جهاد السيف:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ جَاهَدُوا لِكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَعْلَمُهُمْ وَمَا وَهُمْ بِهِمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التوبه: ٧٣]. ^(١)

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَرُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلَيَحْدُو فِيهِمْ غَلَظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُنَافِقِينَ﴾ [١٢٣]. ^(٢)

وقال تعالى في جهاد الدّعوة: ﴿أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولَا لَهُ وَقَرَّلَا لَيْسَا لَعْلَهُ وَيَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٣-٤٤].

والدّعوة إلى الله تعالى نوع من الجهاد، بل هي أعظم من جهاد السيف

(١) قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره (٤/١٧٨): «أَمَرَ تَعَالَى رَسُولُهُ ﷺ بِجَهَادِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَالْغُلْظَةِ عَلَيْهِمْ، كَمَا أَمَرَهُ بِأَنْ يَخْفَضَ جَنَاحَهُ لِمَنْ اتَّبَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّ مَصِيرَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ إِلَى النَّارِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ. وَقَدْ تَقَدَّمَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّهُ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَرْبَعَةِ أَسْيَافٍ: سَيِّفٌ لِلْمُشْرِكِينَ: ﴿فَإِذَا أَنْسَلَحَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبه: ٥]، وَسَيِّفٌ لِلْكُفَّارِ أَهْلِ الْكِتَابِ: ﴿فَقَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحِرِّمُونَ مَا حَرَمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ [يدبودت دين الحقيقة من الدين] [٢٩]، وَسَيِّفٌ لِلْمُنَافِقِينَ: ﴿جَاهَدُ الْكُفَّارَ وَهُمْ صَدَّعُونَ﴾ [التوبه: ٧٣]، وَسَيِّفٌ لِلْبَعْدَةِ: ﴿فَقَاتِلُوا الَّذِي تَبَغَّى حَتَّى يَقْنَعَهُ إِلَيْهِ أَمْرُ اللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩].

وَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّهُمْ يُجَاهِدُونَ بِالسُّيُوفِ إِذَا أَظْهَرُوا النِّفَاقَ، وَهُوَ اخْتِيَارُ أَبْنِ جَرِيرٍ» اهـ

كما قال تعالى: ﴿وَجَهَدُهُمْ بِهِ جِهَادًا كَيْرًا﴾ [الفرقان: ٥٢]، أي: بالقرآن والحججة والبرهان؛ لأن الآية مكية بالإجماع ولم يكن هناك جهاد بالسيف.

وقد بين سبحانه وتعالي طريق الدّعوة إليه فقال سبحانه: ﴿أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلُهُمْ بِالْتِي هِيَ أَحَسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهَتَّدِينَ﴾ [التحريم: ١٢٥].



(١) وقد أشرت إلى هذه المسألة في كتابي: «السطور الذهبية في بيان أهداف وثمار دور الحديث السلفية في الديار اليمنية» الهدف العاشر بعنوان: «الحرص على تعليم المجتمع المسلم العلم الشرعي الصحيح ونشره في كل مكان، وهذا من أفضل الجهاد في سبيل الله كما قال علماء السلف والخلف».

٤٦) عدم تفريق بعض الدعاة بين النصيحة والفضيحة

لا شك أن النصيحة الصحيحة مشروعة بالكتاب والسنّة وإجماع الأمة، قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۚ إِنَّ الْإِنْسَنَ لَفِي حُسْرٍ ۚ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبَرِ ۚ﴾ [العصر: ٣-٤]. وقال نوح عليه السلام لقومه: ﴿وَأَنَصَحُ لَكُمْ ۚ﴾ [الأعراف: ٦٢]. وقال هود عليه السلام لقومه: ﴿وَأَنَّا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ۚ﴾ [الأعراف: ٦٨]. وقال عيسى عليه السلام: «الَّذِينُ الظَّاهِرَاتُ ۖ قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «اللَّهُ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»^(١).

لكن النصيحة لها ضوابط وآداب شرعية، من ذلك: أن تكون النصيحة سرّاً، فقد قال الشافعي رحمه الله: «مَنْ وَعَظَ أخاه سِرًّا فَقَدْ نَصَبَهُ وَزَانَهُ، وَمَنْ وَعَظَهُ عَلَانِيَةً فَقَدْ فَضَحَهُ وَشَانَهُ»^(٢).

وقال أيضًا رحمه الله:

تَعَمَّدَنِي بِنُصْحِكَ فِي إِنْفِرَادِي
فَإِنَّ النُّصْحَ بَيْنَ النَّاسِ نَوْعٌ
وَإِنْ خَالَفْتَنِي وَعَصَيْتَ قَوْلِي

وَجَنَّبْنِي النَّصِيحَةَ فِي الْجَمَاعَةِ
مِنَ التَّوْبِيَخِ لَا أَرْضِي إِسْتِمَاعَهِ
فَلَا تَجْرَعْ إِذَا لَمْ تُعْطِ طَاعَةً^(٣)

بهذه الكلمات اليسيرة حدد الإمام الشافعي رحمه الله الفرق بين النصيحة والفضيحة، وبين النصح والتوبيخ، وبين ناصح أمين وفاضح مهين، فالدين النصيحة، لكن شريطة الالتزام بآداب النصيحة الشرعية، ومعرفة حدودها،

(١) رواه «مسلم» (٥٥) عن تميم الداري رضي الله عنه.

(٢) «حلية الأولياء» لأبي نعيم (٩/١٤٠)، «شرح النووي على مسلم» (٢/٢٤).

(٣) «الديوان المنسوب للشافعي» (ص: ١٥).

والإخلاص في توجيهها، فليست كل النصائح سواء، وليس كل الناصحين أمناء، وليس كل المنصوحين بتوجيههم سعداء، فكم من نصيحة وجهت بشكل خاطئ أدت إلى شقاق وجفاء، فالالتزاموا الأمانة والإخلاص في نصحكم، والسرية في توجيهكم لإخوانكم دعوة المنهج السلفي، والالتزاموا الرفق، وتخيروا الأوقات المناسبة، والظروف الملائمة لكم ولهم.

وللنصح مجالات شتى، وطرق عده، وأساليب متعددة، وأهداف متنوعة، لكن الأهم أن نلتزم بضوابطها وآدابها، خصوصاً النصيحة سراً، وكل شخص يُنصح بما يناسبه بالأداب الشرعية والضوابط المرعية. لأن مقصداك من النصيحة أن تدلّ الغير على الخير، وأن ترشده إلى الحق، وتهديه إلى عيوبه، حتى تثير بصيرته، فيقلع عن خطئه، ويعدل سلوكه، وينبغي لكل ناصح أن يمتلك من الفطنة والذكاء والكياسة، إضافة إلى الخبرة والإلمام بموضوع النصيحة والمنصوح ما يجعله أهلاً لنصح الآخرين، على أن يدرك تماماً أن هدف النصيحة العام هو تصحيح عيوب وأخطاء الغير، وليس إشاعة أفعاله السيئة أو فضحه بين الناس.

وفي معرض التفريق بين النصيحة والفضيحة يقول ابن القيم رحمه الله^(١): «النصيحة: إحسان إلى من تتصحّه بصورة الرحمة له والشفقة عليه والغيرة له وعليه؛ فهو إحسان محض يصدر عن رحمة ورقّة، ومراد الناصح بها وجه الله ورضاه والإحسان إلى حلقه؛ فيتلطف في بذلها غاية التلطف، ويتحمل أذى المنصوح ولائمته، ويعامله معاملة الطيب العالِم المشفق للمرِيض المُشَبِّع مرضًا، وهو يتحمل سوء حلقه وشراسته ونفرته، ويتلطف في وصول الدواء إليه بكلّ ممكّن؛ فهذا شأن الناصح.

(١) «الروح» (ص: ٣٥٢-٣٥١).

وأما المؤنّب: فهو رجل قصده التعيير والإهانة وذمّ من أئبّه وشتمه في صورة النصح؛ فهو يقول له: «يا فاعل كذا وكذا، يا مُستحقاً الذمّ والإهانة» في صورة ناصح مشيق.

وعلامة هذا: أنه لو رأى من يُحبّه ويُحسن إليه على مثل عمل هذا أو شرّ منه لم يعرض له ولم يقل له شيئاً، ويطلب له وجوه المعاذير، فإن علّب قال: «وأنتي صُمتتْ له العصمة؟ والإنسان عُرضة للخطأ، ومَحاسِنه أكثر مِنْ مَساوِيه، والله غفور رحيم»، ونحو ذلك.

فيما عجباً، كيف كان هذا لمن يُحبّه دون من يبغضه؟ وكيف كان حظُّ ذلك منك التأنيب في صورة النصح، وحظُّ هذا منك رجاء العفو والمغفرة وطلّب وجوه المعاذير؟

ومن الفروق بين الناصح والمؤنّب: أن الناصح لا يعاديك إذا لم تقبل نصيحته، وقال: «قد وقع أجري على الله، قبلت أو لم تقبل»، ويدعو لك بظاهر الغيب، ولا يذكر عيوبك ولا يُيذّنها في الناس، والمؤنّب بضد ذلك» اهـ
وقال ابن رجب رحمه الله^(١): «وكان السلف إذا أرادوا نصيحة أحد وعظوه سراً، حتى قال بعضهم: «من وعظ أخاه فيما بينه وبينه فهي نصيحة، ومن وعظه على رؤوس الناس فإنما وبخه»، وقال الفضيل رحمه الله: «المؤمن يسُتر وينصح، والفاجر يهتك ويعير»، وقال عبد العزيز بن أبي رواد رحمه الله: «كان من كان قبلكم إذا رأى الرجل مِنْ أخيه شيئاً يأمره في رفق فُؤْجِر في أمره ونَهِيه، وإنَّ أحد هؤلاء يخرق بصاحبه فيستغضِبُ أخاه ويهتك ستره...» اهـ

في أيها الداعية الليبي الأريب النجيب إذا سمعت عن أخيك أو قرأت له بعض الأخطاء الواضحة البينة فلا تشهد به من على المنابر، في الخطب،

(١) «جامع العلوم والحكم» (ص: ٨٢).

والمحاضرات، والدورس، والمجالس، والكتابة في وسائل التفاضح الاجتماعي، لكن الذي يتطلب منك هو المبادرة في نصحه سرّاً، بالزيارة أو المهاتفة أو المكاتبة، وانصحه برفق ولين والتي هي أحسن للتى هي أقوم، إذا كنت تريد بنصحك وجه الله والدار الآخرة، وتريد نصحه لا فضحة.

قال علامة اليمن عبد الرحمن المعلمي رحمه الله^(١): «وكم من عالم أخطأ في مسألة فلم يهتم إخوانه من العلماء بأن يزوروه ويداكروه فيها، أو يكتبوه في شأنها، بل غاية ما يصنع أحدهم أن ينشر اعتراضه في مجلة أو رسالة يشّع على ذلك العالم ويُجْهَلُه، أو يدعوه ويُكْفِرُه، فتكون النتيجة عكس المطلوب» اهـ.

وقال علامة الجزائر محمد بن علي فركوس حفظه الله^(٢): «وليس من طرق النصيحة تمريرها على شبكات الأنترنت والصحف والمجلات وغيرها إذا لم يأذن فيها المنصوح له، فإن أذن فإنه يُراعي الجانب الأخلاقي في التعامل بالنصيحة معه؛ تقصداً لعمم فائدة النصيحة؛ ذلك لأن هذه الوسائل موضوعة ابتداءً للإعلام والتشهير والتبلیغ، وقد تستعمل غالباً في بعض الشبكات ووسائل الإعلام - للتغيير والإهانة والذم في صورة النصيحة؛ الأمر الذي يقضى بمنافاتها للنصيحة في قالبها السري والأخلاقي؛ لأنها - بهذا الشكل - تدخل في التأنيب والتشنيع» اهـ.

ومن مفاسد عدم التزام آداب النصيحة: إظهار الخلاف الخاص بالدعوة وأهلها أمام العامة والطوائف الضالة والأحزاب المنحرفة وخصوم الدعوة، وهذا يؤدي بدوره إلى ضعف الدعوة السلفية وأهلها،

(١) «صفة الارتباط بين العلماء في القديم» (ص: ١٠).

(٢) «الكلمة الشهرية» رقم (٤٩).

وذهباب هييتها وهيبة علمائها، وزعزعة ثقة العامة في الدعوة السلفية وفي حملتها، وكفى بها من مفسدة، فيا ليت قومي يعلمون.

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله^(١): «اجتمع الناس على كلمة واحدة لا شك أنه سبب للنصر، ولهذا ينبغي لطلبة العلم وللعلماء أن لا يُظهروا خلافهم ونزاعهم أمام العامة، اختلاف الآراء لا بد أن يكون، أما كون كل واحد منهم يعيّب على الآخر إن خالفة، هذا خطر عظيم جدًا؛ لأن العامة ترى هذا النزاع فلا تثق بوحد منهم، على أن العامة أيضًا سوف يتفرقون، فالنزاع لا شك أنه سبب للخذلان والفشل وتمزق الأمة» اهـ.



(١) «تفسير سورة آل عمران» (٣١٤ / ٢).

﴿تقديم العلم على الرحمة في الرد على المخالف، منهج مخالف لمنهج القرآن الكريم﴾

إن الناظر في ردود بعض الدعاة على المخالفين يجد أن علمه يسبق رحمته في الرد عليه، فيشد عليه ويغلوظ عليه بلا رحمة، ويضيق عليه جميع الطرق، فلا يترك له للرجوع ثقب إبرة، بخلاف طريقة الراسخين في العلم، كشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مثلاً، فإن من ينظر في مناظراته لخصومه يجده يناقشهم وتتجدد الرحمة واضحة جلية في نقاشه لهم، ويتحمل لخصمه الأعذار، ويفتح له طرقاً كثيرة للتراجع والعودة إلى الحق.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله^(١): «أهل السنة هم أعلم بالحق وأرحم بالخلق» اهـ

وقال الشافعي رحمه الله^(٢): «ما نظرت أحداً قط على الغلبة، ووددت إذا نظرت أحداً أن يظهر الله الحق على يديه» اهـ

وهكذا سماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز رحمه الله من تتبع ردوده على المخالفين وجد فيها الحلم والعلم والرحمة، وقد ألف في منهجه في الرد على المخالفين كتاب: «أصول ابن باز في الرد على المخالفين».

وكتاب: «الكافش لمنهج ابن باز في الرد على المخالف».

وكلاهما بين طريقة الشيخ ابن باز رحمه الله في الرد على المخالفين، وأن الرحمة في ردوده تسبق علمه.

(١) «منهج السنة النبوية» (٥/١٥٨).

ولمزيد الفائدة في هذه المسألة انظر كتاب: «رحمة أهل السنة بالمخالفين، ابن تيمية نموذجاً».

(٢) «المجموع» (١٠/١٢)، «سير أعلام النبلاء» (١٠/٢٩).

وقال العلامة الألباني رحمه الله موصيًا أهل السنة قبل موته ^(١): «... وأن ينصحوا الناس بالتي هي أحسن ويبتعدوا عن الأساليب القاسية والشديدة؛ لأننا جميعًا نعتقد أن الله عز وجل حين قال: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِإِلَيْتِي هِيَ أَحَسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، إنما ذلك لأن الحق في نفسه ثقيل على الناس، ثقيل على النفوس البشرية، ولذلك هي تستنكر عن قبولها إلا ما شاء الله، فإذا انضم إلى تقل الحق على النفس البشرية عذر آخر وثقل آخر وهو القسوة في الدعوة كان ذلك تنفيًّا للناس عن الدعوة بدلاً من أن ندعوه إلينا، وقد تعلمون جميعًا قول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنْكُمْ مُنْفَرِينَ» ^(٢)، وختامًا، أسأل الله عز وجل ألا يجعل منا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنْفَرِين وإنما أن يجعلنا حكماء عاملين بالكتاب والسنّة» اهـ.

قلت: هذا هو المنهج الصحيح، ومن تدبر القرآن الكريم يجد أن من عجائبه أن الرحمة دائمًا تسبق العلم، قال الله: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَايَتْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧٦].

وقال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ ۖ ۚ عَلَمَ الْقُرْءَانَ﴾ [الرحمن: ١-٢].

فالعلم بدون رحمة يدمّر ولا يعمّر، ويهدى ولا يردم، والله قال عن نبيه

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٧].

(١) شريط: «وصية الشيخ الألباني رحمه الله قبل موته» من سلسلة الهدى والتور.

(٢) متفق عليه: «البخاري» (٧٠٢)، «مسلم» (٤٦٦) عن أبي مسعود رضي الله عنه.

﴿٤٣﴾ المجاورة والمجازفة وعدم التزام الأدب وضبط النفس في الرد على المخالف

إن الجرح والتعديل نعمة من نعم الله الكريم، يحفظ الله به الدين الصافي المبين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله^(١): «هذه الأمة والله الحمد لم يزل فيها من يتفطن لما في كلام أهل الباطل من الباطل ويرده».

وقال أيضًا رحمه الله^(٢): «ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر أهل البدع؛ لفسد الدين وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب؛ فإن هؤلاء إذا استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعًا، وأمامًا أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداءً» اهـ.

وقال الإمام الشوكاني رحمه الله^(٣): «ولولا هذا الجرح والتعديل لتلاعب الناس الكاذبون بالسنة، واختلط المعروف بالمنكر، ولم يتبيّن ما هو صحيح وما هو باطل» اهـ.

قلت: لكن هناك في زماننا من تجاوز الحد في الرد على الخصوم، والله يقول: ﴿وَلَا يَجِرْ مَنْكُمْ شَيْئًا قَوْمٌ عَلَىٰ أَلَا تَعْدِلُوا أَعْدَلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

وكان من دعائه رضي الله عنه^(٤): «...اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ...».

(١) «مجموع الفتاوى» (٩/٢٣٣).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٨/٢٣٢).

(٣) «رفع الريبة عن ما يجوز وما لا يجوز من الغيبة» ص (٢١).

(٤) صحيح رواه «النسائي» (١٣٠٥) عن عمارة بن ياسر رضي الله عنه، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن النسائي» (١٣٠٥)، و«صحيح الجامع» (١٣٠١)، وشيخنا الوادعي رحمه الله في «الجامع في القدر» (ص: ٣٤).

ونعوذ بك يا الله أن نكون ممن إذا خاصل فجر، وإذا أسيء إليه تزمح، وأذكر هنا بعضًا من صور المجاوزة والمجازفة في الرد على المخالف، كتبذيع من ليس بمبدع، وتفسيق من ليس بفاسق، وتکفير من ليس بكافر، وهجر من لا يستحق الهجر، والتحذير من لا يستحق التحذير، والكلام في أعراض الخصوم، ونسائهم، ودينهم، ومكاسبهم، ومعايشهم، وفي مأكلهم ومشربهم، وفي علمهم، وفي أحسابهم وأنسابهم وبلدانهم وفي عربتهم وأعجميتهم، وفي طولهم وقصرهم وألوانهم...، وهذا والله من التجاوز، والنبي ﷺ حين التقى حصى الجمار قال: «بِأَمْثَالِ هُؤُلَاءِ-أي: فارموا - وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ»^(١) فالجمار وهي الجمار لا ترمى إلا بحصى قدرها الشرع، وهكذا الزاني وهو الزاني يرمى بحجر معتدل لا صغير ولا كبير، والمخالف من باب أولى يرمى بما يستحق وبميزان الشرع، بهذا تنتصر الدعوة إذا أردتم نصرها لا نصر أنفسكم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله^(٢): «إن الله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا ينصر الدولة الظالمة وإن كانت مؤمنة» اهـ

وقال أيضًا رحمه الله^(٣): «أنا في سعة صدر لمن يخالفني فإنه وإن تعدى حدود الله في بتکفير أو تفسيق أو افتراء أو عصبية جاهلية، فأنا لا أتعذر حدود الله فيه، بل أضبط ما أقوله وأفعله وأزنـه بميزان العدل وأجعلـه مؤتمـاً بالكتاب الذي أنزلـه الله وجعلـه هدى للناس حاكـماً فيما اختلفـوا فيه» اهـ.

(١) صحيح رواه «أحمد» (١٨٥١)، و«النسائي» (٣٠٥٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وصححه الألباني رحمه الله في «السلسلة الصحيحة» (٢١٤٤).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٨/٦٣) بتصريف يسير.

(٣) «مجموع الفتاوى» (٣/٢٤٥).

وقال أيضًا كَحْلَةَ اللَّهِ^(١): «تحرس السنة بالحق والصدق والعدل، ولا تحرس بکذب ولا ظلم، فإذا رد الإنسان باطلًا بباطل، وقابل بدعة ببدعة، كان هذا مما ذمه السلف والأئمة» اهـ

لذلك يجب على الداعية قبل الشروع في الرد على المخالف -سواء كان الرد مشافهة أو كتابة- أن يراعي الآداب والضوابط الشرعية؛ حتى يكون لهذا الرد ثمرته المطلوبة، ولا يؤدي إلى مفاسد شرعية تربو على مفاسد تركه.

ومن أهم هذه الضوابط والأداب في الرد على المخالف ما يلي:
أولاً: أن يكون الرّاد موصوفاً بالعلم الشرعي الصحيح الموافق لسنة
النبي ﷺ، وبخاصة في المسألة التي يريد الرد عليها ومناقشتها، بعد تحديد
موضع النزاع وتحريره، وأن يكون الكلام بعلم ودليل وأخذ صحيح في
الاستدلال؛ ومن ذلك التوثيق والتثبت من كلام المردود عليه من كتبه أو
صوتياته المؤكدة، أو من الثقات الأثبات أهل العقل والدين والرذانة
والاعتدا، لا من الظنون والأوهام وكلام كل من هبَّ ودرَّج.

ثانيًا: اتصف الرّاد بالإخلاص والتجرد لله تعالى في رده وبعده عن الهوى والعصبية والتشفي، وهذا يلزم عليه أشياء كثيرة، من أهمها: العدل مع المخالف وإنصافه وتجنب ظلمه، والاعتداء عليه وعلى عرضه بالسب والشتم والاحتقار والازدراء والتنقص والدخول في أمور جانبية ليس لها علاقة بالمسألة المدوّدة عليها، كما هذا ليس من الأدب ولا من الانصاف.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «إِنَّ الرَّدَّ بِمُجَرَّدِ الشَّتْمِ وَالْتَّهْوِيلِ لَا يَعْجِزُ عَنْهُ أَحَدٌ» اهـ.

(١) «درء تعارض العقاب والنقاوة» (٧/١٨٢).

(٢) «محمود الفتاوي» (٤/١٨٦).

وقال النووي رحمه الله^(١): «قال الشافعي رحمه الله: من أحب أن يفتح الله قلبه ويرزقه العلم فعليه بالخلوة وقلة الأكل وترك مخالطة السفهاء وبعض أهل العلم الذين ليس معهم إنصاف ولا أدب» اهـ

وقال علامة الجزائر الشيخ فركوس حفظه الله^(٢): «الشَّتَّيْمَةُ وَالوَقِيْعَةُ وَالتَّهَجُّمُ عَنِ النَّقَاشِ حِيلَةُ الْعَاجِزِ وَبِضَاعَةُ الْمُفْلِسِ» اهـ وقد ذكر الشوكاني رحمه الله أحد عشر سبباً تؤدي إلى عدم العدل والإنصاف في الرد على المخالف^(٣).



(١) «بستان العارفين» ص (٥٣)، «المجموع» (١٣/١)، «تهذيب الأسماء» (١/٥٥).

(٢) «الكلمة الشهرية» رقم (١٢٦).

(٣) «أدب الطلب ومتنه الأدب» ص: (٤٠-١١٩).

عدم ضبط بعض المسائل العلمية الاجتهادية التي يكثر فيها الخلاف وسببيها تمزق الدعوة بين الفينة والأخرى

هناك بعض المسائل التي يكثر فيها الخلاف والنزاع والخصومات وتتمزق بسببها الدعوة بين الفينة والأخرى، تحتاج من طلاب العلم والدعاة إلى الله إلى وقفة علمية جادة، وتحرير هذه المسائل تحريراً دقيقاً وضبطها ضبطاً وثيقاً وإماتتها دراسة وبحثاً من جميع جوانبها، كمسألة التبديع والتحزيب والهجر والجمعيات والمؤسسات الخيرية وبقية المسائل التي يكثر فيها الخلاف والخوض منذ ثلاثة عقود تقريباً، وبهذا تهدا الدعوة ويدهـب صداعها وتصدعها إن شاء الله، ويـحكم على كل مسألة بما تستحق، أما أن تبقى مثل هذه المسائل مـهمـلة، وكل واحد يأخذ بالفتوى التي تروق له من فتاوى علمائنا المعاصرـين، فهـذا نقص واضح وعيـب فاضـح.

قال شيخنا الوادعي رحمه الله^(١): «صحيح يا إخوان أن بعض إخواننا إذا لم تكن على ما يهـوـى سمـاكـ حـزـيـاـ!!! لـعـكـمـ قـرـأـتـمـ كـلـامـ اـبـنـ بـطـةـ فيـ «الاعتصـامـ» للـشـاطـبـيـ يـنـقلـ أـنـ يـتـوـجـعـ مـنـ أـهـلـ عـصـرـهـ، إـنـ قـنـتـ قـالـوـاـ «شفـعـويـ» مـنـ الشـافـعـيـ، وـإـنـ قـالـ: الدـعـاءـ لـلـحـكـامـ وـذـكـرـ الـحـكـامـ فـيـ الـخـطـبـةـ لـيـسـ بـصـحـيـحـ قـالـوـ: «خارـجيـ»!»

فرضـاـ النـاسـ غـاـيـةـ لـاـ تـُـدـرـكـ، فـيـنـبـغـيـ أـنـ نـتـقـيـ اللـهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ، وـأـنـتـمـ تـعـرـفـونـ أـنـ أـعـدـاءـ الدـعـوـةـ يـحـرـصـونـ غـاـيـةـ الـحـرـصـ عـلـىـ تـفـرـقـةـ أـهـلـ السـنـةـ: «مـنـ كـانـ يـؤـمـنـ بـالـلـهـ وـالـيـوـمـ الـآـخـرـ فـلـيـقـلـ خـيـراـ أـوـ لـيـصـمـتـ» بـعـضـهـمـ أـدـنـىـ

(١) «من فقه الإمام الوادعي» (٥١ / ٥١).

حاجة! تنظيم من أجل عمل يتعلق بالدعوة يقولون حزبية وهكذا! والله المستعان! أنتم ترموننا بالحزبية وماذا فعلتم للإسلام؟!» اهـ.



٤٥ الهجر بغير قواعد علمية وضوابط شرعية ومراقبة رب البرية أرهق الدعوة السلفية إرهاقاً عظيماً

لقد قرر كبار علماء السلف والخلف أن الهجر وسيلة وليس غاية، وهو دواء إذا نفع المريض نفعاً راجحاً أعطي هذا الدواء، وإذا أضر به ضرراً راجحاً فلا يعطى له وإنما يعطى دواء آخر.

وإليك خلاصة كلام كبار أهل العلم في هذا العصر في هذه المسألة:

قال الإمام الألباني رحمه الله^(١) في هجر من لم ينتفع بالهجر قوله المشهورة في قصة العاصي الذي ذهب إلى المسجد لأول مرة ليصلّي فيه فوجده مغلقاً فقال: «أنت مسّكّر وأنا مبطل» منك يا مسجد وليس مني. وله كلام نفيس جداً في هذه المسألة.

وقال الإمام الفقيه المفسّر ابن عثيمين رحمه الله^(٢): «الواجب على من كان له قرناه فيهم بدعة أن ينصحهم ويبين لهم أن ما هم عليه بدعة لعل الله أن يهدّيهم على يديه حتى ينال أجرهم.

فإن أصرّوا على ما هم عليه من البدعة: فإن كانت البدعة مكفرة وجب عليه هجرهم والبعد عنهم.

وإن لم تكن مكفرة، فلينظر: هل في هجرهم مصلحة؟ إن كان في هجرهم مصلحة هجرهم، وإن لم يكن في هجرهم مصلحة فلا يهجرهم؛ وذلك لأن الهجر دواء؛ إن كان يرجى نفعه فليفعل، وإن لم يرج نفعه فلا يفعل» اهـ.

(١) شريط «من هو الكافر وما هي البدعة المكفرة».

(٢) «فتاوي نور على الدرج» (٤/٢)، «شرح رياض الصالحين» (٤/٢١٩-٢٢٠).

وشن العلامة المحدث مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله هجوماً قوياً على من يتواضع في مسألة الهجر، وقال ^(١): «هذه فكرة خارجية». وقال العلامة عبد المحسن العبّاد حفظه الله ^(٢): «إذا لم تترتب على الهجر مصلحة فوجوده مثل عدمه».

وقالت اللجنة الدائمة برئاسة الشيخ ابن باز رحمه الله ^(٣): «إذا لم يكن في الهجر ردع له ويخشى أن يزيد شرّه فإنه لا يُهجر ولكن يُستمر معه في النصيحة...» اهـ.

قلت: فلا أدرى أين ذهب الشباب المتهمس في مسألة الهجر بفتاویٍ كبار علماء العصر.



(١) «غارة الأشرطة» (٢/٨٧-٨٨)، «الأرجوبة السديدة في فتاوى العقيدة» ص (١٦٨) - (١٦٩) و (١٩٩-١٩٨).

(٢) «شرح سنن أبي داود» باب: «حكم الصلاة في ثياب تشف البشرة».

(٣) «فتاوی اللجنة الدائمة» (٢٥/٣٢٦) رقم الفتوى (١٥٩٣١).

سلسلة هجر من لم يهجر

هذه المسألة شبيهة بال MAS الكهربائي^(١)، فلو أن شخصاً وضع يده على سلك مموجر فإن الكهرباء تمسكه، ومن مسكته الكهرباء وهكذا، سلسلة ليس لها نهاية، وهذه القاعدة يعرض عليها من وجهين:

الوجه الأول: أنه قد يكون المهجور مبتدعاً عندك أو فاسقاً عندك غير مبتدع ولا فاسق عندي؛ لأن الحكم على الأشخاص الذين لم يتفق أهل السنة على تبديعهم مسألة اجتهادية، فلماذا أطالب بهجره وأنا غير مقتنع بتبديعه^(٢).

ثانياً: قد يكون مبتدعاً أو فاسقاً فسوق شهوة، لكن أختلف أنا وأنت في تقدير المصلحة في هجره وعدم هجره حسب تقدير المصالح والمفاسد.

قال العلامة مقبل الوداعي رحمه الله^(٣) إجابة على سؤال قال فيه السائل: ما حكم هجر من لم يهجر؟

فقال رحمه الله: «أن تهجر الذي لم يهجر المبتدع، توسيع بارك الله فيك، ما عندك دليل من لم يهجر المبتدع هجرناه، حتى المثال الذي يقال: من لم يكفر الكافر فهو كافر أيضاً ليس بمستقيم، بل من لم يكفر الكافر المتفق عليه مثل أن يقول اليهودي ما هو كافر أو النصراني ما هو كافر مثل هذا يكفر، لأنه مكذب للقرآن فإن الله قد كفرهم في القرآن، لكن شخص يقول:

(١) كما قال ذلك فضيلة الشيخ عبد العزيز البرعي حفظه الله.

(٢) كلامي هنا ليس على المبتدع المتفق على تبديعه، وإنما على المختلف فيه بين علماء أهل السنة والجماعة المعبرين، أما من اتفقوا على تبديعه أو تفسيقه أو تكفيره فليس لأحد أن يخالف هذا الاتفاق.

(٣) «الأرجوبة السديدة في فتاوى العقيدة» (١٦٧-١٦٩/١).

تارك الصلاة ليس بكافر. وآخر يقول: تارك الصلاة كافر. فهـي مسألة
اختلف فيها علماؤنا رحمـهم الله تعالى» اـهـ.



سلسلة تبديع من لم يبدع

لقد اشتهرت هذه المقوله أو هذه القاعدة في أوساط بعض طلاب العلم، وأقول: هذه القاعدة ليست على إطلاقها، بل يُنْفَصِّلُ في ذلك، فإذا كان المبتدع متفقاً عليه بين أهل العلم أنه مبتدع محارب للسنة وأهلها فنعم، أما إذا كان مخالفاً فيه بعض العلماء يدعونه وبعض العلماء لا يدعونه فهذه القاعدة لا تناسب عليه تماماً كقاعدة من لم يكفر الكافر فهو كافر، هل هي على إطلاقها؟

الجواب: لا، وإنما المراد من لم يكفر الكافر الأصلي كاليهودي أو النصراني فهذا كافر، أو لم يكفر الكافر المتفق على كفره، كمن أتى ناقضاً من نواقض الإسلام، كَسَبَ الله مثلاً، أما الشخص المختلف في تكفيره كتارك الصلاة مثلاً فالذى يرى تكفير تارك الصلاة لا يكفر من لا يرى تكفيره وهكذا، أما إذا التزمنا بهذه القاعدة فإنه يحصل بالتزامها مفاسد كثيرة وخطيرة، كإلزام العلماء وطلاب العلم وال العامة بها، وامتحان الناس بهذا الشخص المختلف فيه، وإقامة الولاء والبراء على هذه المسألة، وتمزيق نسيج المجتمع المسلم على هذه الأوهام وهذه الجهات، والدعوة إلى التقليد الأعمى الذي نجى الله الدعوة السلفية منه، وقد رد على هذه القاعدة الباطلة العاطلة كبار علماء العصر.

فقد سئل العلامة الألباني رحمه الله عن هذه المسألة، حيث قال السائل^(١):

(١) «سلسلة الهدى والنور» رقم الشريط (٧٧٨).

وهكذا رد على هذه القاعدة وأبطلها:

العلامة مقبل الوادعي رحمه الله في شريط «الدرر في أجوبة عبس وشفر».

هناك بعض القواعد يا شيخ يعمل بها بعض الشباب ومن ضمنها قاعدة «من لم يكفر الكافر فهو كافر» ثم «من لم يبدع المبتدع فهو مبتدع» وقاعدة أخرى «من لم يكن معنا فهو ضدنا» ما رأيك في هذه القواعد يا شيخ؟

فأجاب الشيخ رحمه الله: «ومن أين جاءت هذه القواعد ومن قعدها؟ هذا يذكرني بنكتة تروى في بلادنا الأصيلة ألبانيا حكاها في بعض المجالس والذي رحمه الله، القصة تقول بأن رجلاً عالماً زار صديقاً له في بيته ثم لما خرج من عنده كفره قيل له لم؟ عندنا عادة في بلادنا وهي عادة أظن مطردة في بلاد الأعاجم، يعظمون أو يحترمون أو يوقرون العلماء ببعض الأعراف والتقاليد التي تختلف باختلاف البلاد، منها الرجل مثلاً دخل الغرفة ونزل عليه، فهو حين يخرج ينبغي أن يدار النعل بحيث أن العالم لا يتكلّف أن يلف ويدور كأنه داخل وإنما يجد النعل مهيئاً ليدخل قدميه فيه، فهذا العالم لما زار صديقه وخرج وجد النعلين كما هما، يعني ما احترم الشيخ تركهما كما هما، فقال الرجل العالم: إن هذا كفر، لماذا؟ لأنه لم يحترم العالم، والذي لا يحترم العالم لا يحترم العلم، والذي لا يحترم العلم لا يحترم الذي جاء بالعلم، والذي جاء بالعلم هو محمد صلوات الله عليه وسلم، وهكذا سيوصلها إلى جبريل، إلى رب العالمين، فإذاً هو كافر، هذا سؤال أو هذه قاعدة ذكرتني بهذه الخرافات، ليس شرطاً أبداً أن من كفر شخصاً وأقام عليه

والعلامة عبد المحسن العياد حفظه الله فقد قدم له سؤال: من لم يبدع المبتدع هل يلحق به؟ (صوتي).

والعلامة صالح السحيمي حفظه الله فقد قدم له سؤال: قاعدة من لم يبدع المبتدع فهو مبتدع. وقد ذكر لها عدة ضوابط جيدة (صوتي).

والعلامة صالح الفوزان وفقه الله في شريط مسجل بعنوان «دروس التفسير بالحرم» بتاريخ ١٤٣٣ هـ. وغيرهم كثير.

الحجّة أن يكون كل الناس معه في التكفير؛ لأنّه قد يكون هو متّأولاً، ويرى العالم الآخر أنه لا يجوز تكفيره، كذلك التفسير والتبيّع، فهذه في الحقيقة من فتن العصر الحاضر، ومن تسرّع بعض الشباب في ادعاء العلم، فالملزم أن هذا التسلسل أو هذا الإلزام غير لازم أبداً، هذا أمر واسع، قد يرى عالِم أمراً واجباً، ويراه الآخر ليس كذلك، وما اختلف العلماء من قبل ومن بعد إلا لأن باب الاجتهاد لا يلزم الآخرين بأن يأخذوا برأي، الذي يوجب الأخذ بالرأي الآخر إنما هو المقلد الذي لا علم عنده فهو من يجب عليه أن يقلد، أما إذا كان عالِماً كالذى كفر أو فسق أو بدّع ولا يرى مثل رأيه فلا يلزمـه أبداً أن يتبع ذلك العالِم، الظاهر مصيبة لأنها إن شاء الله ما انتشرت بعد من بلادكم إلى بلاد أخرى» اهـ.

وسائل الشّيخ صالح الفوزان وفقه الله^(١) : ما حكم الذين يلزمون الناس بتبيّع بعض الدّعّاة وبناء الولاء والبراء على ذلك وهجر من لم يبدع؟ فأجاب بقوله: «لا تلتزم بهذا ولا تطعهم في هذا، قل أنا بريء من هذا ومعافيـني الله من هذا ولا أدخل فيه، ولا أعرف عنه [شيئاً]» اهـ.



^(١) شريط مسجل بعنوان «دروس التفسير بالحرم» بتاريخ ١٤٣٣ هـ.

عدم ضبط وفهم متى يخرج الرجل من دائرة أهل السنة والجماعة

هذه المسألة من أخطر المسائل في أو ساط الدعوة والدعاة، وهي جديرة بأن تحرر تحريراً كافياً شافياً وافياً في غير هذا المختصر، والخلاصة: أن العلماء رحمهم الله قالوا: يخرج الرجل من دائرة أهل السنة والجماعة بأمرين:

- ١ - أن يخالف أصلاً من أصول أهل السنة والجماعة فيبدع بذلك.
- ٢ - أن يخالف في جزئيات كثيرة تُنَزَّل منزلة ذلك الكلّي فيبدع بذلك، كل ذلك إذا توفرت الشروط وانتفت الموانع.

قال الإمام الشاطبي رحمه الله^(١): «ويجري مجرى القاعدة الكلية كثرة الجزئيات، فإن المبتدع إذا أكثر من إنشاء الفروع المخترعة عاد ذلك على كثير من الشريعة بالمعارضة، كما تصير القاعدة الكلية معارضة أيضاً» اهـ.
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله^(٢): «من خالف الكتاب المستبين والسنة المستفيضة أو ما أجمع عليه سلف الأمة خلافاً لا يعذر فيه فهذا يعامل بما يعامل به أهل البدع» اهـ.

وقال علماء اللجنة الدائمة^(٣): «...أماره هذه الفرق -يعني: الشتتين والسبعين - التي بها تُعرف: مفارقة الكتاب والسنة والإجماع بلا تأويل يتفق مع لغة القرآن وأصول الشريعة ويعذر به صاحبه فيما أخطأ فيه» اهـ.
فإدخال من ليس من أهل السنة في دائرة أهل السنة، وإخراج من كان

(١) «الاعتصام» (٧١٢/٢).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٧٢/٢٤).

(٣) «فتاوي اللجنة الدائمة» المجموعة الأولى (٢٢٣/٢).

من أهل السنة من دائرة أهل السنة أمر شديد، والحكم على الأديان أشد من الحكم على الأبدان^(١).

قال الإمام أحمد رحمه الله^(٢): «إخراج الناس من السنة أمر شديد» اهـ.



(١) انظر كلام العلماء في ضابط هذه المسألة الخطيرة: «الاعتراض» للشاطبي رحمه الله (١٣٩/٣)، «سير أعلام النبلاء» للذهبي رحمه الله (٣٢٧/١٩)، «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (٣٤٦/٣) (١٥٥/٤) (١٥٥/١٠) (٣٨٣-٣٨٤/٢٤) (١٧٢)، «سلسلة الهدى والنور» الصوتية للإمام الألباني رحمه الله (٧٨٥/الوجه الثاني)، «تحفة المجيب» للإمام الوادعي رحمه الله ص (١١١)، و«غارة الأشرطة» (١٥٦/١)، «فقه العبادات» للإمام ابن عثيمين رحمه الله ص (٨١)، و«فتاوي أركان الإسلام» ص (٢٢-٢٦)، و«مجموع فتاوى ورسائل العثيمين» (١/٣٨-٤١)، «شرح الأفنان والعمل الأنسني» (صوتي) للعلامة زيد بن هادي المدخلري رحمه الله.

(٢) رواه الخلال في كتاب «السنة» (٣٧٣/٢).

﴿ التَّبْدِيعُ بِالْمَعَاصِي ﴾

لا شك أن المعاشي فسوق ويسمى أهلها فساق الشهوات، والبدع كذلك فسوق ويسمى أهلها فساق الشبهات، والبدعة تسمى بدعة ومعصية، والمعصية تسمى معصية ولا تسمى بدعة، وفساق الشبهات أشد خطراً من فساق الشهوات.

قال الإمام أحمد رحمه الله (١) : «قبور أهل السنة من أهل الكبائر روضة، وقبور أهل البدعة من الزهاد حفرة، فُساق أهل السنة أولياء الله، وزهاد أهل البدعة أعداء الله» اهـ.

فمن وقع في المعاشي كشرب الخمر مثلاً، أو الزنى، أو غير ذلك من المعاشي لا يقال مبتدع وإنما يقال: هو عاص وفاسق بشهوته، أما من وقع في البدع كأن يكون خالف أصلاً من أصول أهل السنة والجماعة أو أغرق في الجزئيات؛ فإنه يُبدع إذا توفرت الشروط وانتفت الموانع.



(١) «طبقات الحنابلة» (١/١٨٤).

الخلاف بسبب الترحم على بعض أهل البدع

لقد اشتهر نكير بعض الدعاة على بعضٍ في مسألة الترحم على أهل البدع، والحق أن يقال: إن الميت من أهل البدع لا يخلو من حالين:

الأولى: من كانت بدعته مكفرة، وقد قامت عليه الحجة: فهو لاء لا يجوز الترحم عليهم؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ أَبْدًا وَلَا قَمَ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ ﴾ [التوبه: ٨٤]، و قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَآلِّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَئِنَّ قُرُونَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ [التوبه: ١١٣].

والحال هذه ليست محل البحث والخلاف.

الثانية: من كانت بدعته غير مكفرة، ولا تخرجه بدعته عن الإسلام؛ فهذا حكم حكم عامة المسلمين تجوز الصلاة عليه، ويُدعى له بالمفارة والرحمة في الصلاة على الجنازة وخارجها.

ولا أعلم أحداً من أهل السنة قال بمنع الترحم على أهل البدع مطلقاً، فهذا قول الخوارج المارقين وأهل الضلال المنحرفين عن الحق المبين. قال ابن القيم رحمه الله^(١): «لا خلاف في جواز الترحم على المؤمنين» اهـ وفساق الشبهات من المؤمنين.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله^(٢): «فكل مسلم لم يعلم أنه منافق جاز الاستغفار له والصلاحة عليه، وإن كان فيه بدعة أو فسق» اهـ

وقال العلامة ربيع المدخلي حفظه الله^(٣): «أما الترحم على أهل البدع،

(١) «جلاء الأفهام» ص (١٥٩).

(٢) «منهج السنة النبوية» (٥ / ٢٣٥).

(٣) «مجموع كتب ورسائل وفتاوی الشیخ ربيع بن هادی المدخلي» (١٤ / ١٥٩).

فإنه يجوز الترحم عليهم، وهذا شيء عليه السلف الصالح ومنهم أحمد بن حنبل، ودل على ذلك نصوص من كتاب الله تبارك وتعالى ومن سنة رسول الله ﷺ، والذي ينazuء في هذا جاحد ضال» اهـ

ولشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى تفصيل بديع في هذه المسألة حيث قال رحمه الله تعالى^(١): «من علم منه النفاق والزنادقة فإنه لا يجوز لمن علم ذلك منه الصلاة عليه. وإن كان مظهراً للإسلام فإن الله نهى نبيه عن الصلاة على المنافقين، فقال: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ أَبْدَأَ وَلَا ثُقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَا نَوْا وَهُمْ فَسِيقُونَ﴾ [آل عمران: ٨٤]. وقال: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفِرَ لَهُمْ أَمْ لَمْ يَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [المنافقون: ٦].

وأما من كان مظهراً للفسق مع ما فيه من الإيمان كأهل الكبائر، فهو لاء لا بد أن يصلى عليهم بعض المسلمين، ومن امتنع من الصلاة على أحدهم زجراً لأمثاله عن مثل ما فعله، كما امتنع النبي ﷺ عن الصلاة على قاتل نفسه، وعلى الغالب، وعلى المدين الذي لا وفاء له، وكما كان كثير من السلف يمتنعون من الصلاة على أهل البدع كان عمله بهذه السنة حسناً. فإذا كان في ذلك مثل هذه المصلحة الراجحة كان ذلك حسناً، ومن صلى على أحدهم يرجو له رحمة الله، ولم يكن امتناعه مصلحة راجحة، كان ذلك حسناً، ولو امتنع في الظاهر ودعا له في الباطن ليجمع بين

(١) «الفتاوى الكبرى» (١٨/٣).

ومن العلماء المعاصرین الذين نصوا على جواز الترحم على أهل البدع:
الإمام الألباني رحمه الله كما في «سلسلة الهدى والنور» شريط رقم (٦٦٦).

والإمام ابن عثيمين رحمه الله كما في فتاوى الحرم المكي (١٤١٢هـ) شريط رقم (١٥).

والإمام ابن باز رحمه الله كما في «مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز» (١٦١/١٣).

المصلحتين كان تحصيل المصلحتين أولى من تفويت إحداهما.
وكل من لم يعلم منه النفاق وهو مسلم يجوز الاستغفار له، والصلاه
عليه، بل يشرع ذلك، ويؤمر به، كما قال تعالى: ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ
وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [محمد:١٩].

وكل من أظهر الكبائر فإنه توسيع عقوبته بالهجر وغيره، حتى ممن في
هجره مصلحة له راجحة فتحصل المصالح الشرعية في ذلك بحسب
الإمكان، والله أعلم» اهـ^(١).



(١) قال الشيخ عبد العزيز البرعي حفظه الله معلقاً على هذه الفقرة: «وأيضاً فإن الترحم
على المبتدع والعاصي ليس لإجلاله بل رحمة به لعل الله أن يغفر له، فليس قولك في
شأن مبتدع أو فاسق: رحمه الله، كقولك: قال البخاري رحمه الله».

الخلاف في وسائل الدعوة هل هي توقيفية أم اجتهادية؟

يحصل بين بعض الدعاة خلاف شديد في هذه المسألة وهي مسألة اجتهادية يسوغ فيها الخلاف، وقد اختلف فيها كبار علماء العصر، فمن العلماء من قال: وسائل الدعوة توقيفية وهو قول أكثرهم^(١)، ومن العلماء من قال: وسائل الدعوة اجتهادية^(٢)، ومن العلماء من قال بالتفصيل^(٣) وهو الحق، فالوسائل المشروعة التي لا تخالف الكتاب والسنة مشروعة، والوسائل التي تخالف الكتاب والسنة ممنوعة^(٤).



(١) انظر: رسالة «الحجج القوية على أن وسائل الدعوة توقيفية» للشيخ عبد السلام بن برجس رحمه الله، وقال في خلاصة الرسالة: «وممن قال إن وسائل الدعوة توقيفية: شيخ الإسلام ابن تيمية، والتويجري، وبكر أبو زيد، والألباني، وابن باز، وغيرهم، رحمة الله على الجميع».

قلت: وكذلك الشيخ ابن عثيمين رحمه الله كما في «لقاء الباب المفتوح» لقاء رقم (١٣٥).

(٢) كالشيخ عبد المحسن العباد على سبيل المثال. صوتية (هل وسائل الدعوة توقيفية).

(٣) كالشيخ مقبل الوادعي رحمه الله كما في «قمع المعاند» (٢/٣٩٦-٣٩٧)، والشيخ صالح الفوزان كما في «الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة» ص (٢٤-٢٥) حيث قال: «مناهج الدعوة توقيفية، أما الوسائل التي جدّت فيستفاد منها» ففرق بين المناهج والوسائل، والشيخ صالح آن الشيخ قال: «من قال: إن وسائل الدعوة توقيفية فقد أخطأ، ومن قال: إن وسائل الدعوة اجتهادية فقد أخطأ، والصواب التفصيل» (صوتي).

(٤) قال الشيخ عبد العزيز البرعي حفظه الله معلقاً على هذه الفقرة: «الذي يظهر أن الخلاف صوري، فمن قال: وسائل الدعوة اجتهادية قال: يشترط أن لا تصدم بنص، والذين قالوا: هي توقيفية، جعلوا كل فرع مرتبطاً بأصل، يجعلوا أشياء كثيرة من المستجدات الدعوية داخلة ضمن أدلة نشر العلم أو ضمن أدلة الدعوة إلى الله هي نفسها يسمى بها الآخرون اجتهادية، فالمعنى الجميع والحمد لله» اهـ

﴿ علم الموازنة في فقه المفاسد والمصالح وفقه المآلات ﴾

لا شك أن تقدير المصالح والمفاسد والموازنـة بينهما في الدعـوة ليس أمراً هـيـئـاً، بل هو دقـيق جـداً كـدقـقة مـيزـان الـذهبـ، وـهـوـ الـحـمـدـ لـلـهـ منـضـبـطـ بـضـوـابـطـ الشـرـعـ وـنـصـوـصـهـ وـقـوـاـعـدـهـ، وـلـاـ يـصـلـحـ أـنـ يـقـومـ بـهـ إـلـاـ أـهـلـ الـعـلـمـ وـالـخـبـرـةـ، الـذـينـ عـرـفـوـاـ نـصـوـصـ الـكـتـابـ وـالـسـنـةـ، وـدـرـسـوـاـ مـقـاصـدـ التـشـرـيعـ الـإـسـلـامـيـ وـمـيـّـزـوـاـ بـيـنـ أـوـلـوـيـاتـ الـأـحـكـامـ، وـعـرـفـوـاـ كـمـاـ قـالـ شـيـخـ الـإـسـلـامـ خـيـرـ الـخـيـرـينـ وـشـرـ الـشـرـينـ حـتـىـ يـقـدـمـوـاـ عـنـدـ التـزـاحـمـ خـيـرـ الـخـيـرـينـ وـيـتـرـكـوـاـ شـرـ الـشـرـينـ فـيـ الـعـلـمـ^(١)، فـلـيـسـ كـلـ مـاـ يـعـلـمـ يـقـالـ، وـلـاـ كـلـ مـاـ يـقـالـ قـدـ جـاءـ زـمـانـهـ، وـلـاـ كـلـ مـاـ جـاءـ زـمـانـهـ جـاءـ مـكـانـهـ، وـلـاـ كـلـ مـاـ جـاءـ زـمـانـهـ وـمـكـانـهـ جـاءـ رـجـالـهـ، وـلـاـ كـلـ مـاـ حـضـرـ رـجـالـهـ حـضـرـتـ أـحـوالـهـ، وـلـاـ كـلـ مـاـ حـضـرـتـ أـحـوالـهـ أـمـنـ عـوـارـهـ^(٢).

قال ابن القيـمـ رـحـمـهـ اللـهـ^(٣): «إنـ الشـرـيـعـةـ مـبـنـاهـ عـلـىـ تـحـصـيلـ الـمـصـالـحـ بـحـسـبـ الـإـمـكـانـ، وـأـنـ لـاـ يـفـوتـ مـنـهـ شـيـءـ، فـإـنـ أـمـكـنـ تـحـصـيلـهـاـ كـلـهاـ حـصـلـتـ، وـإـنـ تـزـاحـمـتـ وـلـمـ يـمـكـنـ تـحـصـيلـ بـعـضـهـاـ إـلـاـ بـتـفـويـتـ الـبـعـضـ، قـدـمـ أـكـملـهـاـ وـأـهـمـهـاـ وـأـشـدـهـاـ طـلـبـاـ لـلـشـرـعـ» اـهـ.



(١) انظر: «مجموع الفتاوى» لـشـيـخـ الـإـسـلـامـ اـبـنـ تـيمـيـةـ رـحـمـهـ اللـهـ (٥١٢/١٠)، وـ(الـإـسـتـقـامـةـ) (٤٣٩/١).

(٢) «نـفـائـسـ الـأـصـولـ فـيـ شـرـحـ الـمـحـصـولـ» لـلـقـرـافـيـ رـحـمـهـ اللـهـ (٦/٢٦٩٠) بـتـصـرـفـ.

تنبيه: هناك دورة علمية نفيسة في فقه الموازنـة بين المفاسـدـ والمصالـحـ لـشـيـخـ سـليمـانـ الـرحـيليـ حـفـظـهـ اللـهـ، أـنـصـحـ بـسـمـاعـهـاـ (أـقـيـمـتـ الدـورـةـ فـيـ الـإـمـارـاتـ، وـتـجـدـهـاـ فـيـ مـوـقـعـ الـإـمامـ الـأـجـرـيـ رـحـمـهـ اللـهـ).

(٣) «مـفـاتـحـ دـارـ السـعـادـةـ» (صـ: ٣٤٧).

٥٣ مسابقة الصغار للكبار في التبديع والتفسيق

والهجر، وغير ذلك من المسائل العظام

إن من يعيش في الساحة الدعوية يرى ويسمع هذا الواقع الذي ليس له من دون الله دافع، وهذه الراجفة التي ليس لها من دون الله كاشفة، وهي مسابقة الصغار للكبار في مسائل قد يحتار فيها الكبار، وتتساقط فيها عمائم الأخبار، فتجد صغار طلاب العلم يبدّعون فلاناً من الناس قبل أن ييّدعه العلماء الكبار، ويأمرون بهجره قبل أن يأمر بهجره العلماء الكبار، بل قد يحكم الطالب الصغير على شيخه بالبدعة، كل ذلك بالجهل والهوى.

والحكم على الأشخاص من المسائل الاجتهادية التي يجب إرجاعها إلى العلماء، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا يَهِيءَ وَلَوْ رَدُوا إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَيْهِ أُولَئِكَ أَمْرٌ مِنْهُمْ لَعِلْمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ [النساء: ٨٣] ^(١).

فهذه المسألة قد راجت وماجت وشّرت وغرّبت ومزقت الدعوة وسببت لها الصداع المزمن، فأصبح يتكلم في مسألة الجرح والتعديل الكبار والصغار، والرجال والنساء، والعلماء والجهّال، على كل المقاسات ^(٢) وعلى جميع المستويات، مع أن علماء الجرح والتعديل على مر العصور عددهم محصور أوصلهم الإمام الذهبي رحمه الله ^(٣) إلى (٧١٥)،

(١) هناك صوتية للشيخ سليمان الرحيلي حفظه الله بعنوان «الصغر يحكمون على المشايخ الكبار» فاسمعها غير مأمور.

(٢) للشيخ عبد العزيز البرعي حفظه الله كلام نفيسي في هذا الموضوع اسمعه غير مأمور (صوتي)، حيث قال حفظه الله: «أصبح الجرح والتعديل في هذا الزمان على جميع المقاسات، رجالٍ، ونساءٍ، وولادٍ».

(٣) «ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل» مطبوع ضمن كتاب «أربع رسائل في علوم الحديث» للإمام الذهبي رحمه الله.

وهذا العدد من علماء الجرح والتعديل على مر سبعة قرون من الزمن على اختلاف عصورهم وأمكنتهم عدد قليل بالنسبة لتلك العصور المزدهرة بالرواية والتي كانت فيها شدة الحاجة للجرح والتعديل، أما اليوم فهذا العدد من المجرّحين والمعدلين قد يوجد في بلد واحد وفي زمن واحد.



﴿ اختلاف المتشدد مع المتوسط والمتساهل في مسائل الجرح والتعديل في هذا العصر ﴾

العلماء ليسوا على مستوى واحد في العلم والعقل والدين، وكذلك في المنهج، فمناهج المحدثين على سبيل المثال متفاوتة، فمنهم المتشدد ومنهم المتوسط ومنهم المتساهل، ولم يشنّع علماء كل طبقة على الطبقة الأخرى ويخطئها، وهكذا في عصرنا نرى كبار علمائنا الأجلاء منهم من يشد على أهل البدع والأهواء والأحزاب الضالة، ويختصص في الردود عليهم، ويُشكّر على ذلك، ومنهم من لم يكن مثله في الردود على أهل البدع والأهواء وإنما اشتغل بالتأليف والتحقيق والتصحيح والتضعيف ويُشكّر على ذلك، ومنهم من اشتغل بالتدريس وعلم الفقه والعقيدة والتفسير ونفع الله به نفعاً عظيماً، ومنهم من جمع الله له ما تفرق عنده غيره، ومع هذا يحب بعضهم بعضاً ويحترم بعضهم بعضاً ويشيد بعضهم ببعض ويثنى بعضهم على بعض، وخرجوا من هذه الدنيا وهم على ذلك، ولكن بلينا بعض الشباب الذين يريدون من الدعاة والعلماء أن يكونوا على نفس طريقتهم ومنهجهم وأسلوبهم في التحذير من أهل البدع رفعاً وخفضاً وإلا رُميَت بالتسيع والتساهل والغفلة^(١)...

ومن العجيب الذي نشاهد في هذا العصر أن بعضهم شديد على المخالفين بلسانه وفي واقعه خلاف ذلك، وبعض من يقال عنه من

(١) قال الشيخ عبد العزيز البرعي حفظه الله معلقاً على هذه الفقرة: «وهذه الطريقة غير صحيحة بل خاطئة، بحيث طغت مادة الخصومة على الجرح والتعديل» اهـ

المتساهلين تجده في الواقع من أبعد الناس عن أهل البدع والأهواء وإن كان كلامه فيهم قليلاً، فالشدة على المخالف بالقول فقط ليست ميزاناً يُحْكَم على من خالفها بالتساهل.



﴿ التَّمِيزُ وَالذِّوْيَانُ مَعَ أَهْلِ الْبَدْعِ وَالْأَهْوَاءِ وَالْأَحْزَابِ الصَّالَةُ وَعَدْ التَّمِيزُ عَنْهُمْ مَنْهِجُ ضَالٍ، مَخَالِفُ لِلْقُرْآنِ وَالسُّنْنَةِ وَمَا عَلَيْهِ سَلْفُ الْأُمَّةِ ﴾

قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَيْثَ مِنَ الْطَّيْبِ ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

وقال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِّنَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٥].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾ [هود: ١١٣].

وقد حذر النبي ﷺ من جليس السوء حيث قال ﷺ: «مَثُلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِبِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِبِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ شَيْبَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَيِّثَةً»^(١).

وقد أجمع سلفنا الصالح على وجوب مجانبة أهل البدع ومخالطتهم^(٢).

فالتميّز وعدم التميّز عن أهل البدع والأهواء فيه مفاسد عظيمة، منها:

١ - تغيير الناس البسطاء بأصحاب هذه الفرق والجماعات، فيتأثرون بمناهجهم وعقائدهم وسلوكياتهم، خاصة عندما يكون هذا المبتدع داعية إلى بدعته ومنهجه وطريقته الفاسدة.

٢ - عدم التميّز عن أهل البدع والأهواء فيه اغترار أصحاب هذه المناهج

(١) متفق عليه: «البخاري» (٤٥٣٤)، «مسلم» (٢٦٢٨) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

وقد ذكرت هذه المسألة في كتابي: «السطور الذهبية في بيان أهداف وثمار دور الحديث السلفية في الديار اليمنية» ص (٦٩) تحت فقرة «التميّز عن بقية الدّعوات المخالفه لدعوة أهل السنة والجماعة السلفيين»، وكتابي: «أقوال العلماء المعاصرین في حكم التعاون مع المخالفين».

(٢) لمزيدفائدة: انظر «عقيدة السلف» للصابوني، وكتاب «إجماع العلماء على الهجر والتحذير من أهل الأهواء» لخالد بن صالح الطفيري.

والفرق المبتدةة بأنفسهم فيظنون أنهم على حق، وأنهم يحسنون صنعاً.

٣- عدم التمييز عن أهل البدع يوجب الألفة والمحبة مع الوقت والسکوت عن منكراتهم، وهذا فيه تعطيل لمسألة الولاء والبراء وهو أصل من أصول الدين.

٤- إذا لم يكن هناك تمييز عن أهل البدع فلن تكون هناك سنة صافية من الكدر، ويصبح الناس في أمر مريج لا يميزون بين السنة والبدعة والحق والباطل.

٥- عدم التمييز عن أهل البدع فيه تقوية لهم وللباطل الذي عندهم.

٦- كيف لا يُتميّز عن أهل البدع وهم يحملون أفكاراً مسمومة، تُعدّى بها عقول الناشئة من أبناء المسلمين، فمنهم من يُكفر المسلمين، ومنهم من يطعن في العلماء الناصحين، ومنهم من يرى الخروج على ولادة أمور المسلمين، ومنهم من يرى التنظيمات السرية والبيعات والعهود والاغتيالات والتفجيرات، ونحن نبراً إلى الله من هذه الأفعال المخالفة للدين ونحذر المسلمين من مغبة الوقوع في هذه الانحرافات، أو أن يسلّموا عقولهم وعقول أبنائهم لمن كان هذا حاله.

قال ابن القيم رحمه الله وهو يبيّن أنواع المخالطة^(١):

«القسم الرابع: من مخالطته الهمك كله ومخالطته بمنزلة أكل السم فإن اتفق لأكله ترياق وإلا فأحسن الله فيه العزاء، وما أكثر هذا الضرب في الناس لا كثراهم الله وهم أهل البدع والضلاله الصادون عن سنة رسول الله الداعون إلى خلافها ﴿أَلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَعْوِمُهَا عَوْجًا﴾ [الأعراف: ٤٥]» اهـ
وقال شيخنا الوادعي رحمه الله^(٢): «وننصح أهل السنة أن يتميزوا وأن يبنوا

(١) «بدائع الفوائد» (٢٧٥ / ٢).

(٢) «تحفة المعجب» (٢٠٨).

لهم مساجد ولو من اللبن أو سعف النخل؛ فإنهم لن يستطيعوا أن ينشروا

سنة رسول الله ﷺ إلا بالتميز، وإلا فالمبتدعة لن يتركوهم ينشرون السنة».

وقال رَحْمَةُ اللَّهِ (١): «لا تقوم السنة ولا تقوم لها قائمة إلا إذا حصل تميُّز، وتميَّز أهل السنة من أهل البدعة» اهـ

هذه بعض مفاسد التمييّز وعدم التمييز عن أهل البدع والأهواء، وهناك مفاسد أخرى تركناها للاختصار^(٢).



(١) «غاراً الأشرطة» (١٨٨/٢).

(٢) قال الشيخ عبد العزيز البرعي حفظه الله معلقاً على هذه الفقرة: «إن عدم التمييز فيه تغريب بالبساطة وطلبة العلم المبتدئين بأولئك المبتدعة، فيحضر دروسهم ومحاضراتهم، ويملاً جواله من كلامهم، ويشتري كتبهم، ويبحث على السماع لهم بحججة أنه لم ير من أهل السنة تحذيرًا منهم» اهـ.

٥٦) تلميع بعض أهل البدع بحججة الوسطية والاعتدال

إن مسألة الوسطية والاعتدال تعلق بها القريب والبعيد والمحقق والمبطل،

وكل يَدْعِي وصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَاكَا

من ذلك أنك تجد بعض الدعاة يلمع بعض رموز أهل البدع والأهواء والأحزاب الضالة، ويستدل بأقوالهم ويذُرُّ الرماد في العيون بقوله: مع التحفظ على بعض أخطائهم، أو على بعض كتبهم، أو على بعض مقالاتهم، وإن كنت أخالفهم في بعض الأمور. إلى غير ذلك من هذه العبارات المطاطة والكلمات الدبلوماسية التي لا يتفطن لها البسطاء من الناس، فإذا نصحته قال: دعك من الغلو، وعليك بالوسطية والاعتدال.

أقول: الوسطية هي الاعتدال في جميع الأمور، والتوازن بين الإفراط والتفرط^(١).

فالإفراط: هو الغلو، ومجاوزة الحد في الشيء.

والتفريط: هو التقصير في الشيء أو تضييعه وتركه.

فليس من الغلو ولا من الهوى ترك ذكر حسنات أهل البدع والأهواء المخالفين للكتاب والسنّة وما أجمع عليه سلف الأمة، كما قال الفضيل بن عياض رحمه الله^(٢): «من عظّم صاحب بدعة فقد أعاد على هدم الإسلام» اهـ وقال رافع بن الأشرس رحمه الله^(٣): «من عقوبة الفاسق المبتدع أن لا تذكر محاسنه» اهـ.

(١) انظر: «الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح» لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (٢٦/٦).

(٢) «شرح السنّة» للبربهاري ص (١٣٧).

(٣) «الصمت» لابن أبي الدنيا ص (٢٦٠).

فمدح أهل البدع والأهواء وذكر محسنهم وتلميذهم يُمْنَع منه بقصد إِخْمَاد بدعته وإطفاء ناره، كما قال ابن دقيق العيد رَجُلَ اللَّهِ^(١).

بل قد نبتت نابتة مدسوسية أو محسوبة على الدعوة السلفية لم يستطعوا النجاح والمعان والظهور في المدارس السلفية لقوة مناهجها العلمية وقوتها تمسك أهلها بالحق، فبقيت أجسادهم في الدعوة السلفية ورحلوا بأهواهم وقلوبهم إلى أهل البدع والأهواء، فتجدهم يلمعون أهل البدع بجميع أشكالهم وأصنافهم وألوانهم ليلاً ونهاراً سراً وجهاً، ويصفونهم بأساطين العلماء والفقهاء -أي: الفقه المذهبي-، وأنهم من المسندين وعندهم إجازات وأسانيد عالية إلى غير ذلك، ويدربون للتلمذ على أيديهم ودراسة الفقه على طريقة المذاهب^(٢)، مع أن هؤلاء الفقهاء ربما يكونون من البسطاء في العلم جداً، ناهيك عن الخل في المعتقد من تصوف وبدع وشرك وخرافات وبغض لأهل السنة، وهذا المغفل أو المتغافل يرضع من هذه القاذورات ثم يمج ما ارتبض عنه منهم في وجوه أهل السنة ويتقى منهاجمهم الخبيث بغضاً لمراكز أهل السنة ومدارسهم ودورهم ودعوتهم، وفي مراكز ومدارس أهل السنة فرسان في كل فن، وكل الصيد في جوف الفرا، فمنهم: العق العسل ولا تسلي، والله الحمد والمنة، ولكن كما يقال: المراعي أخضر والعتز مريضة، ومن خفيت علينا بدعته لم تخف علينا ألفته^(٣).

(١) فيما نقله عنه السخاوي في «فتح المغيث» (٦٤ / ٢).

(٢) نحن لا نمانع أن يدرس الطالب الفقه على مذهب بلاده ويتردج فيه، بشرط أن يكون المدرس من علماء أهل السنة لا من علماء أهل البدع، وأن يتجرد الطالب للدليل من أول دراسته ولا يتتعصب لهذا المذهب الذي يدرسه ويُحقر من المخالفين له.

(٣) قال الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد رَجُلَ اللَّهِ في حلية طالب العلم (ص: ١٦٥-١٧٠): «التلقي عن المبتدع: احذر «أبا الجهل» المبتدع، الذي مسه زيف العقيدة، وغشته =

سحب الخرافات، يحكم الهوى ويسميه العقل، ويعدل عن النص، وهل العقل إلا في النص؟ ويستمسك بالضعف ويبعد عن الصحيح، ويقال لهم أيضًا: «أهل الشبهات»، و«أهل الأهواء»، ولذا كان ابن المبارك رحمه الله يسمى المبتدعة: «الأصغر». وعن مالك رحمه الله قال: «لا يؤخذ العلم عن أربعة: سفيه يعلن السفة وإن كان أروي الناس، وصاحب بدعة يدعوا إلى هواه، ومن يكذب في حديث الناس، وإن كنت لا أتهمه في الحديث، وصالح عابد فاضل إذا كان لا يحفظ ما يحدث به» اهـ.

فيا أيها الطالب... لا تأخذ عن مبتدع: رافضي، أو خارجي، أو مرجعي، أو قدربي، أو قبوري...، وهكذا، فإنك لن تبلغ مبلغ الرجال - صحيح العقد في الدين، متين الاتصال بالله، صحيح النظر، تتفوّأ الأثر - إلا بحجر المبتدعة وبدعهم.

وكتب السير والاعتصام بالسنة حافلة بإجهاز أهل السنة على البدعة، ومنابذة المبتدعة، والابتعاد عنهم، كما يتبعد السليم عن الأجرب المريض، ولهم قصص وواقعيات يطول شرحها، لكن يطيب لي الإشارة إلى رؤوس المقيدات فيها: فقد كان السلف رحمة الله تعالى يحتسبون الاستخفاف بهم، وتحقيرهم ورفض المبتدع وبدعته، ويحذر من مخالطتهم، ومشاورتهم، ومؤاكلتهم، فلا تتوارد نار سني ومبتدع.

وكان من السلف من لا يصلّي على جنازة مبتدع، فينصرف، وقد شوهد من العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم (م سنة ١٣٨٩ هـ) رحمه الله، انصرافه عن الصلاة على مبتدع. وكان من السلف من ينهى عن الصلاة خلفهم، وينهى عن حكاية بدعهم؛ لأن القلوب ضعيفة، والشّبه خطافة.

وكان سهل بن عبد الله التستري لا يرى إباحة الأكل من الميتة للمبتدع عند الاضطرار؛ لأنّه باغ، لقول الله تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَرَّ بَاغٌ﴾ الآية [البقرة: ١٧٣]، فهو باغ بدعه.

وكانوا يطردونهم من مجالسهم، كما في قصة الإمام مالك رحمه الله مع من سأله عن كيفية الاستواء، وفيه بعد جوابه المشهور: «أظنك صاحب بدعة»، وأمر به، فأخرج.

وأنجبار السلف متکاثرة في النفرة من المبتدعة وهجرهم، حذرًا من شرهم، وتحجيمًا لانتشار بدعهم، وكسرًا لنفسهم حتى تضعف عن نشر البدع، ولأن في معاشرة السنّي للمبتدع تزكية له لدى المبتدئ والعامي -والعامي: مشتق من العمى، فهو بيد من يقوده غالباً.

ونرى في كتب المصطلح، وأداب الطلب، وأحكام الجرح والتعديل: الأخبار في هذا.

فيما أيها الطالب كن سلفيًا على الجادة، واحذر المبتدةعة أن يفتنوك، فإنهم يوظفون للاقتناص والمخاتلة سبلاً، يفتعلون تعبيدها بالكلام المعسول -وهو: (عسل) مقلوب - وهطول الدمعة، وحسن البزة، والإغراء بالخيالات، والإدھاش بالكرامات، ولحسن الأيدي، وتقبيل الأكتاف... وما وراء ذلك إلا وحم البدعة، ورهج الفتنة، يغرسها في فؤادك، ويعتملك في شراكه، فو الله لا يصلح الأعمى لقيادة العميان وإرشادهم.

أما الأخذ عن علماء السنة، فالعق العسل ولا تسل، وفقك الله لرشدك، لتهنل من ميراث النبوة صافيًا، وإلا فليك على الدين من كان باكيًا.

وما ذكرته لك هو في حالة السعة والاختيار، أما إن كنت في دراسة نظامية لا خيار لك، فاحذر منه، مع الاستعاذه من شرّه، باليقظة من دسائسه على حد قوله: «اجن الشمار وألق الخشبة في النار»، ولا تخاذل عن الطلب، فأخشى أن يكون هذا من التولي يوم الرحف، فما عليك إلا أن تتبين أمره وتقى شرّه وتكشف ستره.

ومن التنف الطريفة أن أبا عبد الرحمن المقرئ حدث عن مرجىء، فقيل له: لم تحدث عن مرجىء؟ فقال: «أبيعكم اللحم بالعظم». فالمقرئ رحمه الله حدث بلا غرر ولا جهالة إذ بين فقال: «وكان مرجىءًا».

وما سطرته لك هنا هو من قواعد معتقدك، عقيدة أهل السنة والجماعة، ومنه ما في «العقيدة السلفية» لشيخ الإسلام أبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني (م سنة ٤٤٩ هـ)، قال رحمه الله: «ويبغضون أهل البدع الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه، ولا يحبونهم ولا يصحبونهم، ولا يسمعون كلامهم، ولا يجالسونهم، ولا يجادلونهم في الدين، ولا يناظرونهم، ويرون صون آذانهم عن سماع أباطيلهم التي إذا مرت بالأذان وقرت في القلوب، ضررت وجرت إليها من الوساوس والخطرات الفاسدة ما جرت وفيه أنزل الله عز وجل قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخْوُضُونَ فِي ءَايَتِنَا فَأَعَرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخْوُضُوا فِي حَدِيثِ عَيْرِهِ﴾ [الأنعام: ٦٨]» اهـ

والنووي رحمه الله قال في كتاب «الأذكار»: «باب: التبري من أهل البدع والمعاصي». وذكر حديث أبي موسى رض أن رسول الله صلوات الله عليه وسلم رحمه الله بريء من الصالقة، والحالقة، والشاقة. متفق عليه.

وعن ابن عمر رحمه الله براءته من القدريه. رواه مسلم.

والمبتدعة إنما يكثرون ويظهرون، إذا قل العلم، وفسا الجهل. وفيهم يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فإن هذا الصنف يكثرون ويظهرون إذا كثرت الجاهلية

**التحذير من الساكت في الحكم على بعض
الدعاة أو المتوقف فيهم للتبين خطأ بين**

أقول: إن الدعاء على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: إمام في الضلالة متفق عليه، فهذا يجب التحذير منه ومن شرّه قوله واحداً.

القسم الثاني: إمام في السنة متفق عليه، فهذا من حذر منه يُحذّر منه.

القسم الثالث: ليس بإمام في السنة ولا إمام في البدعة وإنما هو لا يعدو
أن يكون طالب علم وداعية اختلفت فيه أقوال العلماء، فمنهم من ييدعه
ومنهم من يستنه، فمن بدّعه بعلم لا ينكر عليه، ومن لم ييدعه بعلم لا ينكر
عليه، ومن توقف فيه لا ينكر عليه؛ لأنّه خلاف في شخص وهو خلاف
سائغ، إلا إذا اتفق علماء السنة على ضلاله.

قال الترمذى رحمه الله^(١): «وقد اختلف الأئمة من أهل العلم في تضييف الرجال كما اختلفوا في سوى ذلك من العلم» اهـ.

وقال المنذري رحمه الله في رسالة في الجرح والتعديل^(٢): «اختلاف هؤلاء كاختلاف الفقهاء كل ذلك يقتضيه الاجتهاد» اهـ.

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى^(٣): «فقد يعتقد أحد المجتهدين ضعف رجل، ويعتقد الآخر ثقته وقوّته، وقد يكون الصواب مع المضعف؛ لاطلاعه على سبب خفي على المؤوثق، وقد يكون الصواب مع الآخر؛ لعلمه بأن ذلك

وأهلهما، ولم يكن هناك من أهل العلم بالنبوة والمتابعة لها من يظهر أنوارها الماحية لظلمة الضلال، ويكشف ما في خلافها من الإفك والشرك والمحال» اهـ
فإذا اشتد سعادتك في العلم، فاقعم المبتدع ويدعه بيسان الحجة والبيان، والسلام» اهـ

^(١) «العلم الصغير» ص (٧٥٦).

(٢) «رسالة في الحج و التعدية» ص (٤٧).

^(٣) «الصواعق المسلة» (٢/٥٥٦).

السبب غير قادر في روايته وعدالته...» اهـ.

وقال العالمة الوادعي رحمه الله في شريط «الدرر في أجوية عبس وشفر»: «نحن متفقون على جرح أصحاب البدع والحزبيين، متفقون على هذا، بقي في أناس هم عند شخص من المجرحين، وعند آخر ليسوا من المجرحين، هذا حدث على عهد السلف؛ فربّ راوٍ يقول فيه أحمد بن حنبل: ثقة، ويقول فيه يحيى بن معين: كذاب، أو العكس، وهكذا البخاري وأبو زرعة وأبو حاتم.

وال مهم لا يقلّ بعضهم بعضاً؛ فإذا اختلفنا في توثيق شخص وتجريمه فليس معنى هذا أننا مختلفون في العقيدة! وليس معنى هذا أننا مختلفون في الاتجاه» اهـ.
 قلت: الله درك، نعم الأصل أن الاختلاف في الأشخاص المختلف فيهم ليس اختلافاً في الاتجاه والسنة^(١)، وامتحان الناس إنما يكون بالقرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة، والإجماع الصحيح، وعقيدة أهل السنة والجماعة، وفهم الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح، وأصول أهل السنة والجماعة، والأئمة الأعلام، كالإمام أحمد، ومالك، والإمام ابن باز، والألباني... ومن كان مثلهم، هذا هو الميزان السلفي.



(١) قال الشيخ عبد العزيز البرعي حفظه الله معلقاً على هذه الفقرة: «الرجل المختلف فيه إذا كان حياً فهذا الغالب الأغلب فيه الانحراف؛ لأنَّه لم يرحم الدعوة ولا علماءها، فهو يراهم مختلفين فيه وهو واضح رجلاً على أخرى وكأنَّ الأمر لا يعنيه، وكان يقدر أن يجلو حاله لهم ويقول لهم: دعوتي دعوتكم وأنا أخوكم وليس عندي سوى ما عندكم، ثم يزورهم ويستزيرهم ويحاضرُونَ عنده ويخطبُونَ ويحاضرُونَ عندهم ويخطبُونَ ويتهيء كل شيء، إداً سكوته دال على لوث» اهـ.

﴿ إِنْ لَمْ تَكُنْ مَعِي فَأَنْتَ ضَدِّي مُطْلَقًا بَغِيرَ قَوْاعِدِ عِلْمِيَّةٍ أَوْ ضَوَابِطِ شُرُعِيَّةٍ ﴾

لا شك أن هذا مبدأً فاسد لو كان هذا حاصلاً بين أهل الحق من أهل السنة والجماعة، فقد اختلف الصحابة في مسائل كثيرة، ولم يقل واحد منهم: إن لم تكن معي فأنت ضدي. وانختلف الأئمة الأربع، أصحاب المذاهب المتبعة، في مسائل كثيرة، ولم يقل واحد منهم: إن لم تكن معي فأنت ضدي. وانختلف علماء الحديث، كالبخاري، ومسلم، والترمذى، والنمسائى، وابن ماجه، وأبي داود، ولم يقل واحد منهم: إن لم تكن معي فأنت ضدي. وانختلف الألبانى، والباز، والعشيمين، والوادعى، في مسائل كثيرة، اختلفوا في الحكم على بعض الرجال، وانختلفوا في مسائل علمية فرعية، وانختلفوا في مسائل فقهية، وانختلفوا في التصحيح والتضعيف، وانختلفوا في مسائل كثيرة، ولم يقل واحد منهم للأخر إن لم تكن معي فأنت ضدي.

وصدق العلامة ابن عثيمين رحمه الله حينما قال عن هذا المبدأ^(١): «ومبدأ (من ليس معي فهو علي) مبدأ خبيث» اهـ

أي: إذا كنت معي فأنت قدّيس، وإذا كنت ضدي فأنت إبليس. ولسان حالهم يقول: إذا لم تتفق معي في كل تفاصيل حياتي ودعوي وأحكامي وحبي وبغضي وأسلوبي وطريقة اجتهادي فأنت ضدي في الهدف والرسالة والمنهج.

فلم يكن الأمر سجالاً علمياً بين المختلفين يصوّبه الدليل، ويزينه

(١) «مجموع فتاوى ورسائل العشيمين» (٢٦/٢٣٩).

الأدب، ويحتويه الحلم والعلم؛ بل هي شهوات وشبهات؛ ﴿ طَلُمْتُ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكْدِهُ لَمْ يَكُنْ يَرَهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهَ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾ [النور: ٤٠].

وصدق النبي ﷺ حينما قال عندما ذكر عنده الدجال: «لَفِتْتُهُ بَعْضِكُمْ أَخْوَفُ عِنْدِي مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ...»^(١).

وكان شيخنا الإمام الوادعي رحمه الله يقول: «أخوف ما أخاف على الدعوة من أهلها».



(١) صحيح رواه «أحمد» (٢٣٣٠٤)، و«ابن حبان» (٦٨٠٧) عن حذيفة رضي الله عنه، وصححه الألباني رحمه الله في «السلسلة الصحيحة» (٣٠٨٢)، وشيخنا الوادعي رحمه الله في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» (٦٣٠).

٥٩) عدم ضبط وفهم أنواع الخلاف

من المسائل المهمة التي يحتاجها الداعية ويتشبع بفهمها ودراستها وتحقيقها ضبط وفهم أنواع الخلاف بأقسامه الثلاثة: خلاف التنوع، وخلاف الأفهام، وخلاف التضاد.

١ - **خلاف تنوع:** وهو الخلاف بسبب ورود النص بهذا وهذا، تخياراً وتوسيعة للمسلمين، فهو خلاف مشروع، والأفضل العمل بهذا أحياناً وبهذا أحياناً، ومن اقتصر على عمل أحدهما فلا بأس.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله^(١): «والقاعدة: أن العبادات الواردة على وجوه متنوّعة، ينبغي للإنسان أن يفعلها على هذه الوجوه، وتنوعها فيه فوائد:

أولاً: حفظ السنّة، ونشر أنواعها بين الناس.

ثانياً: التيسير على المكلّف، فإن بعضها قد يكون أخفّ من بعض فيحتاج للعمل.

ثالثاً: حضور القلب، وعدم مللّه وسامته.

رابعاً: العمل بالشريعة على جميع وجوهها» اهـ.

٢ - **خلاف أفهام:** وهو الخلاف الذي يكون بسبب الاختلاف في فهم الدليل، أو الاختلاف في ثبوته، أو في نسخه، أو في الجمع بينه وبين غيره من الأدلة، وهذا النوع من الخلاف جائز، كل واحد يرجح ما يراه بالدليل ويعمل بالراجح، فمن أصاب فله أجران، ومن أخطأ فله أجر، وللأسف الشديد أكثر خلاف أهل السنة في هذا النوع من أنواع الخلاف.

(١) «الشرح الممتع» (٥٦-٥٧) / ٢.

٣ - خلاف تضاد: وهو مخالفة النص الصحيح الصريح بلا تأويل ساعي، وهذا النوع الثالث من أنواع الخلاف هو المذموم والمحرّم لما فيه من المشاقة لله ورسوله واتباع لغير سبيل المؤمنين^(١).



(١) ومن العلماء من قال: الخلاف ينقسم إلى قسمين:

١ - خلاف تنوع ٢ - خلاف تضاد.

وخلاف التضاد ينقسم إلى قسمين:

١ - خلاف ساعي معتبر، وهو خلاف الأفهام، وهو جائز.

٢ - خلاف غير ساعي ولا معتبر، وهو المذموم المحرّم.

فال الأول إنما هو اختلاف في الفهم، لا يصادم نصاً ولا إجماعاً، والثاني لا يعتمد على الأدلة الشرعية، وإنما يعتمد في الغالب على الهوى والرأي المجرد، أو الأدلة الضعيفة البعيدة المأخذ.

انظر: «اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم» لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (١٤٩-١٥٣).

﴿ الخلاف على تشيخ فلان وعدم تشيخه ﴾

في بعض الأحيان يحصل بسبب هذه الجزئية البسيطة خلاف بين الدعوة، فمن الدعوة من يقول: فلان شيخ. ومن الدعوة من يقول: ليس بشيخ. وقد تحصل بين الدعوة فتنة بسبب هذه المسألة، وضابط هذه المسألة أن يقال والله أعلم: إنها تقاس على قول العلماء المتقدمين في معرفة الراوي الثقة أو غير الثقة وأنه يُعرَف بواحد من اثنين:

الأول: بتنصيص العلماء أنه ثقة أو غير ثقة، فإذا نص العلماء أن الراوي فلاناً ثقة فهو ثقة، وإذا نصوا أنه غير ثقة فهو غير ثقة.

الثاني: بالشهرة والاستفاضة بين الناس، فإذا اشتهر واستفاض بين الناس أن الراوي ثقة فهو ثقة، وإذا اشتهر واستفاض بين الناس أن الراوي فلاناً غير ثقة فهو غير ثقة^(١).

وهذا معلوم عند أهل العلم، فنسحب هذه المسألة على مسألة التشيخ، فإذا نص العلماء وقالوا: فلان شيخ؛ فهو شيخ.

أو إذا استفاض بين الناس من أهل السنة استفاضة كبيرة واسعة أنه شيخ فهو شيخ.

وهناك قياس آخر نقيس عليه هذه المسألة: وهي دراسة الطالب في المدارس النظامية، فإنه يدرس اثنين عشرة سنة للتأسيس والتأصيل، وهي الابتدائي والمتوسط والثانوي، ثم يدرس بعدها دراسات عليا مثلها في الزمن أو أقل منها بقليل وهي الجامعة والماجستير والدكتوراه، ثم يحصل

(١) قال في «اختصار علوم الحديث»: (ص: ٩٣): «وتثبت عدالة الراوي باشتئاره بالخير والثناء الجميل عليه، أو بتعديل الأئمة، أو اثنين منهم له، أو واحد على الصحيح، ولو بروايته عنه في قول».

بعد ذلك على لقب الدكتوراه بدون منازع، فلتكن هذه مثل هذه على أقل تقدير مع وجود الفرق الواسع والبون الشاسع بين الدراسة في المدارس والدراسة في المساجد، فالدراسة في المساجد عند التحقيق أكثر نظاماً وأنضج دراسة في السابق واللاحق.

ويقال كذلك: كما أنه يقال للشخص: طالب وهو في المراحل الأولى من الدراسة بلا نكير، مع أن الطلاب درجات، فهناك طالب علم مبتدئ، وطالب علم متوسط، وطالب علم متقدم قوي، لكن تجمعهم كلمة طالب علم، كذلك يقال مثل هذا في كلمة شيخ^(١).

(١) **تبنيه:** تطلق كلمة شيخ على عدة معانٍ:

- ١ - شيخ في علم الشريعة، وهو في اصطلاحنا المعاصر: من بلغ مرتبة في العلم والخطابة، يصلح أن يكون قدوة للناس، وكل شيخ بحسبه.
- ٢ - شيخ لكبير السن، ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَيْرٌ﴾ [القصص: ٢٣].
- ٣ - شيخ القبيلة.
- ٤ - شيخ، وهي في المرتبة الرابعة والأخيرة من مراتب التعديل، ومنهم من جعلها في المرتبة الثالثة. انظر: «تدريب الراوي» (١/٤٠٤)، «الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح» (١/٢٦٨).
- ٥ - يقال للوجيه في قومه شيخ. ولا مشاحة في الاصطلاح.

تبنيه آخر: العالم في الاصطلاح هو: المؤهل للفتاوى ومنصب التعليم. وقد عقد ابن القيم رحمه الله في كتابه «إعلام الموقعين» (١/٣٧) فصلاً لكلام الأئمة في أدوات الفتيا، وشروطها، ومن ينبغي له أن يفتى، فكان مما قال رحمه الله: «قال الشافعي فيما رواه عنه الخطيب في كتاب «الفقيه والمتفقه» له: لا يحل لأحد أن يفتى في دين الله إلا رجلاً عارفاً بكتاب الله، بنسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، وتأويله وتزيله، ومكيه ومدنيه، وما أريد به، ويكون بعد ذلك بصيراً بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبالنسخ والمنسوخ، ويعرف من الحديث مثل ما عرف من القرآن، ويكون بصيراً باللغة، بصيراً بالشعر وما يحتاج إليه للسنة والقرآن، ويستعمل هذا مع الإنصاف، ويكون بعد هذا مشرفاً على اختلاف أهل الأمصار، وتكون له قريحة بعد هذا، فإذا كان هكذا فله أن يتكلم ويفتى في الحلال والحرام، وإذا لم يكن هكذا فليس له أن يفتى» اهـ.

٦٩ أخذ العلم من الكتب دون المشايخ من غير المتأهل زلل

يقول الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد رحمه الله^(١): «الأصل في الطلب أن

تنبيه آخر: العالم في الحقيقة الشرعية لا يطلق إلا على العامل بعلمه الذي يخشى الله تعالى. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «من كان عالماً بما أمر الله تعالى به وما نهى عنه فهو عالم بالشريعة، ومن لم يكن عالماً بذلك فهو جاهل» اهـ «المستدرك على مجموع الفتاوى» (١٢٨/١)، «مختصر الفتاوى المصرية» ص (٥٨٦).

وقال رحمه الله أيضاً في «مجموع الفتاوى» (٢١/٧): «ومما يدل على هذا المعنى: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عَبَادِهِ الْعَلَمُو﴾ [فاطر: ٢٨] والممعن: أنه لا يخشأه إلا عالم؛ فقد أخبر الله أن كل من خشي الله فهو عالم كما قال في الآية الأخرى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتُ إِذَآءَ أَنَّ لِلَّهِ سَلِيجًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هُلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩]. اهـ.

وقال رحمه الله أيضاً في «مجموع الفتاوى» (٥١٣/١١): «وكم من مدعٍ للمشيخة وفيه نقص من العلم والإيمان ما لا يعلمه إلا الله تعالى» اهـ.

(١) «حلية طالب العلم» ص (١٥٨).

تنبيه: تعليق بعض العلماء على المقولة المشهورة «من كان شيخه كتابه فخطوه أكثر من صوابه»:

قال الشيخ ابن باز رحمه الله كما في «مجموع فتاوى ابن باز» (٧/٢٣٩-٢٤٠): «المعروف أن من كان شيخه كتابه فخطوه أكثر من صوابه هذه هي العبارة التي نعرفها، وهذا صحيح: أن من لم يدرس على أهل العلم، ولم يأخذ عنهم، ولا عرف الطرق التي سلكوها في طلب العلم، فإنه يخطئ كثيراً، ويلتبس عليه الحق بالباطل، لعدم معرفته بالأدلة الشرعية، والأحوال المرعية التي درج عليها أهل العلم، وحققوها وعملوا بها. أما كون خطوه أكثر فهذا محل نظر، لكن على كل حال أخطاؤه كثيرة، لكونه لم يدرس على أهل العلم، ولم يستند منهم، ولم يعرف الأصول التي ساروا عليها فهو يخطئ كثيراً، ولا يميز بين الخطأ والصواب في الكتب المخطوط والمطبوعة.

وقد يقع الخطأ في الكتاب ولكن ليست عنده الدرأة والتمييز فيظنه صواباً، فيفيتي بتحليل ما حرم الله، أو تحريم ما أحل الله، لعدم بصيرته؛ لأنّه قد وقع له خطأ في كتاب،

يكون بطريق التلقين والتلقي عن الأساتيد، والأخذ من أفواه الرجال لا من الصحف وبطون الكتب، وقد قيل: من دخل في العلم وحده خرج وحده؛ أي: من دخل في طلب العلم بلا شيخ؛ خرج منه بلا علم، إذ العلم صنعة، وكل صنعة تحتاج إلى صانع، فلا بد إذاً لتعلمها من معلمها العاذق، وهذا يكاد يكون محل إجماع من أهل العلم؛ إلا من شذ» اهـ.

وطلب العلم على أيدي المشايخ والعلماء له فوائد كثيرة، من أهمها:

مثلاً: لا يجوز كذا وكذا، بينما الصواب أنه يجوز كذا وكذا، فجاءت لا زائدة أو عكسه: يجوز كذا وكذا والصواب: ولا يجوز فسقطت لا في الطبع أو الخط فهذا خطأ عظيم. وكذلك قد يجد عبارة: ويصبح كذا وكذا، والصواب: ولا يصبح كذا وكذا، فيختلط الأمر عليه لعدم بصيرته، ولعدم علمه، فلا يعرف الخطأ الذي وقع في الكتاب، وما أشبه ذلك» اهـ.

وقال الإمام الوادعي رحمه الله في هذه المقوله: «هذا إذا لم يحسن اختيار الكتاب» اهـ. «أسئلة أهل العراق» (صوقي).

قلت: هذه المقوله فيها تفصيل:

- ١ - إذا كان القارئ ذكياً نظماً متاهلاً، فهذه المقوله ليست له.
- ٢ - إذا كان القارئ مبتدئاً غير مميز وغير فطن وقرأ في كتب أهل الضلال، فهذه المقوله تكون خاصة به.
- ٣ - إذا كان القارئ مبتدئاً وقرأ في كتب أهل السنة والجماعة المحققة، خاصة في كتب الوعظ والإرشاد والآداب، كرياض الصالحين، والترغيب والترهيب للمنذري، وغيرهما، فقد يكون صوابه أكثر من خطئه إن شاء الله، لماذا؟ لأن كتب أهل السنة والجماعة تبين الأحاديث الصحيحة من الضعيفة، وعقيدتهم صحيحة ومنهجهم صحيح والحمد لله، وليس عندهم بدع ولا خرافات، والكلمات الغريبة تكون في الغالب مبيبة إما في الشرح أو في الحواشي، وما أشكل عليه يسجله في مفكرة خاصة ثم إذا التقى بعض أهل العلم يسألهم عما أشكل عليه.
- ٤ - إذا كان القارئ مبتدئاً وقرأ في علوم الآلة، كالنحو والصرف والمصطلح والأصول وغيرها، فهذا لا شك أن خطأه يكون أكثر من صوابه، والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمأب.

- ١- يختصر لك العمر باختصار الوقت، يعني: أن الشيخ يلخص لك الكتب، فإنك إن سألت الشيخ عن مسألة من المسائل التي طال فيها الكلام وألْفَت فيها المؤلفات فيعطيك الجواب في كلمات يسيرة، وربما يكون الشيخ الذي سأله بحث هذه المسألة عمرًا طويلاً وأنت أخذت منه زبدة المسألة.
 - ٢- يصحح ويسلد لك الفهم ويبيّن لك الأخطاء، وكما قيل: «إن العلم كان في صدور الرجال، ثم انتقل إلى الكتب، وصارت مفاتحة بأيدي الرجال»^(١).
 - ٣- تكتسب منه الآداب والأخلاق، وهذا أفضل ما يتتفع به طالب العلم وهو الأدب، أما الذين يقرؤون من الكتب فقط؛ فإن هذه الثمرة العظيمة تفوّتهم فلا يتأدبون بآداب العلماء إلا من رحم الله.
- ثم طالب العلم مع الكتاب والشيخ على ثلات مراحل:
- المرحلة الأولى:** بداية الطلب، تكون ملازمة الطالب للشيخ أكثر من ملازمته للكتاب.

المرحلة الثانية: عند توسط الطالب في طلب العلم، يساوي بين الكتاب والشيخ من حيث الملازمة.

المرحلة الثالثة: طالب العلم المتقدم المتأهل، تكون علاقته بالكتاب أكثر من علاقته بالشيخ ولا غنى له عن العلماء حتى يتوفاه الله، قال تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيًّم﴾ [يوسف: ٧٦]، وما قصة موسى عليه السلام مع الخضر عنكم بعيد.



(١) «المواقفات» للشاطبي (١٤٠/١).

٦٣ كثرة الدخول على السلطان

قال ﷺ: «مَنْ بَدَا جَفًا، وَمَنْ أَتَى الصَّيْدَ غَلَّ، وَمَنْ أَتَى أَبْوَابَ السُّلْطَانِ افْتَسَنَ، وَمَا ازْدَادَ عَبْدًا مِنَ السُّلْطَانِ قُرْبًا، إِلَّا ازْدَادَ مِنَ اللَّهِ بُعْدًا»^(١).

فالإكثار من الدخول على السلطان غير صحيح، وجفاء السلطان وعدم القرب منه مطلقاً غير صحيح، والوسط: القرب منه أحياناً إذا كان في القرب مصلحة راجحة من نصيحة وغيرها برفق ولين، والبعد إذا كان في البعد مصلحة راجحة مع حفظ مكانة ولـي الأمر وإجلاله في حدود الشرع^(٢)، وكذلك مع حفظ كرامة الدعوة بعدم التنازل عن شيء منها، فهي عندنا أغلى من الدنيا وما فيها، وكما أن السلطان رجل دولة يخاف على دولته ومكانته فأنت رجل دعوة تخاف على دعوتك أعظم من خوفه على دولته ومنصبه، و«كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِه»^(٣).



(١) صحيح رواه «أحمد» (٨٨٣٦) عن أبي هريرة وابن عباس والبراء رضي الله عنهم، وصححه الألباني رحمه الله في «السلسلة الصحيحة» (١٢٧٢)، و«صحيح الجامع» (٦١٤٤)، وانظر التعليق على هذا الحديث وكلام العلماء فيه: كتابي «سرعة العقاب لمن خالف السنة والكتاب» الطبعة الثالثة ص (٣١١-٣٠٩).

(٢) يقول ابن عبد البر رحمه الله بعد أن أورد الأحاديث والأثار الواردة في النبي عن المجيء إلى السلاطين: «معنى هذا كله في السلطان الجائر الفاسق، وأما العدل منهم الفاضل فمدخلته وعونه على الصلاح من أفضل أعمال البر، ألا ترى أن عمر بن عبد العزيز إنما كان يصحبه جلة العلماء» اهـ «جامع بيان العلم وفضله» (٦٤١ / ١).

ولمزيد الفائدة انظر كتاب: «ما رواه الأساطين في عدم المجيء إلى السلاطين» للسيوطى رحمه الله. وغيره من الكتب المؤلفة في هذا الباب.

(٣) متفق عليه: «البخاري» (٢٥٥٤)، «مسلم» (١٨٢٩) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

٦٣ غفلة بعض الدعاة عن أن الدعوة السلفية الآن

تمر بمرحلة الدعوة المكية في الضعف

من المهم جداً أن يتتبّع الدعاة الحذّاق الأذكياء النباء أن الدعوة السلفية في هذا العصر تمر بمرحلة الدعوة المكية في الضعف، فليس من الحكمة أن نستخدم في الرد على المخالف كلمات وعبارات وألفاظ بعض علماء القرون الثلاثة المفضلة^(١) التي كانت السنة فيها قاهرة ظاهرة، وأهل البدع والأهواء في ذلة وصغار، فإن الوضع اليوم عكس ما كان عليه البارحة^(٢)، فمن الحكمة مراعاة الزمان والمكان والأحوال في اختيار الألفاظ وغيرها في الطرح في المحاضرات والخطب والمواعظ والرد على المخالف بِرَدٍّ يؤدي الغرض ولا يُدخل الدعوة في مرض، ولا يؤلّب عليك وعلى دعوتك العامة والرأي العام^(٣).



(١) قال الإمام الألباني رحمه الله: «الآثار السلفية إذا لم تكن متضامنة متواترة فلا ينبغي أن يؤخذ عن فرد من أفرادها منهج» (سلسلة الهدى والنور) شريط رقم (٦٦٦).

(٢) لا يفهم من هذا تكفير من حولنا من الحكومات والشعوب، حاشا لله، فنحن من أبعد الناس عن هذا والله الحمد، وإنما الفقصد أن القوة والظهور الآن لفرق والدعوات المسلمة المخالفة للكتاب والسنة.

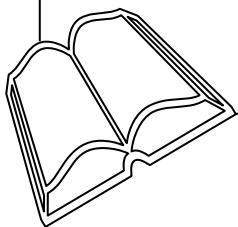
(٣) وقد ذكرت هذه المسألة في كتابي «السطور الذهبية في بيان أهداف وثمار دور الحديث السلفية في الديار اليمنية» ص (٦٢) تحت فقرة «الرُّفق واللَّيْلُ والحكمة في تبليغ العلم والخير لل المسلمين وغير المسلمين، فإنَّ الرُّفق في الأمور كالمسْكِ في العطور».

وهناك كلام نفيس حول هذه المسألة لشيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه في «مجموع الفتاوى» (٢٨/٢٠٦ و ٢١٠ و ٢١٢).

الفصل الثالث

ضعف العقل عند الداعية يسبب زغلاً كثيراً في الدعوة

أذكر منه ما يلي:



﴿ من كان علمه أكبر من عقله ضرّ نفسه وأضرّ الآخرين ﴾

اعلم رحمني الله وإياك، أنه إذا مَنَّ الله تبارك وتعالى على عبد بالعقل فقد أعظم له المِنَّة وعاش مستريحاً في نفسه مريحاً لغيره، سلم نفسه وسلم الناس من شره وغوائله، ومن كان خفيف العقل كان بعكس ما تقدم، ولذلك قالوا: العلماء من حيث العقل والعلم على ثلاث مراتب:

١- عالم عقله أكبر من علمه، أي: عنده علم قليل، ولكن عنده عقل كبير وحكمة وبصيرة في توجيه الناس وإرشادهم إلى ما يكون فيه خير كثير، وإذا نزلت به النوازل، أو أحاطت به الكروب أحسن إدارتها، وأحسن التخلص منها.

٢- عالم علمه أكبر من عقله، قال ابن مفلح رحمه الله^(١): «وكان يقال: إذا كان علم الرجل أكثر من عقله؛ كان قَمِنًا -أي: حريًا- أن يضره علمه» اهـ أي: إذا كان الرجل عنده علم كثير يحفظ ويقرأ، ولكنه لا يحسن وضع الأمور في نصابها، فهذا يرهق نفسه ويرهق الدعوة معه، ويجب أن نفرق بين الدعوة والداعية، ولا نحمل الدعوة أخطاء الداعية، كما أنها لا نحمل الإسلام أخطاء المسلمين، فأفراد المسلمين ليسوا بمعصومين وإن علا كعبهم في العلم.

٣- عالم استوى علمه وعقله، أي: علمه كثير وعقله كبير، وهذه مرتبة الكمال رحمه الله^(٢). قال يزيد بن هارون رحمه الله^(٣): «من كان علمه أكثر من عقله خشيت عليه، ومن كان عقله أكثر من علمه رجوت له» اهـ.

(١) «الآداب الشرعية» (٢١١ / ٢).

(٢) انظر: «معالم تربوية لطالبي أنسني الولايات الشرعية». قلت: ويمكن أن تكون القسمة رباعية بإضافة من يكون عقله صغيراً وعلمه قليلاً.

(٣) أخرجه البيهقي في «الشعب» (٤٣٦٥).

ويروى أن الخليل بن أحمد لقي ابن المقفع؛ ففاوضه وكلمه، فلما افترقا سُئل كُل عن كُل، فكان الجواب هكذا:
قال ابن المقفع: رأيت رجلاً -يعني: الخليل بن أحمد- عقله أكبر من علمه.
وسُئل الخليل عن ابن المقفع، فقال: رأيت رجلاً علمه أكبر من عقله،
ويوشك ذلك أن يقتله. فُقتل بعد على الزندقة.



٦٥) الشدة في موطن اللين، واللين في موطن الشدة

من الدعوة من لا يحسن وضع الأمور في نصايتها فيسهل في موضع الجمود ويحمد في موضع السيلان، فالشدة في موضعها حكمة، واللين في موضعها حكمة، ولا ينبغي أن يُفهَم أن الدعوة إلى الرفق تتعارض مع مواطن الشدة والحرم، بل لكل منها مكانه وموضعه.

قال سفيان بن عيينة رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنَّهُ لِأَصْحَابِهِ^(١): تدرُونَ مَا الرُّفْقُ؟ قالوا: قل. قال: أن تضع الأمور مواضعها، الشدة في موضعها، واللين في موضعه، والسيف في موضعه، والوسط في موضعه.

قال بعض العلماء: وهذه إشارة إلى أنه لا بد من مزج الغلطة باللين والفتاظة بالرفق.

ووضع الندى في موضع السييف بالعلا مُضرٌّ كوضع السييف في موضع الندى فال محمود هو الوسط، لكن لَمَّا كانت الطياع إلى الجد والعنف أميلًا، كانت الحاجة إلى ترغيبهم في الرفق أكثر، وال الحاجة إلى العنف يقع على ندور» اهـ.

قال الشيخ ابن باز رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنَّهُ^(٢): «الشريعة الكاملة جاءت باللين في محله والشدة في محلها، فلا يجوز للمسلم أن يتتجاهل ذلك، ولا يجوز أيضًا أن يوضع اللين في محل الشدة، ولا الشدة في محل اللين، ولا ينبغي أيضًا أن

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «ذم الغضب» كما في «إتحاف السادة المتنعين» للزبيدي (٤٨/٨).

تبنيه: البعض يعزُّو هذه المقوله لسفيان الثوري رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وهو خطأً، كما نبه عليه الزبيدي رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ. وانظر كذلك: «فيض القدير» للمناوي (٤/٥٧).

(٢) «مجموع فتاوى ابن باز» (٣/٢٠٤-٢٠٥).

ينسب إلى الشريعة أنها جاءت باللين فقط، ولا أنها جاءت بالشدة فقط، بل هي شريعة حكيمه كاملة صالحة لكل زمان ومكان ولإصلاح جميع الأمة، ولذلك جاءت بالأمرتين معًا، واتسمت بالعدل والحكمة والسماحة، فهي شريعة سمحنة في أحكامها وعدم تكليفها ما لا يطاق؛ ولأنها تبدأ في دعوتها باللين والحكمة والرفق، فإذا لم يؤثر ذلك وتجاوز الإنسان حده وطغى وبغى أخذته بالقوة والشدة وعاملته بما يردعه ويعرفه سوء عمله، ومن تأمل سيرة النبي ﷺ وسيرة خلفائه الراشدين وصحابته المرضيin وأئمته الهدى بعدهم عرف صحة ما ذكرناه...» اهـ.



٦٦ خوف بعض الكبار من الصغار في إظهار الحق والقول به

يقول ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ...»^(١).

وقال أبو ذر رض: أَمَرَنِي خَلِيلِي عليه السلام بِسَبْعٍ: -وذكر منها:- وَأَنْ أَقُولَ بِالْحَقِّ وَإِنْ كَانَ مُرَا...^(٢).

وكان عليه السلام يستعيد بالله دبر كل صلاة من الجبن فيقول: «...اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ...»^(٣).

وبaidu الصاحبة النبي عليه السلام على أن يقولوا بالحق أينما كانوا، لا يخافون في الله لومة لائم^(٤).

قال بعض العلماء: العالِم يحتاج مع علمه إلى شجاعة؛ حتى ينتشر علمه ويؤثّر في الناس، وخاصة ونحن نعيش في زمن الظلمات، وأيام الفتنة المدلهمات، لذلك يكون لصوت الحق قيمة، ولصيحة العالِم في وجه الباطل أثر، فكم من كلمة حق غيرت مجرى التاريخ، وكم من موقف مشرف لعالِم من علماء الأمة قد أزال من طريق الدعوة ركام الباطل، والناس في زمن الفتنة والصراعات يتظرون كلمة حكيمة من علمائهم لتكون لهم بمثابة النور الذي ينير لهم الطريق.

(١) رواه «مسلم» (٢٦٦٤) عن أبي هريرة رض.

(٢) صحيح. رواه «أحمد» (٢١٤١٥)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢١٦٦).

(٣) رواه «البخاري» (٢٨٢٢) عن سعد بن أبي وقاص رض.

(٤) متفق عليه: «البخاري» (٧١٩٩)، «مسلم» (١٧٠٩) عن عبادة بن الصامت رض.

ولكن للأسف فإن إرهاب الصغار أخاف بعض الكبار، فيخاف الكبير من الكلمة الحق التي تنفع ولا تضر، فيحجم عن الكلام حتى لا يقال عنه: متشدد أو ممتع، أو يهجر أو ترك دروسه ومحاضراته، فهو يخاف ممن دونه من الأتباع؛ لأننا في عصر العقوق والجفاء.

١ - فالأب يخاف من أبنائه، كما جاء في الحديث: «...اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَلَدٍ يَكُونُ عَلَيَّ رِبًا»^(١)، أي: أستعيذ بك أن ترزقني ولدًا يكون عليّ مالكًا؛ لعقوبه وعدم برّه، وتسلطه على كأنه هو المالك السيد، وأنا العبد المملوك عنده.

٢ - العالم يخاف من طلابه حتى لا يتكلموا فيه أو يترکوه. قال شيخنا الوادعي رحمه الله^(٢): «وما رفع الله شأن أهل العلم إلا لأنهم يقفون أمام الباطل ويقولون للمصيبة: أنت مصيبة، ولصاحب الباطل: أنت مبطل» اهـ.

٣ - والحاكم يخاف من شعبه حتى لا يخرجوا عليه بالمظاهرات والاعتصامات، فاللهـم سلم سلم، قال عليه السلام: «مَنْ أَرْضَى اللَّهَ بِسَخْطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ، وَمَنْ أَسْخَطَ اللَّهَ بِرَضَا النَّاسِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ»^(٣).



(١) جيد. رواه الطبراني في «الدعاء» (١٣٣٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وجود إسناده الألباني رحمه الله في «السلسلة الصحيحة» (٣١٣٧).

(٢) «تحفة المعجب» (ص: ٢٧٣).

(٣) صحيح رواه «ابن حبان» (٢٧٧) عن عائشة رضي الله عنها، وصححه الألباني رحمه الله في «التعليقات الحسان» (٢٧٧)، و«السلسلة الصحيحة» (٢٣١١).

عدم التثبت في نقل الأخبار

إن التثبت في نقل الأخبار خلق عظيم، أمر به رب العالمين، وسید المرسلین ﷺ، وأجمع عليه العلماء السابقون واللاحقون؛ لأن فيه حفظاً للأرواح، وصيانة للدماء، وحماية لحقوق المسلمين وأعراضهم، وقطعاً لدابر الفتنة والصراعات، فبالثبت يعرف الحق من الباطل، والمليء من العاطل فيما يروج من أخبار وإشاعات.

فالثبت صفة من صفات أصحاب العقل والرزانة، بخلاف العجلة فإنها من صفات أصحاب الرعنونه والطيش.

والثبت دليل على رجاحة العقل وسلامة التفكير، أما العجلة فدليل على نقص في العقل وخلل في التفكير.

والثبت فضيلة، والنقل من غير ثبتٍ ردية.

فما أحوجنا إلى هذا الخلق الكريم؛ في زمن تُرمى فيه التهم جزافاً، وتنقل فيه الإشاعات دون ثبت ولا تبيّن.

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِحَمْلَةٍ فَتُصِيبُوهُمْ عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَذِرَمِينَ﴾ [الحج: ٦].

وفي قراءة صحيحة: (فَشَبَّثُوا)، من التثبت، وهو الأنأة وعدم العجلة، والتبصر في الأمر الواقع والخبر الوارد حتى يتضح ويظهر بالبينات الواضحات^(١).

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رحمه الله^(٢): «من الغلط الفاحش

(١) سبب نزول هذه الآية حسنه العلامة الألباني رحمه الله كما في «السلسلة الصحيحة» (٣٠٨٨) فانظره غير مأمور.

(٢) «الرياض الناضرة» ص (٢٣٤).

الخَطِير؛ قبول قول الناس بعضهم في بعض، ثم يبني عليه السامع حُبًّا وبغضًا ومدحًا وذمًا، فكم حصل بهذا الغلط أمور صار عاقبتها الندامة، وكم أشاع الناس عن الناس أمورًا لا حقائق لها بالكلية، أو لها بعض الحقيقة فنميَت بالكذب والزور، وخصوصًا من عُرِفوا بعدم المبالاة بالنقل، أو عرف منهم الھوى، فالواجب على العاقل التثبت والتحرز وعدم التسريع، وبهذا يُعرف دين العبد ورثانته وعقله» اهـ

قال ﷺ: «كَفَىٰ بِالْمَرءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»^(١).

وعلماء الحديث لا يقبلون قول: حدثنا الثقة، بل لا بد من تسميتها، فقد يكون ثقة عندك، غير ثقة عند غيرك.

وإذا رمت الإصلاح بين الخصوم فاجمع بين القائل والمقول فيه، هذا توجيه النبي ﷺ، حيث قال ﷺ: «إِذَا تَقَدَّمَ إِلَيْكَ خَصْمَانِ، فَلَا تَسْمَعْ كَلَامَ الْأَوَّلِ، حَتَّى تَسْمَعَ كَلَامَ الْآخَرِ، فَسَوْفَ تَرَى كَيْفَ تَقْضِي» قال: فَقَالَ عَلَيْهِ: «فَمَا زِلْتُ بَعْدَ ذَلِكَ قَاضِيًّا»^(٢).

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله^(٣): «الثبت والثبات: ومن أهم الآداب التي يجب أن يتحلى بها طالب العلم: التثبت فيما ينقل من الأخبار، والتثبت فيما يصدر من الأحكام، فالأخبار إذا نقلت فلا بد أن تثبت أولاً، هل صحت عمن نقلت إليه أو لا؟ ثم إذا صحت فثبتت في الحكم، ربما يكون الحكم الذي سمعته مبنياً على أصل تجهله أنت، فتحكم أنه خطأ،

(١) رواه «مسلم» في المقدمة (٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) حسن. رواه «أحمد» (٦٩٠)، و«الترمذى» (١٣٣١) عن علي رضي الله عنه، وحسنه الألبانى رحمه الله في «الإرواء» (٢٦٤٧)، و«صحیح الجامع» (٤٣٥)، وصححه أحمد شاكر رحمه الله في تحقيق المسند (٦٩٠).

(٣) كتاب «العلم» (ص: ٣٩)، «مجموع فتاوى ورسائل العثيمين» (٢٦ / ٩٣).

والواقع أنه ليس بخطأ، ولكن كيف العلاج في هذه الحال؟

العلاج: أن تتصل بمن نسب إليه الخبر وتقول: نقل عنك كذا وكذا، فهل هذا صحيح؟ ثم تناقشه، فقد يكون استنكارك ونفور نفسك منه أول وهلة سمعته؛ لأنك لا تدرى ما سبب هذا المنشول، ويقال: إذا علم السبب بطل العجب. فلابد أولاً: من التثبت في الخبر والحكم، ثم بعد ذلك تتصل بمن نقل عنه وتسأله هل صح ذلك أم لا؟ ثم تناقشه: إما أن يكون هو على حق وصواب فترجع إليه، أو يكون الصواب معك فيرجع إليه...» اهـ

وقال شيخنا الوادعي رحمه الله^(١): «الواجب على المسلم إذا بلغه خبر من الأخبار فيما يختص بالدعاة إلى الله وفيما يختص بالمصلحين عليه أن يتحرى في هذا الأمر، لا سيما ونحن في مجتمع كثُر فيه الكذب، وكثُرت فيه الدعايات الخبيثة» اهـ

وقال والدنا العالمة الوصabi رحمه الله في وصيته: «أوصي إخواني أهل السنة جمِيعاً بالتشتت فيما يُشاع عن أهل العلم أو غيرهم من طلبة العلم؛ فإن كثيراً من الناس يُشيعون عن العلماء وطلبة العلم إشاعات كثيرة لا أصل لها» اهـ.



(١) «المصارعة» (ص: ٢٨).

﴿٦٨﴾ عدم تغافل بعض الدعاة عن عثرات إخوانهم الدعاة أصحاب المنهج الواحد

اعلم رحمني الله وإياك، أن التغافل^(١) من أحسن الأخلاق والأداب، وهو من أدب السادة وأخلاق القادة.

قال أَيُوب السختياني رَحْمَةُ اللَّهِ^(٢): «لَا يسود العبد حتَّى يكون فيه خصلتان: اليأس مما في أيدي الناس، والتغافل عما يكون منهم» اهـ فعلى الإنسان إذا أراد أن يعيش سعيداً مسروراً محبوباً معدوداً في جملة الكبار أن يتحلى بهذا الخلق الكريم، فبهذا الخلق تبقى بإذن الله العلاقات، وتنمو المحبة، وتزدهر الدعوة، وتقوى أواصر الأخوة. أما السُّوقَةُ فلا يعرفون مثل هذه الأدب، ولذلك تراهم لدنُّو همتهم وخشة طباعهم يحصلون الصغيرة قبل الكبيرة، ويجعلون من الخطط جلاً، ومن الجهة قبة، ومن القبة مزاراً.

قال بعض العلماء: «ما يزال التغافل عن الزلات من أرقى شيم الكرام؛ فإن الناس مجبرون على الزلات والأخطاء فإن اهتم المرء بكل زلة وخطيئة تعب وأتعب غيره، والعاقل الذي من لا يدقق في كل صغيرة وكبيرة مع أهله وأحبابه وأصحابه وجيرانه» اهـ

(١) التغافل هو: تكفل الغفلة مع العلم والإدراك لما يتغافل عنه تكرماً وترفعاً عن سفاسف الأمور.

فالمتغافل يعلم عن هذا الخطأ ويستطيع معاقبة المخطئ ولكنه يتغافل عن ذلك ليقيي حبل المودة، ويعالج الأمور بالتي هي أحسن للتي هي أقوم في الوقت المناسب والمكان المناسب والحال المناسب.

(٢) «حلية الأولياء» (٣/٥).

وروى البيهقي^(١) عن عثمان بن زائدة قال: **الْعَافِيَّةُ عَشَرَةً أَجْزَاءٍ، تِسْعَةً مِنْهَا فِي التَّغَافُلِ.** قَالَ: فَحَدَثْتُ بِهِ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ، فَقَالَ: **الْعَافِيَّةُ عَشَرَةً أَجْزَاءٍ، كُلُّهَا فِي التَّغَافُلِ.** وكانت العرب تردد هذا البيت كثيرا:

لِيسَ الْغَبِيُّ بِسَيِّدٍ فِي قَوْمِهِ
وَفِي حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: جَلَسْتُ إِحْدَى عَشْرَةَ امْرَأَةً، فَتَعاهَدْنَ وَتَعاهَدْنَ أَنْ لَا يَكْتُمْنَ مِنْ أَخْبَارِ أَزْواجِهِنَّ شَيْئًا. وَقَالَتْ إِحْدَاهُنَّ: زَوْجِي إِذَا دَخَلَ فَهِدَ، وَإِذَا خَرَجَ أَسِدَّ، وَلَا يَسْأَلُ عَمَّا عَاهَدَ^(٢).

وهي بهذا تمدح زوجها بالتفاوض؛ لأن من أبرز صفات الفهد التفاوض.
قال الإمام ابن القيم رحمه الله^(٤): «ومن له علم بالشرع والواقع يعلم قطعاً أن الرجل الجليل الذي له في الإسلام قدم صالح وأثار حسنة وهو من الإسلام وأهله بمكان قد تكون منه الهافة والزلة هو فيها معذور بل ومأجور لاجتهاده؛ فلا يجوز أن يتبع فيها، ولا يجوز أن تهدر مكانته وإمامته ومنزلته من قلوب المسلمين» اهـ

وقال الإمام الذهبي رحمه الله^(٥): «ثم إن الكبير من أئمة العلم إذا كثر صوابه، وعلم تحريره للحق، واتسع علمه، وظهر ذكاوه، وعرف صلاحه وورعه واتباعه، يغفر له زلة، ولا نصلله ونظره وننسى محاسنه، نعم، ولا نقتدي به في بدعته وخطئه، ونرجو له التوبة من ذلك» اهـ

(١) «شعب الإيمان» (٨٠٢٨).

(٢) «ديوان أبي تمام» (ص: ٢٨).

(٣) متفق عليه: «البخاري» (٥١٨٩)، «مسلم» (٢٤٤٨).

(٤) «إعلام الموقعين» (٣/٢٢٠).

(٥) «سير أعلام النبلاء» (٥/٢٧١).

وقال الإمام الشاطبي رحمه الله (١): «فلا بد من النظر في أمور تبني على هذا الأصل، منها: أن زلة العالم لا يصح اعتمادها من جهة ولا الأخذ بها تقليداً له؛ وذلك لأنها موضوعة على المخالف للشرع، ولذلك عدت زلة، وإن فلو كانت معتدلاً بها؛ لم يجعل لها هذه الرتبة، ولا نسب إلى صاحبها الزلل فيها، كما أنه لا ينبغي أن ينسب صاحبها إلى التقصير، ولا أن يشنع عليه بها، ولا يتقصى من أجلها، أو يعتقد فيه الإقدام على المخالف بحثاً؛ فإن هذا كله خلاف ما تقتضي رتبته في الدين» اهـ.

قلت: فالتجاهل عن سفاسف الأمور من أخلاق الكبار، والكيس العاقل هو الفطن المتغافل عن الزلات، وسقطات اللسان وغيرها إذا لم يترتب على ذلك مفاسد، وقد قال عزوجل الله: «أَقِيلُوا ذَوِي الْهَيَّاتِ عَثَرَاتِهِمْ» (٢). وختاماً: تذكر أيها الداعي إلى الله ما مرّ بك من مواقف في حياتك مع أهلك، أو أصدقائك، أو طلابك، أو معلميك، أو عامة الناس، هل تعاملت معهم بالتجاهل عن أخطائهم؟ أم حاسبتهم عليها حساب الشريك لشريكه؟ إذا كان الثاني فتأكد أنه لن يبقى لك صاحب ولا صديق ولا داعية على الطريق؛ لأن العصمة انقطعت يوم دفن النبي عزوجل الله، و«كُلُّ أَبْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ...» (٣). ولكل جواد كبوة، ولكل سيف نبوة، ولكل داعية هفوة، والماء إذا بلغ القلتين لم يحمل الخبث، والعدل من كثر خيره على شره.

(١) «المؤافقات» (١٣٦/٥-١٣٧).

(٢) صحيح. رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٤٦٥)، و«أحمد» (٢٥٤٧٤)، و«أبو داود» (٤٣٧٥) عن عائشة رضي الله عنها، وصححه الألباني رحمه الله في «سلسلة الصحيح» (٦٣٨)، و«صحيح الجامع» (١١٨٥).

(٣) حسن. رواه «الترمذى» وغيره (٢٤٩٩) عن أنس بن عاصي، وحسنه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن الترمذى» (٢٤٩٩)، و«صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٣٩).

وَمَنْ ذَا الَّذِي مَا سَاءَ قَطْ وَمَنْ لَهُ الْحُسْنَى فَقَطْ
وَمَنْ ذَا الَّذِي تُرْضِي سَجَایَاهُ كُلُّهَا كَفَى الْمَرَءَ نُبْلًا أَنْ تُعَدَّ مَعَائِيْه
وإذا أردتم أنه لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر ولا يدعو إلى
الله إلا من لا يخطئ، فمعناه: إغلاق باب الدعوة، والأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر، ولن يدعوا على وجه الأرض أحد.



٦٩ خلط بعض الدعاء بين المداراة والمداهنة

أدى إلى ترك المداراة

حاجة الناس عامة وأتباع الرسل خاصة إلى المداراة لا تدانيها حاجة، فهي من أخلاق المؤمنين الصالحين، ومن أقوى أسباب الألفة بين المسلمين، وأنجح وسيلة لدفع شر أعداء الدعوة عن الدعوة.

فالدعوة إلى الله عزّ وجلّ وظيفة الأنبياء والمرسلين، والدعاة إلى الله هم أتباع الأنبياء والرسل، لذا لابد لأتباع الرسل من سلوك سبيلهم، واقتفاء نهجهم في الدعوة، فإذا احتاج الرسل والأنبياء إلى سلوك سبيل المداراة مع أعداء دعوتهم فمن باب أولى أتباع الرسل في هذا الزمن، فهم بحاجة إلى مداراة خصوم الدعوة، بل وإلى مداراة إخوانهم الدعاة الذين معهم في الصف الواحد؛ ليستقيم الصف ويكون كالبنيان المرصوص.

إذا كان الداعية حريصاً على نجاح دعوته، دارى المدعوين وعاملهم بما يحبون، حتى لو كان مضطراً إلى قسر نفسه على ذلك ما دام يظن أن عاقبة الأمر إلى خير، والداعية الذي لم يدار المدعوين سوف يملؤنوه، وينفضّون من حوله، ويختسر كثيراً في حياته الدعوية.

وقد خلط بعض الدعاء بين المداراة والمداهنة، فترك المداراة خوفاً من الواقع في المداهنة، والفارق واضح بين المداهنة والمداراة، فليس في المداراة تنازل عن شيء من الدين، ولا غض الطرف عن محرم، بعكس المداهنة، قال تعالى: ﴿وَذُوَّاً لَوْ تُدِهُنْ فَيُدِهُنُوك﴾ [القلم: ٩].

(١) قال ابن بطال رحمه الله: «المداراة من أخلاق المؤمنين، وهي خفض الجناح للناس وليس الكلمة وترك الإغلاط في القول، وذلك من أقوى أسباب الألفة، وظن بعضهم أن المداراة هي المداهنة فغلط؛ لأن المداراة مندوب إليها، والمداهنة محرمة، والفرق: أن

فالحدّ الذي لا يتجاوزه الداعية في مراعاته للمدعوين هو معاصي الله، وما يكرهه تعالى، فيبذل للمدعو من الرفق والمعاملة الحسنة ما يجعله إلى الهدایة، ويميل قلبه إلى الحق دون الوقوع في مداهنته.

إذاً فالمداراة معناها: إظهار الحَسَن في مقابلة القبيح؛ لاستدعاء الحسن مع سلامة الدين.

وقد ثبت في الصحيحين^(١) عن عائشة رضي الله عنها قالت: أستأذنَ رجُلَ عَلَى رَسُولِ اللهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «أئذنُوا لَهُ، بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ، أَوْ ابْنُ الْعَشِيرَةِ» فَلَمَّا دَخَلَ أَلَانَ لَهُ الْكَلَامَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، قُلْتَ الَّذِي قُلْتَ، ثُمَّ أَلَنَ لَهُ الْكَلَامُ؟ قَالَ: «أَيُّ عَائِشَةُ، إِنَّ شَرَ النَّاسِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ، أَوْ وَدَاهُ النَّاسُ، اتِّقاءً فُحْشِيهِ».

ومن أمثلة مداراة النبي ﷺ كذلك: مداراته لأهل مكة، حين تلطف بهم في خطابه، وعفوه عنهم بلا منة، رغم ما لقيه منهم، وتلطفه بالمنافقين في المدينة، وغير ذلك كثير.

المداهنة من الدهان، وهو الذي يظهر على الشيء ويستر باطنه، وفسرها العلماء بأنها معاشرة الفاسق وإظهار الرضا بما هو فيه من غير إنكار عليه، والمداراة هي الرفق بالجاهل في التعليم وبالفاسق في النهي عن فعله وترك الإغلاظ عليه، حيث لا يظهر ما هو فيه، والإنكار عليه بلطف القول والفعل، لا سيما إذا احتاج إلى تألفه، ونحو ذلك» اهـ انظر: «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٣٠٥-٣٠٦)، «فتح الباري» (١٠-٥٢٨).

وقال ابن القيم رحمه الله في كتابه «الروح» (ص: ٣١٩): «المداراة صفة مدح والمداهنة صفة ذم، والفرق بينهما: أن المداري يتلطف بصاحب حتى يستخرج منه الحق أو يردد عن الباطل، والمداهن يتلطف به ليقرّه على باطله ويتركه على هواه، فالمداراة لأهل الإيمان، والمداهنة لأهل النفاق» اهـ.

(١) «البخاري» (٦٠٥٤)، «مسلم» (٢٥٩١).

وعلى منهاج الأنبياء سار الصحابة والسلف الصالح، فدفعوا بالمداراة كثيراً من الشرور، ونالوا مقصودهم بأقل مجهود، وكفوا مؤونة أعدائهم، واتقوا مكرهم، وتخلصوا من لجاجهم.

فهذا أبو الدرداء رض يقول: «إِنَّا لَنَكْسِرُ -أي: نبتسم- فِي وُجُوهِ أَقْوَامٍ وَإِنَّ قُلُوبَنَا لَتَلْعَنُهُمْ» ^(١).

قال ابن مفلح رحمه الله ^(٢): «وقول أبي الدرداء هذا ليس فيه موافقة على محرم ولا مداهنة في كلام، وإنما طلاقة وجه خاصة للمصلحة» اه
وقال الحسن البصري رحمه الله: «التوَدُّدُ إِلَى النَّاسِ نِصْفُ الْعَقْلِ» ^(٣).

ويروى عن الشافعي رحمه الله أنه قال ^(٤):

أَرْحَتْ نَفْسِي مِنْ هُمُ الْعَدَوَاتِ
لَا دَفَعَ الشَّرَّ عَنِّي بِالتَّحِيَّاتِ
كَانَهُ قَدْ حَشِّي قُلْبِي مَحَبَّاتِ
فَكِيفَ أَسْلَمُ مِنْ أَهْلِ الْمَوَدَّاتِ
وَفِي اعْتِزَالِهِمْ قَطْعُ الْمَوَدَّاتِ
أَصَمَّ أَبْكَمَ أَعْمَى ذَا تَقِيَّاتِ
لَمَّا عَفَوْتُ وَلَمْ أَحِقْدُ عَلَى أَحَدٍ
إِنِّي أُحِيي عَدُوِّي عِنْدَ رُؤْتِيهِ
وَأَظْهِرُ الْبِشَرَ لِلْإِنْسَانِ أَبْعَضُهُ
وَلَسْتُ أَسْلَمُ مِمَّنْ لَسْتُ أَعْرِفُهُ
النَّاسُ دَاءُ وَدَاءُ النَّاسِ قُرْبُهُمْ
فَجَامِلُ النَّاسَ وَاجْمُلُ مَا اسْتَطَعْتَ وَكُنْ

وقال الخطابي رحمه الله ^(٥):

(١) صحيح رواه «البخاري» معلقاً، انظر: «السلسلة الضعيفة» (٢١٦).

(٢) «الأدب الشرعية» (١/٥٠).

(٣) «مداراة الناس» لابن أبي الدنيا (ص: ٥٠)، وجاء هذا الأثر أيضاً عن ميمون بن مهران.

(٤) الديوان المنسوب للشافعي (ص: ٢١)، «التنوير شرح الجامع الصغير» للصنعاني (٢٠٤/٦).

(٥) «الأدب الشرعية» لابن مفلح (١/٥٤)، «البداية والنهاية» (١١/٢٣٧).

مَا دُمْتَ حَيًا فَدَارِ النَّاسَ كُلَّهُمُو
مَنْ يَدْرِ دَارِي وَمَنْ لَمْ يَدْرِ سَوْفَ يَرَى
فَإِنَّمَا أَنْتَ فِي دَارِ الْمُدَارَةِ
عَمَّا قَلِيلٍ نَّدِيمًا لِلنَّدَامَاتِ

وقال زهير بن أبي سلمى^(١) :
ومن لم يُصانع في أمور كثيرةٍ
يضرّس بآنياب ويُوطأ بمنسّم



(١) «الآداب الشرعية» لابن مفلح (١/٥٤)، «الأمثال والحكم» للماوردي (ص: ٢٢٦).

۞ الغفلة عن المدسوسين والمنافقين في الدعوة من جهات مختلفة ۞

لا يخفى على الدعاة أن الدعوة لم تسلم من هؤلاء في زمن التنزيل
كيف بزماننا !!

وقد ذكر الله تعالى لنا في كتابه عداوة الشيطان، وعداوة اليهود، وعداوة النصارى، وعداوة المشركين، وعداوة المنافقين، قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىٰ إِادَمَ أَن لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ [إِنَّمَا، لَكُمْ عَذْوَرْ مُبِينٌ] [يس: ٦٠]، وقال سبحانه: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَوَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا إِلَيْهُودًا وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾

[المائدة: ٨٢].

لكنه قال في عداوة المنافقين: ﴿هُوَ الْعَدُوُ فَاحْذَرُهُم﴾ [المنافقون: ٤]؛ لأن المنافقين هم أشد أعداء الأمة الإسلامية، وأخطرهم عليها على الإطلاق، فهم يتلاؤنون تلون الحرباء حسب البيئة، يظهرون بمظهر الأخ المشيق الحبيب الذي يحترق على الإسلام وعلى الدعوة وعلى السنة، بينما هم ذئاب عليهم ثياب، يحسبهم الظمان ماء، يظنهم المؤمن عوناً له، وهم عون عليه، يحسبهم له ناصحين، وهم هلاكه ودماره، ساعون في الأرض بالفساد، قلما يخلو منهم مجتمع أو ناد، يعملون من وراء الكواليس، ومن خلف الصفوف، ظاهرون فيه الرحمة وباطنهم من قبله العذاب، خطورتهم أفعض من أن توصف، وأكبر من أن تتسع لها الصفحات وبطون الكتب، يكفيك قول ذي الجلال والإكرام: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا رَأَدُوكُمْ إِلَّا خَبَا لَا وَلَا أَوْضَعُوا خَلَلَكُمْ يَبْغُونَ كُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيهِ بِالظَّالِمِينَ﴾ [التوبه: ٤٧]، فاحذروهم يا معشر الدعاة، فإن الله قال: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾.

ولم يكن هناك مجال للنفاق والمنافقين في مكة؛ لقلة المسلمين، فإذا دخل فيهم من ليس منهم انكشف أمره، فكانوا كالنهر قليل الماء تراه صافياً له لمعان لم يخالطه شيء، فلما قويت الدعوة في المدينة دخل فيها المنافقون فأصبحت الدعوة كبيرة كالسيل العظيم الذي يأخذ كل ما كان على جنبي الطريق من شجر أو حجر.

وهكذا في عصرنا هذا فقد اتسعت الدعوة والله الحمد اتساعاً عظيماً؛ لذلك دخل فيها من المنافقين أضعاف أضعاف ما دخل فيها في زمن النبي ﷺ، بقصد الفساد والإفساد فيها، وليسوا من جهة واحدة بل من جهات مختلفة، ومكرروا في الدعوة مكرراً كباراً، مكر الليل والنهار، ﴿وَإِنْ كَانَ مَكْثُرُهُمْ لِتَرْوَلَ مِنْهُ الْجَبَالُ﴾ [يراثيم: ٤٦].

فيما حملة الرسالة اتقوا الله في هذه الدعوة، وحافظوا عليها كما تحافظون على حدقات أعينكم، فـ«كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُلٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»^(١).

قال شيخنا الوادعي رحمه الله^(٢): «يحذر أهل السنة من اندساس المنافقين في صفوفهم، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ [التوبه: ٤٧]، وكيف يمكنهم معرفتهم؟ يمكن معرفتهم بأن يُسند الأمور إلى أهل العلم الذين أنار الله بصيرتهم وهم الذين يضعون الأشياء في مواضعها، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ رَدُوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَيْهِ أُولَئِكَ الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعِلَّهُمْ أَلَّذِينَ يَسْتَطِعُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣]». اهـ.



(١) متفق عليه: «البخاري» (٤٥٥)، «مسلم» (١٨٢٩) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) «غارة الأشرطة» (١/١٣).

﴿إِنَّ مِنْكُمْ مُّنَفِّرِينَ﴾

ورَدَ ذَمٌّ التنفيير في الشريعة الحكيم بعبارات كثيرة ومتنوعة؛ وذلك للأضرار التي تترتب على اتصاف الداعية بهذه الأفة الخطيرة، وقد حفلت السنة النبوية الصحيحة الصريحة بالنهي عن التنفيير وذلك في أحاديث كثيرة، من أبرزها: قوله ﷺ لمعاذ وأبي موسى رضي الله عنهما حين بعثهما إلى اليمن دعاء إلى الله: «يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلَا تُنَفِّرَا»^(١). وقال ﷺ: «إِنَّ مِنْكُمْ مُّنَفِّرِينَ»^(٢).

وحض الشارع الحكيم على دعوة الناس بالحكمة والموعظة الحسنة والجادال والتي هي أحسن، كما قال تعالى: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّلْهُمْ بِالْتَّقْوَىٰ هِيَ أَحَسَنُ﴾ [الحل: ١٢٥].

فتغافل الناس عن الدين الحق والدعوة الصافية النقية بسبب سوء الأخلاق، أو سوء التصرف، أو عدم السداد في الخطاب الدعوي أو غير ذلك خطأ فادح، يجب على الداعية أن يتعلم أسلوب الدعوة قبل أن يدخل هذا الميدان، فدعوة أهل السنة مبنية على التأهيل قبل التشغيل، فكل عمل وكل وظيفة وكل صنعة لا يعمل فيها إلا من أتقنها، إلا الدعوة فإننا نرى أنه يدخل فيها من يحسن ومن لا يحسن، وكثير منهم دخل فيها وما أدخل فيها بل أخرج منها، وحتى أقرب لك هذا المعنى فإن تجار الدنيا لا يحبون مشاركة من لا يحسن التجارة وينفر الزبائن^(٣) ففي مشاركته خسارة له، فكيف بأهل الدين والعلم والتقوى يشاركون من طبعه وطريقته وسلوكيه

(١) متفق عليه: «البخاري» (٤٣٤١)، «مسلم» (١٧٣٣).

(٢) متفق عليه: «البخاري» (٧١٥٩)، «مسلم» (٤٦٦) عن أبي مسعود رضي الله عنه.

(٣) الزبون: المُشْتَرِي من تاجر. انظر: «المعجم الوسيط» (٣٨٩/١).

التنفير عن الدّين وعن الصراط المستقيم، عَلِمَ أو لم يعلم، فكل مجال له رجاله وفرسانه، فلا يكن أرباب الدنيا خيراً منا في هذا الباب، فانهم يزيتون بضائعهم للزبائن بأحسن العبارات، وأرقى الكلمات، مع التبسط والتبرّس للزبائن، وإظهار الصدق المزيف إلا من رحم الله، ويصفون بضائعهم المزجاة كأنها نزلت من السماء، وأنّت الخاسر إذا لم تشر، وأن هذه فرصة والحياة فرص، كل ذلك ترويج لسلعهم وبضائعهم، فأنتم أيها الدعاة أحق وأولئك بحسن الأخلاق في الدعوة مع مراعاة الضوابط الشرعية، خاصة وقد أمركم الله بهذا في كتابه فقال: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنَا﴾ [البقرة:٨٣]، وقال: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنَا لَعَلَهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه:٤٤]، وقال: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا إِنَّ الَّتِي هِيَ أَحَسَنُ﴾ [الإسراء:٥٣]، وأمر النبي ﷺ بالإحسان في كل شيء فقال: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ...»^(١)، وأنّت صاحب حق، والفطر مجبولة على قبول هذا الحق، وأعظم حق تدعوه إليه وبه: القرآن والسنة، ومع هذا قال ﷺ: «زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ»^(٢).

قال الإمام عبد العزيز بن باز رحمه الله^(٣): «من الأخلاق التي ينبغي لك أن

(١) رواه «مسلم» (١٩٥٥) عن شداد ابن أوس رض.

(٢) صحيح رواه «أحمد» (١٨٤٩٤)، و«أبو داود» (١٤٦٨) عن البراء بن عازب رض،

وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن أبي داود» (١٣٢٠)، و«المشكاة» (٢١٩٩)،

وشيخنا الورادي رحمه الله في «ال الصحيح المستند مما ليس في الصحيحين» (١٣٠).

نبّيه: قال الشيخ عبد العزيز البرعي حفظه الله معلقاً على هذه الفقرة: «لكن هؤلاء المنافقين لا نخسرهم إذا صحت نياتهم، بل نصحهم ونعلمهم وننذرهم بما لديهم، ومن نظر إلى الشباب المبتدئين الغيورين على الدعوة يجدهم منافقين، ومع الأيام أصبحوا علماء وداعية عقلاً، فأفهم شيء إصلاح النية والاستعداد لقبول النصح والتوجيه» اهـ.

(٣) «مجموع فتاوى ابن باز» (٣٤٦ / ١).

تكون عليها أيها الداعية، أن تكون حليماً في دعوتك، رفيقاً فيها، متحملاً صبوراً، كما فعل الرسل عليهم الصلاة والسلام، إياك والعجلة، إياك والعنف والشدة، عليك بالصبر، عليك بالحلم، عليك بالرفق في دعوتك، وقد سبق لك بعض الدليل على ذلك كقوله جل وعلا: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالْقِيَّ هِيَ أَحَسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقوله سبحانه: ﴿فِيمَا رَحْمَةٌ مِّنَ اللَّهِ لِنَتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩] الآية، وقوله جل وعلا في قصة موسى وهارون: ﴿فَقُولَا لَهُ فَوْلَا لَتِنَا لَعَلَهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٤]، وفي الحديث الصحيح يقول النبي ﷺ: «اللهم، مَنْ وَلَيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلَيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَرَقَّ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ» خرجه مسلم في الصحيح^(١)، فعليك يا عبد الله أن ترافق في دعوتك، ولا تشق على الناس، ولا تنفرهم من الدين، ولا تنفرهم بغلظتك ولا بجهلك، ولا بأسلوبك العنيف المؤذن الضار، عليك أن تكون حليماً صبوراً، سلس القياد لين الكلام، طيب الكلام حتى تؤثر في قلب أخيك، وحتى تؤثر في قلب المدعو، وحتى يأنس لدعوتك ويلين لها، ويتأثر بها، ويثنى عليك بها ويشكرك عليها، أما العنف فهو منفر لا مقرب، ومفرق لا جامع» اهـ.



(١) رواه «مسلم» (١٨٢٨) عن عائشة رضي الله عنها.

٧٢ من الخطأ مشابهة المماحكات الدعوية للمماحكات السياسية أحياناً

إن من المؤسف له تشابه المماحكات الدعوية بالمماحكات السياسية أحياناً في بعض الأمور، كالمزاحمة في المحاضرات والدورس والكلمات، فإذا علمنا أن المخالف لنا عنده محاضرة أو كلمة أو درس... في مسجد كذا وحي كذا نعلن محاضرة بجواره في نفس التوقيت من باب الضرار والإضرار وتفرق الناس عنه والتشويش عليه، ولو كان على معتقدنا وخالفنا في مسألة أو مسائلتين يسوغ فيها الخلاف^(١).

وهكذا الملاسنة والردود بالصوتيات، فإذا تكلم فلان بصوتية ردنا عليه بصوتيات، وإذا كتب ملزمة (مذكرة) ردنا عليه بملازم، وربما تصل هذه المماحكات والمشاجرات والمهاترات إلى المحاكم والقضاء، ويشمت بدعوتنا الخصوم والأعداء، والقاصي والداني، والقريب والبعيد، «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَدْرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هُؤُلَاءِ، وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هُؤُلَاءِ»^(٢).



(١) قال الشيخ عبد العزيز البرعي حفظه الله معلقاً على هذه الفقرة: «وبعض طلبة العلم مثل علبة البيبيسي إذا رجّها أحد فارت وخرج ما فيها، وهكذا إذا تحرك الحزبيون بمحاضرات أو دروس تحرك مثلهم، وإذا وقفوا وقف، وهذا خطأ، بل نسير بدعوتنا وكان الخط لنا ليس فيه غيرنا، مع معرفة جميع ما يدور حولنا وأخذ الحذر» اهـ.

(٢) رواه «البخاري» (٢٨٠٥) عن أنس رض.

﴿ بعض الدعاة يشعل الفتنة ويوجه بإشعالها، ثم يوجه
بلسان مقاله لا حالة الطلاب بالإقبال على العلم وترك الفتنة، ٧٣ ﴾

إن بعض الدعاة والمشايخ ممن قد يختلف مع أخيه في مسألة أو مسائلتين يسوغ فيها الخلاف يُشعلون الفتنة في أوساط الدعاة، في دروسهم، ومحاضراتهم، ومجالسهم، وكتاباتهم، ثم يقولون بلسان مقالهم لا بلسان حالهم: يا طلبة العلم لا تشغلو بالفتنة، وأقبلوا على العلم والدعوة، وهو الزارع لها وهم الحاصدون، وربما هو الذي يطالبهم بتحديد المواقف وهجر من لم يوافقه وربما تبديعه والتحذير منه، وهذا يذكرنا باليت المشهور:

إِيَّاكَ إِيَّاكَ أَنْ تَبْتَلَ بِالْمَاءِ
الْقَاهُ فِي الْيَمِّ مَكْتُوفًا وَقَالَ لَهُ:

فإن هذا والله مما يحزن القلب ويدمي الفؤاد أن ترى فئاماً من الآباء والمربيين والكبار والقدوات، صاروا لا يتورعون أن يقولوا ما لا يفعلون، ولا يستحيون أن ينهوا عما فيه يقعون، وصار الصغار يرون التناقض الواضح الفاضح على الكبار، مما أوقعهم في حيرة واضطراب، وجعلهم لا يستقررون على حال، وصار أحدهم يسأل نفسه: ماذا أفعل وهذا أبي؟! وكيف أتصرف وذاك معلمي، أصدق حسن أقوالهما أم أقتدي بسيئ فعلهما؟ ربنا لا تجعلنا فتنة للذين ظلموا^(١).



(١) قال الشيخ عبد العزيز البرعي حفظه الله معلقاً على هذه الفقرة: «وقد أحسن من قال: من الذي غرر الأغمار وتبرأ من الشمار».

﴿ إِن وسائل التواصل الاجتماعي في باب الفتنة دَمْرَتْ
وَمَا عَمِّرَتْ، وَأَوْصَلَتْ خَالِفَ الدُّعَوةِ إِلَى جَمِيعِ الْقَارَاتِ ﴾

اعلم رحمني الله وإياك، أننا نعيش في عصر سهل الله لنا فيه الصعب وقرب البعيد، إنه عصر التواصل والتكنولوجيا وتسهيل القريب وتذليل بعيد، عصر أصبح العالم قرية واحدة؛ لو عطس من في المغرب لشمتة من في العالم والقارات ست، فالله أوزعننا شكر نعمك، ﴿ وَإِن تَعْذُّوا نَعْمَتْ اللَّهُ لَا تَخْصُّوهَا إِنَّكُمْ لَظَلَّوْمٌ كَفَّارٌ ﴾ [Ibrahim: ٣٤].

وإن المصيبة كل المصيبة أن نحول هذه النعم إلى نقم، فوسائل التواصل الاجتماعي أصبحت عند البعض وسائل تفاصيل وليس وسائل تواصل، وحلقة فصل وليس حلقة وصل، ودمرت وما عمّرت، وهدمت وما ردّت، وأوجدت التساحن، والتباغض، والتدابر، والتهاجر، وشتّت الصف، وأصبحت منبعاً للفتن والمحن.

إنها أجهزة ذكية مع عقول غبية -إلا من شاء الله-، فعلينا أن نعلن حالة الاستنفار وأن ندق جرس الإنذار ونقاوم الخطر من هذه الوسائل، ونحذر كل الحذر من شرّها، فالدين وأحكامه أيها العقلاة النبلاء يؤخذان من العلماء الربانيين، من علماء الأمة وبقية السلف، وليس من سفهاء النت وشبكات التواصل الاجتماعي التي صارت مرتعًا للفتن؛ فقد سببت هذه الوسائل كثرة الفتن والمحن، سقط في خضم هذه الوسائل الأفضل، وارتفع الأرذل، وتعلّق الأفراط، وتقزم العمالقة، لقد جعلت هذه الوسائل من الحبة قبة، ومن القبة حبة، ومن العالم جاهلاً، ومن الجاهل عالماً، ومن الاجتماع فرقاً، ومن الألفة عداوةً، ومن الصلة انقطاعاً، ومن القوة ضعفاً.

ففي سابق العهد لم تكن تنتشر الفتن بهذه السرعة؛ لأن العالم قد يقول الكلمة ويخطئ فيها، وتبقى الكلمة في محيطه وبين طلابه، وقد تصل إلى أهل المسجد، أو إلى الحي، أو إلى قريته، أو مدینته، أو إلى بلده بعد فترة طويلة من الزمن، وما تخرج إلى البلدان الأخرى إلا بعد زمن طويل، هذا إذا لم تتم الفتنة في مهدها، أما اليوم فإذا أخطأ الشيخ بكلمة أثناء درسه مما يتهمي الشيخ من درسه إلا وقد وصلت هذه الكلمة إلى العالم، وقد بدأ الناس بالردود عليه، وقد اتسع الخرق على الواقع وأصبحت الدنيا بلا قع.



﴿الزارعون والحاصدون، فالزارعون للخير هم الدعاة الصادقون، وي بعض الحاصدين لبعض هذا الخير هم العابثون في الدعوة﴾

قال ﷺ: «لَا يَرْأُ اللَّهُ يَغْرِسُ فِي هَذَا الدِّينِ غَرْسًا يَسْتَعْمِلُهُمْ فِي طَاعَتِهِ»^(١).
 ومن غرسهم الله عز وجل في هذا الدين: الدعاة والعلماء الحكماء الرحماء،
 الذين يجتهدون في نشر التوحيد والعلم والسنّة والفضيلة بين الناس، برفق ولين
 وحكمة، وصبر وجهد واجتهاد، ويبذلون في ذلك الغالي والنفيس، لي لهم
 ونهارهم، سرهم وجهارهم، ويسافرون من بلد إلى بلد، ومن قرية إلى قرية، ومن
 مدينة إلى مدينة، ومن دولة إلى دولة، من أجل هذه الغاية النبيلة، حتى إذا استوى
 الزرع على سوقه جاء الحاصدون العابثون في الدعوة فحصلوا هذا الخير وهذه
 الثمرة ورمواها لكل ساقطة ولاقطة، ولكل من هب ودرَّج، وفرّقوا شبابنا وجهدنا
 على بقية الجماعات فرضاً وتعصيًّا، وورث شبابنا وأبناؤنا من ليس بوارث
 وبدون تعب ولا كد، وإنما بفعل هذا الحاصد العاطل المتكم على أريكته، يهدم
 هذا الخير بالفيسبوك والتويتر والواتساب ووسائل التواصل الاجتماعي، فلان
 ممِّيع، وفلان متشدد، وفلان أشم منه رائحة البدعة، وفلان اتركوه، وفلان
 اهجروه...، وتراه في الخير نائماً، وفي الفتنة قائماً وهائماً، لا تسمع له ذكرًا إلا إذا
 هبَّت رياح الفتنة لمع فيها نجمه وتردد في المجالس اسمه.

ومع هذا لا ن Yasas ونقول كما قال بعضهم:

مَتَى يَلْعُغُ الْبُيَانُ يَوْمًا تَمَامَهُ إِذَا كُنْتَ تَبْنِيهِ وَغَيْرُكَ يَهْدِمُ

بل نقول:

بَلِي يَلْعُغُ الْبُيَانُ يَوْمًا تَمَامَهُ إِذَا كُنْتَ تَبْنِيهِ وَعَزْمُكَ صَارَمُ

(١) حسن. رواه «ابن ماجه» (٨) عن أبي عتبة الخولاني رض، وحسنه الألباني رحمه الله في «السلسلة الصحيحة» (٢٤٤٢).

(٢) انظر: «جامع بيان العلم وفضله» (٤٤٧ / ١)، والبيت لصالح بن عبد القدوس.

٧٦ تهميش من له سابقة في الدعوة وقلم صدق فيها.

قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرْجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِهِ وَقَاتَلُوا وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ﴾ [الحديد: ١٠].

هذه الآية تدلنا على أصل عظيم من أصول الأخلاق، وتودبنا بأدب رفيع، ألا وهو احترام السابقين في الخير، كمن أفنى عمره في طاعة الله تعالى، وأفنى عمره في الدعوة إلى التوحيد، والدعوة إلى السنة، والدعوة إلى العلم، والدعوة إلى الفضيلة، فخطب يوم لم يكن هناك خطيب، وحاضر يوم لم يكن هناك محاضر، ودرس يوم لم يكن هناك مدرس إلا ما ندر، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وصبر وصابر، وجاحد في الله جهاداً عظيماً في زمن لم يكن له فيه ناصر ولا معين إلا الله، فيجب على الناس أن يوقروا من كان هذا حاله، ويقولوا عثرته إذا زلت قدمه، وأن يُشاور في الأمور، وأن يعرف له الدعوة قدره ومكانته، وهو كذلك ينبغي له أن يحتوي من كان دونه من الدعوة، وأن يرفق بهم، وأن يرحمهم، ويسعدهم، ويؤهلهم ليكونوا خلفاءه بإذن الله في حياته أو بعد موته، فله التوقير منهم، ولهم الرحمة منه؛ لقوله ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ لِعَالَمِنَا - حَقّهُ -»^(١).

وعلى الناس كذلك أن يتزلوا الناس منازلهم وإن لم يكونوا من أهل العلم، فالرجل الكبير الذي أبيض شعره في خدمة الإسلام والمسلمين، وفي نصرة الحق

(١) حسن. رواه «أحمد» (٢٢٧٥٥)، و«الحاكم» (٤٢١) عن عبادة بن الصامت رض، وحسنه الألباني رحمه الله في « صحيح الجامع » (٥٤٤٣)، و« صحيح الترغيب » (١٠١).

وأهلها، لا ينبغي أن يُساوى مع من هم أقل منه سنًا أو قدرًا، أو استقامة، فإن زوال الناس منازلهم أمر نادت به الشريعة وحفظته الملة، ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾

[الصفات: ١٦٤]

وقال عليه السلام: «إِنَّ مِنَ الْجَلَالِ اللَّهُ أَكْرَامُ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ...»^(١).



(١) حسن. رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٣٥٧)، و«أبو داود» (٤٨٤٣) عن أبي موسى الأشعري ، وحسنه الألباني في «صحيحة الأدب المفرد» (٢٧٤)، و«صحيحة سنن أبي داود» (٤٨٤٣).

﴿ الاعتداد بالرأي وعدم مشاورة أهل المشورة في ﴾

المسائل التي تحتاج إلى مشورة

الشورى أمر بها القرآن الكريم، وفيه سورة تسمى بسورة الشورى، ونادت بها السنة النبوية الصحيحة، وسار عليها السلف الصالح أولوا الأحلام والنهى، قال تعالى: ﴿ وَشَاوِرُهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقال سبحانه: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى: ٣٨].
وقال عليه السلام: «المُسْتَشَارُ مُؤْتَمِنٌ» ^(١).

والشورى هي ألا ينفرد الإنسان برأيه في الأمور التي تحتاج إلى عقول أخرى لمشاركه؛ فرأي الجماعة أقرب إلى إدراك الصواب من رأي الفرد، وقد كان عليه السلام يستشير ويستشار.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله ^(٢): «ولهذا كان من سداد الرأي وإصابته أن يكون شورى بين أهله، ولا ينفرد به واحد، وقد مدح الله سبحانه المؤمنين بكون أمرهم شورى بينهم، وكانت النازلة إذا نزلت بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رض ليس عنده فيها نص عن الله ولا عن رسول الله صلوات الله عليه وسلم جمع أصحاب رسول الله صلوات الله عليه وسلم، ثم جعلها شورى بينهم» اهـ.

وقد جاء في أمثال العرب: «أول الحزم المشورة» ^(٣)، ومن شاور الرجال شاركها في عقولها، فالداعية الحازم المسدد الموفق الذي يشاور

(١) صحيح. رواه «أبو داود» (٥١٢٨)، و«الترمذى» (٢٨٢٢)، و«ابن ماجه» (٣٧٤٥) عن أبي هريرة رض، وصححه الألبانى رحمه الله في «السلسلة الصحيحة» تحت حديث رقم (١٦٤١)، و«صحيح الجامع» (٦٧٠٠)، وشيخنا الوادعى رحمه الله في «الصحيح المسند» مما ليس في الصحيحين» (١٤٠٤).

(٢) «إعلام الموقعين» (١/٨٤).

(٣) «مجمع الأمثال» (١/٥٢).

أهل المشورة في المسائل التي تحتاج إلى مشورة، فإن أصحاب الدنيا يشاورون في تجاراتهم في الصغيرة والكبيرة.

وقد جاء عن الشعبي وقتادة^(١): «الناس ثلاثة:

رجل، ونصف رجل، ولا رجل،

فأما الرجل، فهو الرأي والمشورة -أي: هو صاحب رأي ومع ذلك يشاور غيره، هذا الرجل الكامل -،

وأما الرجل الذي هو نصف رجل، فالذي له رأي ولا يشاور -أي: يعتمد على رأيه فقط ولا يشاور الآخرين -،

وأما الذي ليس بргل، فالذي ليس له رأي ولا يشاور -أي: ليس صاحب رأي ومع ذلك لا يشاور الآخرين».

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله^(٢): والذي يُشاور لا بد أن تتوفر فيه ثلاثة أمور:

١- أن يكون صاحب دين؛ حتى يصدقك النصيحة ولا يخدعك أو يغشك.

٢- أن يكون صاحب علم و خاصة في ما تشاوره فيه، قال تعالى:

﴿فَسْأَلَ إِلَيْهِ خَيْرًا﴾ [الفرقان: ٥٩].

٣- أن يكون صاحب عقل ورأي سديد.

وقد أحسن من قال:

فَخُذْهَا مِنْ لِسَانِي بِالْوَثِيقَةِ

وَمَعْرِفَةُ بِحَالِكَ بِالْحَقِيقَةِ

خَصَائِصُ مَنْ تَشَاوَرُهُ ثَلَاثٌ

وِدَادُ خَالِصٍ وَفُورُ عَقْلٍ

(١) «السنن الكبرى» للبيهقي (٢٠٣٠٧)، «تاریخ دمشق» لابن عساکر (٤١٣/٢٥)، «تلخیص المتشابه في الرسم» للخطیب (١٦٤/١).

(٢) «شرح رياض الصالحين» (٤/١٥٩)، وذكر الشرط الثالث في شروح غير رياض الصالحين.

فمن تمت له هذى المعانى
فتابعْ رأيَهُ واسلك طريقه

تبنيه: من أبرز فوائد الاستشارة ثلاثة أمور:

أولاً: أنك إذا استشرت رفعت من معنويات المستشارين، وتواضعت لهم، وهذه فائدة عظيمة، حيث يعلمون أنَّ لهم قيمة وقدراً عندك، ولو لا ذلك ما استشرتهم، وهذه مصلحة عظيمة بين الدعاة إلى الله، فالنبي ﷺ كان يشاور أصحابه وهو من هو؛ لأجل هذه المقاصد العظيمة، والله عزَّ وجلَّ يقول له: ﴿وَشَاوِرُهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ثانياً: ربما يكون لديهم رأي خير من رأيك، فلا تحتقرن من الناس أحداً، فقد يوجد في الأئمَّار ما لا يوجد في البحار.

ثالثاً: في مشاوراة أهل المشورة إقناعهم برأيك إن كان رأيك هو الصواب فسيستقررون ويطمئنون ويقبلون العمل الذي تقوم به أنت وهم بانشراح صدر ولا تحدث فتنـة وانشقاقات في الدعـوة.



﴿ قلْهُرِيزَارَاتُ وَالْتَّفَقُدُ لِأَحْوَالِ الْإِخْوَةِ وَالْدُّعَاءِ ﴾^{٧٨}

إن التزاور بين الإخوة والدعاة من أفضل القربات وأحلى العبادات.

قال الإمام الشافعي رحمه الله: «إِذَا رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ كَانَى
رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ»^(١).

وقال محمد بن المنكدر رحمه الله وقد سئل: مَا بَقَيَ مِنْ لَذَّتِكَ؟ قَالَ: الْتِقاءُ
الْإِخْوَانِ، وَإِدْخَالُ السُّرُورِ عَلَيْهِمْ^(٢).

وقال الحسن البصري رحمه الله: «إِخْوَانُنَا أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ أَهْلِنَا؛ إِخْوَانُنَا
يُذَكَّرُونَا بِالآخِرَةِ، وَأَهْلُونَا يُذَكَّرُونَا بِالدُّنْيَا»^(٣).

وقال شيخنا الإمام الوادعي رحمه الله^(٤): «وَلَا يُسْتَطِعُ أَحَدٌ يَقاومُ
الْمُجَمَعَ بِمَفْرَدِهِ، لَابْدُ أَنْ يَجْمِعَ الصَّالِحِينَ حَتَّى يَؤْزِرُوهُ، وَلَابْدُ لِلْدُعَاءِ
إِلَى اللَّهِ أَنْ يَتَعَاونُوا وَأَنْ يَتَزَاوَرُوا، فَلَا يُسْتَطِعُ أَحَدٌ بِمَفْرَدِهِ أَنْ يَحْقِّقَ
لِلْإِسْلَامِ شَيْئًا» اهـ.

وقال رحمه الله^(٥): «كُمْ مِنْ قَرْيَةٍ بِهَا رَجُلٌ يَحْمِلُ سَنَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَيَدْعُ
إِلَى سَنَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَيَقُولُ وَحِيدًا وَيَظْنُ أَهْلَ قَرْيَتِهِ أَنَّهُ أَتَى بِدِينِ جَدِيدٍ!
فَيُحَارَّبُ! فَإِذَا أَتَاهُ الدُّعَاءُ إِلَى اللَّهِ هَذَا يَأْتِيهِ مِنْ صَعْدَةٍ، وَذَاكَ يَأْتِيهِ مِنْ
الْحَدِيدَةِ، وَذَاكَ يَأْتِيهِ مِنْ تَعْزَّزٍ، وَذَاكَ يَأْتِيهِ مِنْ مَأْرِبٍ، وَذَاكَ يَأْتِيهِ مِنْ
شَعْرِ أَهْلِ بَلْدَهُ بِأَنَّ الرَّجُلَ لَيْسَ وَحْدَهُ.

(١) «حلية الأولياء» (٩/١٠٩).

(٢) «حلية الأولياء» (٧/٢٩٧).

(٣) «قوت القلوب» (٢/٣٦٧).

(٤) «قمع المعاند» (٧٠).

(٥) «المصارعة» (٨٦).

هم يظنون أننا أتينا بدين جديد! لكن إذا تعاونا وأظهرنا لهم سنة رسول الله ﷺ فإن أهل الباطل سينكفون وينقمعون» اهـ.
فالتزاور في الله ومن أجل الله بين الدعاة والمصلحين صلة وقربة وعبادة، وله فوائد عظيمة، منها:

- ١ - إن الزيارة في الله تقرب الدعاة من بعضهم البعض، وتجعلهم جسداً واحداً إذا اشتكتى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهير، وتجعلهم صفاً واحداً كالبنيان المرصوص يشد بعضهم بعضاً، وهذا الذي يحبه الله ويرضاه.
- ٢ - الزيارة في الله تعرف كل داعية بمشاكل الداعية الآخر وظروفه وأحواله وهمومه وأحزانه، فلا يكون لقاونا فقط في المحاضرات والمناسبات العامة كالعامة.
- ٣ - الزيارة في الله تُكسب الداعية زيادة العلم والمعرفة وال بصيرة عند مذاكرة المسائل والمشاكل الدعوية مع بقية إخوانه الدعاة.
- ٤ - الزيارة في الله إصلاح للأوضاع، وسد للخلل، والتناصح، والتعاون على البر والتقوى.
- ٥ - الزيارة في الله تؤلف القلوب، وتزيل الوحشة، وترفع الأوهام، وتزيد الإيمان، وتفرح النفوس، وتدعيم أواصر الأخوة، وتنقى الروح الجماعية في أوساط الدعوة والدعاة، وتوسيع مجالاتها، وتمدد آثارها، وتنقى المودّات، وتزيد من وسائل الصلات.
- ٦ - الزيارة في الله تفوت على الخصوم والمدسوسين والمنافقين والشيطان الرجيم أسباب الفرقة والاختلاف، فمن لم يستطع الزيارة فلا

أقل من الاتصال أو الإرسال، قال ﷺ: «بُلُّوا أَرْحَامَكُمْ وَلَوْ بِالسَّلَامِ»^(١).
والعلم رحم بين أهله.

وبالجملة فالاجتماع واللقاء بإخوانك الدعاة لقاح، إما للنفس الأمارة بالسوء، وإما للقلب والنفس المطمئنة، والت نتيجة مستفادة من اللقاح، فمن طاب لقاحه طاب ثماره.



(١) حسن. رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧٦٠٣) عن أنس رضي الله عنه، وحسنه الألباني رحمه الله في «السلسلة الصحيحة» (١٧٧٧).

﴿ إظهار خلاف الأمر السائد المشهور بين الناس ومخالفته ﴾

عوايدهم في الأمور التي فيها سعة

إن إظهار خلاف الأمر السائد المشهور بين الناس في الأمور التي فيها سعة يسبب خلافاً شديداً بين الناس، كخطبة العيد مثلاً، فيأتي الداعية إلى قرية من القرى قد استقر عندهم منذ عقود أن خطبة العيد خطبة واحدة، فيلقي كلمة أو خطبة أو محاضرة أو يُسأل فيقول: خطبة العيد خطبتان عند الجمهور، وهو يعلم أن هذه القرية تخطب خطبة واحدة منذ عقود، ثم يشدد عليهم في هذا وينقسم الناس إلى قسمين: موافق، ومفارق.

داعية آخر ذهب إلى قرية أخرى فوجدهم يؤذنون للجمعة أذاناً واحداً فقال لهم: مذهب جمهور العلماء أنه يؤذن للجمعة أذاناً: الأذان الأول، والأذان الثاني. ثم يشدد عليهم في ذلك، ويختلف الناس وينقسمون إلى فريقين. داعية آخر يذهب إلى قرية أخرى فيجدهم يقولون في أذان الفجر الأول: الصلاة خير من النوم، فيقول: هذا خلاف السنة وما عليه جمهور الأمة، فالصلاحة خير من النوم تقال في الأذان الثاني، وهكذا.

فمثل هذه الأمور تحتاج إلى بصيرة وإلى تدرج وإلى تفقيه الناس، وإقناع الداعية الذي يعيش في هذه المنطقة وتُسند مثل هذه الأمور إليه.

وعلى الداعية كذلك أن لا يصطدم بأعراف الناس وعاداتهم، طالما أن ذلك العرف وتلك العادات لا تصطدم بالشريعة في شيء، فإن العرف معتبر في الشريعة، بل لقد عدّ بعض الفقهاء من أدلة الأحكام.

وعندما جاء الإسلام كانت للعرب أعراف مختلفة، فأقرّهم الإسلام على أعرافهم وعاداتهم، إلا ما كان منها مخالفًا لمقاصد الإسلام ومنافيًا لروح الشريعة.



٨٦) الغلو في المدح والجفاء فيه

المدح والثناء من الأمور التي تُسرّ بها النفوس، وتحفزها على زيادة العطاء، فيحتاجه الأب في بيته، والداعية مع طلابه، فيشنئ على من يستحق الثناء، ويُشيد بعمله تحفيزاً له على الزيادة والاستمرار فيه، وحثاً لغيره ليحصل التنافس في العلم والتعلم ونشر الخير، والله يقول: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلَيْتَنَا فِي الْمُنَافِقِينَ﴾ [المطففين: ٢٦].

ولذلك كان المدح وسيلة تربوية فعلها معلم الخير رحمه الله مع أصحابه رضوان الله عليهم، وهم في خير الزمان والمكان فكيف بزماننا وغربتنا، وقد اتفقت جميع الملل والفرق والأحزاب وأهل الشر في كل مكان على الحط من دعوتنا وعلمائنا ودعائنا، والتغيير عليهم بغيار الشائعات والكذب، فنحن بحاجة إلى هذه الوسيلة الشرعية التربوية لنرفع من معنويات أبناء هذه الدعوة، الذين صمدوا في خندق الحق ضد الباطل بغير مقابل، كل ذلك بالحق ولا تجاوز الحد فيه.

والمدح منه ما هو ممدوح، ومنه ما هو مذموم:

فالممدوح ما توفرت فيه أربعة شروط كما ذكرها الحافظ ابن حجر

رحمه الله في «الفتح»^(١) والنwoي رحمه الله في «شرح مسلم»، وهي:

- ١ - أن يكون المدح صدقًا.
- ٢ - أن لا يكون فيه مجازفة وغلو.
- ٣ - أن يؤمّن على الممدوح الإعجاب والفتنة والغرور والكبر.
- ٤ - أن يكون فيه تحفيز وتنشيط للممدوح.

(١) «فتح الباري» (١٠ / ٤٧٨ - ٤٧٩).

وقد جمع النووي رحمه الله في شرحه لمسلم ^(١) بين الأحاديث المانعة للمدح والمبيحة له فقال: «قال العلماء: وطريق الجمع بينها: أن النهي محمول على المجازفة في المدح، والزيادة في الأوصاف، أو على من يخاف عليه فتنة من إعجاب ونحوه إذا سمع المدح، وأما من لا يخاف عليه ذلك لكمال تقواه، ورسوخ عقله ومعرفته، فلا نهي في مدحه في وجهه إذا لم يكن فيه مجازفة، بل إن كان يحصل بذلك مصلحة كنشطة للخير، والازدياد منه، أو الدوام عليه، أو الاقتداء به، كان مستحبًا، والله أعلم» اهـ
قلت: ومن صور مدح النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه: قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «نَعَمْ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ» فـكـانـ بـعـدـ لـأـ يـنـامـ مـنـ اللـيـلـ إـلـاـ قـلـيلـاـ ^(٢).

ومن صور مدحه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه كذلك: ما أخرجه الشیخان ^(٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقف يوماً بين أصحابه، فقال: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، نُوَدِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ»، فـقـالـ أـبـوـ بـكـرـ رضي الله عنه: بـأـبـيـ أـنـثـ وـأـمـمـيـ يـاـ رـسـوـلـ اللـهـ، مـاـ عـلـىـ مـنـ دـعـيـ مـنـ تـلـكـ الـأـبـوـاـبـ مـنـ ضـرـورـةـ، فـهـلـ يـدـعـيـ أـحـدـ مـنـ تـلـكـ الـأـبـوـاـبـ كـلـهـاـ، قـالـ: «نـعـمـ، وـأـرـجـوـ أـنـ تـكـوـنـ مـنـهـمـ».

قال ابن بطال رحمه الله ^(٤): «يجوز الثناء على الناس بما فيهم على وجه

(١) «شرح النووي على مسلم» (١٢٦/١٨).

(٢) متفق عليه: «البخاري» (١١٢٢)، «مسلم» (٢٤٧٩) عن حفصة رضي الله عنها.

(٣) «البخاري» (١٨٩٧)، «مسلم» (١٠٢٧).

(٤) «شرح صحيح البخاري» (٩/٢٥٥) بتصرف يسir.

الإعلام بصفاتهم، لتعرف لهم سبقتهم وتقديمهم في الفضل، فينزلوا منازلهم، ويقدموا على من لا يساوينهم، ويقتدى بهم في الخير، ولو لم يجز صفهم بالخير والثانية عليهم بأحوالهم لم يعلم أهل الفضل من غيرهم، ألا ترى أن النبي ﷺ خص أصحابه بخواص من الفضائل بآنروا بها عن سائر الناس وعرفوا بها إلى يوم القيمة» اهـ

ومن صور مدح النبي ﷺ للأصحاب كذلك: مدحه لعمر بن الخطاب في حضوره حيث قال: «وَالَّذِي نَقْسِي بِيَدِهِ، مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجَّا إِلَّا سَلَكَ فَجَّا غَيْرَ فَجَّاكَ» (١).

وأما المدح المذموم فهو الذي خالف الشروط المذكورة أو بعضها، كالغالاة في المدح ومجاوزة الحقيقة، كأن تقول للداعية أو طالب العلم: العلامة، والإمام، وسمامة الشيخ، وأمير المؤمنين في الحديث، وما إلى ذلك. فهذا كله ليس بصواب.

وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك فقال: «لَا تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ» (٢).

ومعنى «لَا تُطْرُونِي»: أي: لا تجاوزوا الحد في مدحي.

ومن صور المدح المذموم كذلك: مدح من يخشى عليه الفتنة، فيعتقد فضله، وربما تطرق لقلبه الكبير والرياء، وأن له حقاً على الناس وقدراً، وربما ظن أنه فاق غيره من السابقين واللاحقين في الفضل، فاتكل على ذلك وترك العمل أو قصر فيه، ويحمل عليه حديث أبي موسى رضي الله عنه أنه قال: سمعَ النَّبِيُّ رَجُلًا يُشْنِي عَلَى رَجُلٍ وَيُطْرِيهِ فِي الْمِدْحَةِ، فَقَالَ: «أَهْلَكْتُمْ

(١) متفق عليه: «البخاري» (٣٢٩٤)، «مسلم» (٢٣٩٦) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٢) رواه «البخاري» (٣٤٤٥) عن عمر رضي الله عنه.

أو: قَطَعْتُمْ ظَاهِرَ الرَّجُلِ»^(١).

قال المهلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٢): «وَإِنَّمَا قَالَ هَذَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ؛ لَئِلَّا يَغْتَرُ الرَّجُلُ بِكَثْرَةِ الْمَدْحُ، وَيَرَى أَنَّهُ أَعْلَمُ مَنْ يَقُولُ، فَيَتَرَكُ الْأَزْدِيَادَ مِنَ الْخَيْرِ وَيَجِدُ الشَّيْطَانَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، وَيَوْهِمُهُ فِي نَفْسِهِ حَتَّى يَضْعُفَ التَّوَاضُعُ لِلَّهِ» اهـ.

وقال ابن حجر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٣): «قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ: حَاصِلُ النَّهْيِ هُنَّا: أَنَّهُ إِذَا أَفْرَطَ فِي مَدْحٍ آخَرَ بِمَا لَيْسَ فِيهِ، لَمْ يَأْمُنْ عَلَى الْمَمْدُوحِ الْعُجْبَ لِظُنْهِ أَنَّهُ بِتَلْكَ الْمَنْزِلَةِ، فَرِبِّمَا ضَيَّعَ الْعَمَلَ وَالْأَزْدِيَادَ مِنَ الْخَيْرِ اتَّكَالًا عَلَى مَا وُصِّفَ بِهِ» اهـ.

وهنا يتنزل قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٤): «إِيَّاكُمْ وَالْتَّمَادُحَ فَإِنَّهُ الذَّبْحُ».



(١) متفق عليه: «البخاري» (٦٠٦٠)، «مسلم» (٣٠٠١).

(٢) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٤٨/٨).

(٣) «فتح الباري» (١٠/٤٧٧).

(٤) حسن. رواه ابن ماجه (٣٧٤٣) عن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحسنه الألباني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في «السلسلة الصحيحة» (١٢٨٤)، وشيخنا الوادعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في تحقيق تفسير ابن كثير (٣٩٩/٢).

الغلو في بعض العلماء

الغلو محرّم بالكتاب والسنة وإجماع الأمة.

والقصد في كل شيء حسن، وما يُولَغُ في شيء إلا وقع فيه الكذب، وهذه آفة مزمنة تجدها عند غالبية الطوائف، تارة عن جهل، وتارة عن هوى! وقد جرّت المبالغة قوماً إلى تعظيم شيوخهم بالكذب، لذلك قال المعلمي رحمه الله^(١): «من أوسع أودية الباطل الغلو في الأفاضل» اهـ.

والناس يعانون من مشكلة تقديس الأشخاص قديماً وحديثاً، فهي مشكلة لها أثر وخيم في الأمة الإسلامية وقد بقيت في الأمة كالجرح في الجسد الذي لا يزال الأطباء (أهله العلم) يسعون في علاجه.

وهذه الظاهرة من أسباب الفرق ووجود المذاهب والأحزاب المبتدةة قديماً وحديثاً فأهل البدع إما أنهم يتسبون إلى بدعة أحدهوها كالقدرية والخوارج والمرجئة، وإما أنهم يتسبون إلى شخص قدّوه وغلوّوا فيه كالجهمية والأشاعرة والكلالية. فهذه الفرق ناتجة عن تقديس الأشخاص، وتقديم قول أئمتهم على النصوص الشرعية.

والناس في العلماء طرفان ووسط: فمن الناس من غلا في العلماء وأنزلهم منزلة القديس، ومنهم من ذم العلماء وأنزلهم منزلة إبليس، والقصد هو الاعتدال وإنزال العلماء منازلهم التي أنزلهم الله إليها، من الاحترام والإجلال والتقدير والاقتداء بهم في الخير من غير إفراط ولا تفريط.

فالواجب علينا القصد في محبة العلماء والمشايخ وعدم الغلو فيهم،

(١) «التنكيا» (١/١٨٤).

وإياكم أن تعلقوا أمر دينكم بعالِم من العلماء^(١)، في أي واد ذهب كتم وراءه؛ فهو ليس ببني، والحي لا تؤمن عليه الفتنة، بل جعلوا همكم من يوصلكم إلى طريق النبي ﷺ؛ واجعلوا تقليلكم لهدي النبي ﷺ، وسته،

(١) ومن لطائف ما سمعت وقرأت: ما حصل لشاعر يمدح الشيخ ابن عثيمين رحمه الله ويربط الصحوة به لا بالكتاب والسنّة، فقد جاء في «لقاء الباب المفتوح» رقم (٤٧): «قال الشاعر: فضيلة الشيخ: أستاذنكم في قصيدة أتلوها:

يا أمتي! إن هذا الليل يعقبه
فجر وأنواره في الأرض تنتشر
والخير مرتفع، والفتح متضر
وبصحوة بارك الباري مسيرتها
ما دام فينا ابن صالح شيخ
بمثله يرجى التأييد والظفر

هنا قاطعه الشيخ ابن عثيمين وقال له: أنا لا أوفق على هذا المدح؛ لأنني لا أريد أن يربط الحق بالأشخاص، كل شخص يأتي ويذهب، فإذا ربّطنا الحق بالأشخاص معناه: أن الإنسان إذا مات قد يأس الناس من بعده، فأقول: إذا كان يمكنك الآن تبديل البيت الأخير بقول:

ما دام منهاجنا نهج الأولى سلفوا
بمثلها يرجى التأييد والظفر

فهذا طيب، أنا أتصحّكم ألا تجعلوا الحق مربوطاً بالرجال: أولاً: لأهم قد يضلون، فهذا ابن مسعود رضي الله عنه يقول: «من كان مستنّاً فليسنّ بمن مات؛ فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة»، الرجال إذا جعلتم الحق مربوطاً بهم يمكن الإنسان أن يغتر بنفسه والعياذ بالله من ذلك، ويسلك طرقاً غير صحيحة، فالرجل أولاً لا يأمن من الزلل والفتنة، نسأل الله أن يثبتنا وإياكم.

ثانياً: أنه سيموت، ليس فيما أحد يبقى أبداً ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِشَرِّ مَنْ قَبْلَكُمْ أَخْلُدُّ أَهْلَئِنَّ مِتَّ فَهُمُ الْمُخْنَلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤].

ثالثاً: أنه ربما يغتر إذا رأى الناس يجلونه ويكرمونه ويلتئمون حوله، وربما ظن أنه معصوم، ويدعى لنفسه العصمة، وأن كل شيء يفعله فهو حق، وكل طريق يسلكه فهو مشروع، ولا شك أنه يحصل بذلك هلاكه، ولهذا امتدح رجل رجلاً عند النبي ﷺ فقال له: «ويحك قطعت عنق صاحبك»، وأنا أشكّر الأخ على ما يديه من الشعور نحوه، وأسائل الله أن يجعلني عند حسن ظنه أو أكثر، ولكن لا أحب المديح.

وهدى أصحابه الكرام وستهم؛ فإن حب العلماء إنما هو تبع لحب النبي ﷺ وحب دينه وشرعيه، وعلى قدر تمكّن هؤلاء العلماء بالدين والشرع تكون محبتهم.

وقد ذكر لنا النبي ﷺ ميراناً في الحب والبغض فقال ﷺ: «أَحِبْ حَبِيبَكَ هُونَا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيَضَكَ يَوْمًا مَا، وَأَبْغِضْ بَغِيَضَكَ هُونَا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا»^(١).

فكم قد رأينا وسمعنا من ذبح من يحب بالمدح فلما اختلف معه ذبحه بالقدح، ومن لم يعتدل في الرضا لم يعتدل في الغضب والخصومة، فهو يذبح على كل حال في السراء والضراء والغضب والرضا.



(١) صحيح. رواه «الترمذى» (١٩٩٧) عن أبي هريرة ، وصححه الألبانى في «صحيح الجامع» (١٧٨).

٨٦ الدخول في السياسة

لا خلاف بين المسلمين أن السياسة الشرعية من الدين، وباب من أبواب العلم والفقه في الدين، وفي قيادة الأمة وتحقيق مصالحها الدينية والدنيوية، جليل القدر، عظيم النفع، أفرده جماعة من العلماء بالتصنيف في القديم والحديث، وانتشرت كثیر من مباحثه ومسائله في بطون كتب التفسير والفقه والتاريخ وشرح الحديث، وهذا الباب خطره عظيم يتوج عن الغلط فيه وعدم الفهم له شر مستطير، والخطأ في التفريط فيه كالخطأ في الإفراط؛ إذ كلاهما يقود إلى نتائج مرذولة غير مقبولة.

وقد عزف من عزف عن السياسة في عصرنا هذا لما اعتبرها من الخلط والخبط والكذب والزيف والخداع، ومجانبة السياسة الشرعية إلى السياسة الشيطانية، لذلك قال العلامة الألباني رحمه الله^(١): «من السياسة الآن ترك السياسة» أي: من السياسة الشرعية ترك السياسة الآن، فالسياسة في الجملة الأولى غير السياسة في الجملة الثانية.

وهذه المقوله وهي «من السياسة الآن ترك السياسة» قالها كذلك شيخنا العلامة الوادعي رحمه الله.

ويذكر كذلك عن الإمام الألباني رحمه الله أنه قال عن سياسة العصر: «هذه سياسة وليس سياسة» اهـ

وقال العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله صاحب «أضواء البيان»^(٢): «السياسة بنت كلب» أي: سياسة هذا الزمان.

(١) «سلسلة الهدى والنور» شريط رقم (٢١٠).

(٢) نقلها عنه الشيخ عبيد الجابري (صوتي).

وقال الشيخ مقبل الوادعي رحمه الله^(١): «فالسياسة الشرعية هي من الدين، والذين يحاولون فصل الدين عن السياسة معناه: هدم قدر ثلث الإسلام أو أكثر، فنحن لا نحارب السياسة لذاتها، نحارب السياسة بمعنى الكذب والخداع والخيانة، هذه نحاربها، أما فصل الدين عن السياسة فهذا أمر نحن نحاربه ونحذر منه والله المستعان» اهـ.

وقال رحمه الله^(٢): «والذين يريدون أن يفصلوا الدين عن السياسة إنما يحاولون هدم الدين والتخلص من الدين، أراح الله المسلمين من شرهم» اهـ. قلت: صدق العلماء رحمهم الله، فالسياسة المتعارف عليها في هذا الزمان نجاسة، فينبغي للأطهار أن لا يقعوا فيها، وأن يستغلوا بالعلم والدعوة إلى الله إلى الله^(٣).

قال الشيخ الألباني رحمه الله^(٤): «لا ننصح إخواننا السلفيين في أرض الله الواسعة في كل بلد إسلامي أن يعملا عملاً سياسياً، ولو كان هذا العمل نابعاً من أنفسهم، فضلاً عن أن يكونوا فيه أو في هذا العمل تبعاً لغيرهم؛ ما ننصح بهذا أبداً؛ ذلك لأن العمل السياسي يحتاج في الحقيقة إلى مقدمات كثيرة، واتخاذ أسباب جمة ليتمكن هؤلاء الذين تأسسوا وتربوا على هذا المنهج أن يقوموا بالسياسة الشرعية، وفيما نعلم كل الأجراء في البلاد الإسلامية اليوم لا يوجد فيها جماعة، ولنقول لها لفظة قرآنية «أمة» تكتلت

(١) «إرشاد البرية إلى شرعية الانتماء إلى السلفية» ص (١٥٨).

(٢) «غارقة الأشرطة» (١/٨٣).

(٣) وقد أشرت إلى هذا الموضوع في كتابي: «السطور الذهبية في بيان أهداف وثمار دور الحديث السلفية في الديار اليمنية» ص (٤٤) تحت فقرة «تقديم الحلول المناسبة للمشكلات العصرية وفق السياسة الشرعية».

(٤) «سلسلة الهدى والنور» شريط رقم (٢٧٠).

وتجمعت على هذا المنهج الإسلامي الصحيح، ولم يبق لديهم ما ينقصهم من القيام بالواجبات الشرعية إلا العمل السياسي، لا نعلم أن طائفه أو جماعة أو أمة توجد اليوم على وجه الأرض أنه لا ينقصها إلا العمل السياسي، العمل السياسي في اعتقادي إنما يأتي بعد زمن واستعدادات جمة تقوم بها الطائفة المنصورة التي جاء ذكرها في الحديث المشهور المتواتر عن الرسول ﷺ.

ثم قال ﷺ: لذلك فالاشتغال بالعمل السياسي قبل أن تصل الأمة أو الجماعة إلى مرحلة هذا العمل السياسي ستكون عاقبة أمره أن تنهر الدعوة وأن ترجع القهقرى، وربّ أناس لا يقنعون بهذه النظرية من الناحية العلمية، وحسبهم أن يلقو نظرة سريعة في بعض البلاد الإسلامية التي وقعت فيها بعض الأعمال السياسية، فكان عاقبة أمرهم لم يكن ذلك رشداً، ولم يكن توفيقاً، بل كان عاقبة أمرهم القهقرى، والرجوع إلى الوراء في الدعوة، فقد كانوا ماضين في دعوتهم كما يأمر الشع، وإذا بهم بسبب النهوض المفاجئ بعمل سياسي، لتكون عاقبة أمرهم وعاقبة نهضتهم أن رجعوا القهقرى» اهـ.



٨٣ دخول الدعاة وإدخال الأتباع معهم في كل فتنة دعوية

لا شك أن من البلية دخول الداعية في كل فتنة دعوية، وهذا يدل على ضعف العقل والعلم، فقد تكون الفتنة في المشرق وهو في المغرب، ليس له فيها ناقة ولا جمل، ثم يلتج فيها، وليته يكتفي بذلك، بل يدخل طلابه وأتباعه فيها، وليته يكتفون بذلك، بل يقحمون العامة في فتن خاصة، ويتابعونهم في كل مكان، ما موقفك من فلان، وماذا تقول في فلان، لا يتركون المزارع في مزرعته، ولا الفلاح في أرضه، ولا الراعي مع غنمه، ولا المهندس في صنعته، ولا البقال في بقالته، ولا الخباز في مخبزه...، كل هؤلاء العامة يريدون منهم تحديد مواقف من فلان وعلان.

يا رب هيئ لنا من أمرنا رشدًا واجعل معونتك العظمى لنا سنداً

وقد كان شيخنا الإمام الوادعي رحمه الله يقول: لا تأتوا بفتنة فلان إلى اليمن، ولا تأتوا بفتنة جنس العمل إلى اليمن، فنحن في سلامتها منها.

الله درك من إمام، فإن نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتْنَ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتْنَ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتْنَ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتْنَ، وَلَمَنِ ابْنُيَ فَصَبَرَ فَوَاهَا»^(١).

فتتأمل في هذا الحديث الشريف كيف جعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سعادة المرء المسلم في تجنب الفتن لا في دخولها وأكده ذلك بثلاثة مؤكّدات وهي من أقوى المؤكّدات:

أولها: (إنَّ)، وثانيها: اللام الداخلة على الاسم المبهم (لمن)، وثالثها: التَّكَرَارُ ثَلَاثًا.

(١) صحيح. رواه «أبو داود» (٤٢٦٣) عن المقداد رض، وصححه الألباني رحمه الله في «السلسلة الصحيحة» (٩٧٥)، وحسنه شيخنا الوادعي رحمه الله في «الصحيح المستند مما ليس في الصحيحين» (١١٤٠).

فالواجب عليك أيها الداعية أن تفر من الفتنة فرارك من المجدوم أنت ومن معك من الطلاب، لا أن ت quam نفسك وطلابك فيها، فاستجب لنبيك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي يحثك على البعد عن الفتنة، لا لشیخك الذي يطلب منك مخالفته الهدي النبوی ويخرج بك في كل فتنة.

قال بعض العلماء: مراتب الناس في الفتنة سبعة، وهي مستخلصة من مجموع أحاديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الفتنة:

- ١ - رجل نائم في الفتنة، بمعنى أنه معرض عنها لا يسمع عنها ولا يراها، وهذا أفضليهم.
- ٢ - رجل مضطجع في الفتنة، أي: ممدد، لا يبالي بها، قد يكون يسمع بها لكنه لا يراها.
- ٣ - رجل قاعد في الفتنة، يراها ويسمعها وهو بعيد عنها، وهذا أيضًا في خير لكنه دون الأول والثاني.
- ٤ - رجل قائم في الفتنة، هذا يخشى عليه؛ لأنَّه متأنب لها، ومن استشرف لها تستشرفه، وهذا وسط بين الثلاثة المتقدمين والثلاثة المتأخرین.

٥ - رجل ماش في الفتنة، يعني: يمشي إلى الفتنة خطوة خطوة، و﴿لَا تَئْتِيُوا خُطُوتَ الشَّيْطَنِ﴾ [النور: ٢١].

٦ - رجل ساع في الفتنة، يعني: يجري إلى الفتنة جريًا، ببصره ولسانه وقلمه ومalle وغيَر ذلك، والعياذ بالله.

٧ - رجل واقع في الفتنة، وهذا شرّهم والعياذ بالله، قال تعالى: ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ [التوبه: ٤٩].

فالأول والثاني والثالث نجوا من الفتنة، والرابع على خطر، والخامس والسادس والسابع دخلوا في الفتنة بمراتب مختلفة، فالداعية الموفق

الحكيم هو الذي يجنب نفسه وطلابه والناس الفتنة، ويشغل نفسه وطلابه بالعلم والدعوة والخير.

قال قتادة رضي الله عنه^(١): «قَدْ رَأَيْنَا وَاللَّهُ أَقْوَاماً يُسْرِعُونَ إِلَى الْفِتْنَةِ وَيَنْزِعُونَ فِيهَا وَأَمْسَكَ أَقْوَاماً عَنْ ذَلِكَ هَيْبَةً لِلَّهِ وَمَخَافَةً مِنْهُ، فَلَمَّا انْكَشَفَتْ إِذَا الَّذِينَ أَمْسَكُوا أَطْيَبَ نَفْسًا وَأَثْلَجَ صُدُورًا وَأَخْفَضَ ظُهُورًا مِنَ الَّذِينَ أَسْرَعُوا إِلَيْهَا وَيَنْزِعُونَ فِيهَا وَصَارَتْ أَعْمَالُ أُولَئِكَ حَرَازَاتٍ عَلَى قُلُوبِهِمْ كُلَّمَا ذَكَرُوهَا، وَإِيمُونُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ النَّاسَ يَعْرِفُونَ مِنَ الْفِتْنَةِ إِذَا أَفْبَلْتُ كَمَا يَعْرِفُونَ مِنْهَا إِذَا أَدْبَرْتُ لَعَقِلَ فِيهَا جِيلٌ مِنَ النَّاسِ كَثِيرٌ» اهـ.



(١) «حلية الأولياء» (٢/٣٣٦).

٨٤) من الأخطاء الشائعة أنك لن تكون سلفياً على الجادة إلا إذا بينت موقفك من آخر المستجدات والأحداث الخفية في الدعوة السلفية

ومما وصلت إليه الدعوة عند بعض الدعاة أنك لن تكون سلفياً على الجادة إلا إذا بینت موقفك من آخر المستجدات والأحداث الخفية في الدعوة السلفية، فتجد من يلتقي بك وهو لا يعرف موقفك يبادرك بالسؤال عن آخر فتنة في الدعوة، ثم يقوّمك على إثر إجابتك له، وهذا من الأخطاء الشائعة والذائعة في الدعوة.

نعم، إذا كانت الأحداث أحداً هاماً وخطيرة وتحتاج إلى بيان مواقف ومناصرة فنعم، لا بد أن يكون لك موقف واضح منها إذا كان لك ولموقفك أهمية، لكن الأمر على خلاف ذلك تماماً، وذلك أن الحادثة الجديدة هي خلاف في شخص، وللأسف الشديد أكثر ما أصاب الدعوة في مقتل هو الخلاف في الأشخاص، إننا نتكلم من واقع مرير، ونحضر من أسلوب خطير، وهو أسلوب وطريقة بين موقفك من فلان وعلان، ويأتي صغار الطلاب، حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، يمتحنون الدعوة والمصلحين بهذه الحادثة الجديدة في الدعوة، وقد يكون هذا الشخص الذي تطالبه ببيان موقفك منه في أقصى الأرض، لا تعرفه، ولا تعرف دعوته، وليس له تأثير في بلدك، ولا في دعوتك، وتطالبه بموقفك منه، وقد تتفق أنت وهم في كل شيء إلا في هذا الرجل، فربما تُبدع وتُهجر بسببه، فهذه والله مراهقة فكرية، وحركات صبيانية، الدعوة السلفية برئيّة من هذه الأمور براءة الذئب من دم يوسف، والله ما رأينا كبار علماء هذه الدعوة يعملون مثل هذا، لا الباز، ولا العثيمين، ولا الوادعي، ولا من قبلهم ولا من بعدهم، ورحم الله الإمام الوادعي الذي كان يقول: لا تأتوا بفتنة فلان إلى اليمين، ولا تأتوا بفتنة جنس العمل إلى اليمين، فنحن في سلامٍ منها.



٨٥ خلاف بعض الدعاة في مسألة تعين المخالف من عدمه

التحذير من المخالفة والمخالف ثابت بالقرآن والسنة وإجماع الأمة،
وله ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: التحذير العام من المخالفة، وهذا هو الأكثر، كقوله ﷺ: «أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟» ثلاثاً، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدِينَ - وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَكَبِّراً - فَقَالَ: أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ»، قال: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ»^(١).

المرتبة الثانية: التلميح، وهذا كثير لكنه دون الأول، وهو المتمثل في قوله ﷺ: «مَا بَأْلَ أَقْوَامٍ»، مثل حديث الثلاثة: قال ﷺ: «مَا بَأْلَ أَقْوَامَ قَالُوا كَذَّا وَكَذَّا؟ لَكِنِي أُصَلِّي وَأَنَّامُ، وَأَصُومُ وَأَفْطِرُ، وَأَتَزَوْجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُتُّي فَلَيْسَ مِنِّي»^(٢).

المرتبة الثالثة: التصریح والتعيين، وهذا فعله النبي ﷺ لكنه دون الثاني، من ذلك قوله ﷺ: «أَمَّا أَبُو جَهْمٍ، فَلَا يَضُعُ عَصَاهُ عَنْ عَاتِقِهِ، وَأَمَّا مُعاوِيَةَ فَصُعْلُوكُ لَا مَالَ لَهُ، انْكِحِي أَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ»^(٣).

فإذا كانت المصلحة تقتضي عدم التعيين أو التلميح؛ تعمّم في النصيحة، وإذا كانت المصلحة تقتضي التلميح؛ تلمّح في النصيحة، وإذا كانت المصلحة تقتضي التعيين؛ تعين المخالف وتسميه، وبهذا تجتمع الأدلة في هذا الباب ويحل الإشكال عند من جمع الله له بين العلم والعقل والدين.

(١) متفق عليه: «البخاري» (٤٢٦٥)، «مسلم» (٨٧) عن أبي بكرة رض.

(٢) متفق عليه: «البخاري» (٥٣٦٥)، «مسلم» (١٤٠١) عن أنس رض.

(٣) رواه «مسلم» (١٤٨٠).

لكن هناك تنبية هام: وهو أنه قد تكون المصلحة الراجحة في تعين المخالف والتحذير منه في بلد دون بلد، أو في زمن دون زمن، أو في حال دون حال، فلا ينكر هذا على هذا، ولا هذا على هذا.

قال الشيخ العلامة ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله تعالى^(١): «إن العلماء الفقهاء الناصحين قد يسكتون عن أشخاص وأشياء مراعاة منهم للمصالح والمفاسد، فقد يترتب على الكلام في شخص مفاسد أعظم بكثير من مفسدة السكوت عنه، فقد سكت رسول الله ﷺ عن ذكر أسماء المنافقين، ولم يخبر بأسمائهم أو بعضها إلا حذيفة ٤٣٦ ومتى كان يصعد على المنبر ويقول: فلان منافق، وفلان منافق، كل ذلك مراعاة منه للمصالح والمفاسد، وكان قتلة عثمان في جيش علي ٤٣٧ وما طعن كبار الصحابة الباقين في علي رضي الله عنهم، ولا أحد من عقلاه التابعين، وما كانوا يركضون لعلي؛ لأنه لو أخرجهم من جيشه أو عاقبهم لترتب على ذلك مفاسد عظيمة، منها: الحروب وسفك الدماء وما يترتب على ذلك من وهن الأمة وضعفها، فهذا العمل منه من باب ارتكاب أدنى المفسدتين لدفع أكبرهما، وهذا ابن تيمية وتلميذه ابن القيم لماذا لم يبينوا عقيدة النوووي وغيره، وأئمة الدعوة لم يبينوا عقيدة النوووي وابن حجر والقططاني والبيهقي والسيوطى وغيرهم^(٢)، فلا تظن أن كل

(١) «المجمعون الواضح» ص (١٤٣).

(٢) هؤلاء العلماء الأجلاء الذين مثل بهم الشيخ ربيع حفظه الله بدّعهم الحدادية (أتباع محمود الحداد المصري – وهو معاصر). .

وأهم معالم هذه الفرقـة الضالة المعاصرة ما يلي:

- ١ - بغضهم لكتاب علماء المنهج السلفي في هذا العصر وتحقيرهم، ثم تجاوزوا ذلك إلى ابن تيمية، وابن القيم، وابن أبي العز شارح الطحاوية، وغيرهم كثير.
- ٢ - غلوتهم في محمود الحداد وادعاء تفوّقه في العلم ليتوصلوا بذلك إلى إسقاط كتاب أهل العلم.

- ٣- قولهم بتبديع كل من وقع في بدعة، وابن حجر عندهم أشد وأخطر من سيد قطب.
- ٤- تبديع من لا يبدع من وقع في بدعة وعداوه وحربه، ولا يكفي عندهم أن تقول: عند فلان أشعرية مثلاً، بل لابد أن تقول: مبتدع، وإلا فالحرب والهجران والتبديع.
- ٥- تحريم الترجم على أهل البدع بإطلاق لا فرق بين رافضي وقدري وجهمي وبين عالم وقع في بدعة.
- ٦- تبديع من يترجم على مثل أبي حنيفة والشوكاني وابن الجوزي وابن حجر والنووي.
- ٧- امتازوا باللعن والجفاء والإرهاب لدرجة أن كانوا يهددون السلفيين بالضرب، بل امتدت أيديهم إلى ضرب بعض السلفيين.
- ٨- لعن المعين حتى إن بعضهم يلعن أبا حنيفة، وبعضهم يكفره!!!.
- ٩- الكبر والعناد المؤديان إلى رد الحق كسائر غلاة أهل البدع.
- ١٠- لهم علاقات بالحزبيين وبعضهم بالفساق في الوقت الذي يحاربون فيه السلفيين ويحقدون عليهم أشد الحقد.
- ١١- التقية الشديدة، فالرافضي يعترف لك بأنَّه جعفري، ويعترف ببعض أصوله وعقائده الفاسدة، وهؤلاء لا يعرفون بأنَّهم حداديون، ولا يعترفون بشيء من أصولهم وما ينطون عليه.
- ١٢- يكتبون تحت أسماء مجهرة مسروقة، فإذا مات أحدهم فلا يُعرف له عينٌ ولا أثر(!)؛ وبهذا العمل فاقوا الروافض؛ فإنَّهم معروفون وكتب التاريخ والجرح والتعديل مشحونة بأسمائهم وأحوالهم وإن كانوا يستخدمون التقية والتستر.
- ١٣- رفضوا أصول أهل السنة في الجرح والتعديل وتنقصوا أئمة الجرح والتعديل وتنقصوا أصوله.
- ١٤- رفضوا أصول أهل السنة في مراعاة المصالح والمفاسد.
- ١٥- رفضوا أصول أهل السنة في الأخذ بالرخص في الأصول والواجبات.
- ١٦- تسترهم بعض علماء السنة مكرًا وكيدًا مع بعضهم لهم ومخالفتهم في أصولهم ومنهجهم وموافقهم كما يفعل الروافض في تسترهم بأهل البيت!!.
- ١٧- الدعوة إلى التقليد كما هو حال الروافض وغلاة الصوفية.
- ١٨- تظاهر بعض المتأخرین منهم بالحماس للإمام محمد بن عبد الوهاب النجدي والدفاع عنه بعد أن افتعل من العلامة الألباني عدواً لدواداً لا نظير له للإمام محمد ودعوته.

تصريح نصيحة ولا كل سكوت غشاً للإسلام والمسلمين، والعاقل المنصف البصير يدرك متى يجب أو يجوز الكلام، ومتى يجب أو يجوز السكوت» اهـ.



١٩- التدرج الماكر على طريقة الباطنية، وانظر ما صنعوا بالألباني فقد ظاهروا باحترامه والدفاع عنه ورمي من يصفه بالإرجاء بأنهم خوارج، ثم تحولوا إلى الطعن فيه ورميه بالإرجاء والمخالفة لمنهج السلف.

٢٠- مشابهة الروافض في الكذب وتصديق الكذب وتكذيب الصدق!!.

٢١- التعاون بينهم على الإثم والعدوان والبغى والتناصر على الكذب والفسور والتأصيلات الباطلة.

٢٢- الإصرار على الباطل والتمادي فيه، والجرأة العجيبة على تقليل الأمور؛ بجعل الحق باطلًا، والباطل حقًا، والصدق كذبًا، والكذب صدقًا، وجعل الأقزام جبارًا، والجبال أقزاماً.

٢٣- الولاء والبراء على أناس من أجهل الناس وأشدّهم عداوة للمنهج السلفي وعلمائه.

هذه بعض صفات الحدادية ملخصة بتصرف يسير من رسالة: «خطورة الحدادية الجديدة وأوجه الشبه بينها وبين الرافضة»، ورسالة: «منهج الحدادية» للعلامة ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله.

قلت: وأحلف يميناً لا أحنت فيها أن بعض الدعاة فيهم شبه كبير بالحادادية وإن لم يتسبّبوا إليها.

وقد ردّ على الحدادية وحدّر منهم ومن منهاجم الباطل كبار علماء العصر، كابن باز، والعثيمين، والألباني، والوادعي، والعبّاد، وربيع بن هادي، وصالح السحيمي، وصالح الفوزان، وصالح اللحيدان، وابن غديان، وأحمد بن يحيى النجمي، وزيد المدخلي، ومحمد بن آدم الأتيويبي، ووصي الله عباس، وجميع السلفيين في مشارق الأرض وغاربها، رحم الله من مات منهم، ومتّع بالأحياء.

٨٦ تغلب جانب العلم على الأدب والتربية

إن الدعوة السلفية تقوم على منهج التصفيية والتربية، والمراد بالتصفيية: تصفيية العقائد من الشرك والخرافة والبدع، وتصفيية السنة من الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وتصفيية الفقه من الأقوال الشاذة والمحجورة، وتصفيية المنهج من الانحرافات المذهبية والحزبية...، وقد نجحت الدعوة في هذا والله الحمد نجاحاً كبيراً، لكن الجانب التربوي حصل فيه شيء من القصور، وهو الجانب الروحي، والجانب السلوكي والأخلاقي، ومصداق هذا ما يروى عن الشيخ الألباني رحمه الله أنه قال: «نجحنا في التصفيية ولم ننجح في التربية» اهـ.

وقال الألباني أيضاً رحمه الله^(١): (قد يكون الشخص سلفياً في عقيدته، ولكنه ليس سلفياً في تربيته وسلوكه) اهـ.

وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله^(٢): «العلم لا ينفع إذا خلا من الأدب، كثير من الشباب اليوم الذين يطلبون العلم تجد عندهم من الصفات ما لا يليق بطالب العلم، إذاً علمه لا ينفعه، يعني: أن طالب العلم وإن كثر علمه إذا لم يكن عنده أدب؛ فإن علمه لا ينفعه، وقليل العلم إذا كان عنده أدب؛ فإن علمه يكون نافعاً له، وحينئذ أحثكم أيها الشباب على الحرص على تطبيق الأدب التي علمتموها بعلم، أما أن تتعلموا العلم وتكون آدابكم وأخلاقكم كآداب سوقة الناس الذين لا يعلمون شيئاً فهذا خطأ» اهـ.

فينبغي للداعية والمعلم أن يركّز على هذا الجانب تركيزاً عظيماً، وذلك بتدرис كتب الأدب والأخلاق والزهد والورع، القراءة في كتب

(١) «سلسلة الهدى والنور» شريط رقم (٧٨١).

(٢) «فتاوي و دروس المسجد الحرام» (صوتي).

ابن القيم، وابن رجب وغيرهما ممن صفت عقيدته ومنهجه، ويقرأ في كتب الترجم، وفي قصص الصالحين، وقبل ذلك تدبر كتاب الله، فالخير كله فيه.

وأذكر هنا طائفة من أقوال علماء السلف رضوان الله تعالى عليهم وهم يؤكدون ضرورة تعلم الأدب قبل العلم:

قال الإمام عبد الله بن المبارك رحمه الله^(١): «طلبت الأدب ثلاثين سنة، وطلبت العلم عشرين سنة، وكانوا يطلبون الأدب قبل العلم».

وقال رحمه الله^(٢): «كاد الأدب أن يكون ثلثي الدين».

وقال رحمه الله^(٣): «نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم».

ويقول عبد الله بن وهب رحمه الله^(٤): «ما تعلّمنا من أدب مالك أكثر مما تعلّمنا من علمه».

وقال الحسن البصري رحمه الله^(٥): «كان الرجل إذا طلب العلم لم يلبث أن يرى ذلك في تخشعه، وبصره، ولسانه، ويديه، وصلاته، وحديثه، وزهده».

وقال أبو عبد الله سفيان بن سعيد الثوري رحمه الله^(٦): «كان الرجل لا يطلب

(١) «غاية النهاية في طبقات القراء» (٤٤٦ / ١).

(٢) «صفة الصفوة» (٢ / ٣٣٠).

(٣) «الرسالة القشيرية» لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥ هـ)، (٢ / ٣٥٦)، «مدارج السالكين» (٢ / ٤٤٧).

(٤) «سير أعلام النبلاء» (٨ / ١١٣).

(٥) «الزهد» لابن المبارك ص (٢٦).

(٦) «حلية الأولياء» (٦ / ٣٦١).

ال الحديث حتى يتبعه قبل ذلك عشرين سنة».

وعن أبي زكريا يحيى بن محمد العنبرى رَحْمَةُ اللَّهِ قَالَ^(١): «علم بلا أدب
كنار بلا حطب، وأدب بلا علم كجسم بلا روح».

وعن عيسى بن حماد بن قتيبة رَحْمَةُ اللَّهِ قَالَ^(٢): سمعت الليث يقول وقد
أشرف على أصحاب الحديث فرأى منهم شيئاً، فقال: «أنتم إلى يسير من
الأدب أحوج منكم إلى كثير من العلم».

وقال سفيان بن عيينة رَحْمَةُ اللَّهِ^(٣): «جلسنا إلى عبيد الله بن عمر فأحطنا به
فنظر إلينا فقال: شنتم العلم وذهبتم بنوره، لو أدركني وإياكم عمر
لأو جعنا ضرباً».

وروى الخطيب في «الجامع» عن إبراهيم بن حبيب الشهيد قال^(٤): قال
لي أبي: «يا بُنِي إيت الفقهاء والعلماء وتعلم منهم، وخذ من أدبهم،
وأخلاقهم، وهديهم فإن ذاك أحب إلي لك من كثير من الحديث».

وقال مالك بن أنس رَحْمَةُ اللَّهِ^(٥): «كانت أمي تجهز عماتي وأنا صغير قبل
ذهابي لحلق العلم، فتقول: يا مالك خذ من شيخك الأدب قبل العلم».

وقال ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ^(٦): «وأدب المرء عنوان سعادته وفلاحه، وقلة
أدبه عنوان شقاوته وبواره، فما استجلب خير الدنيا والآخرة بمثل الأدب،
ولا استجلب حرمانهما بمثل قلة الأدب» اهـ.

(١) «الجامع لأخلاق الراوي وأداب السامع» (١/٨٠).

(٢) «الجامع لأخلاق الراوي وأداب السامع» (١/٤٠٥).

(٣) «العزلة» للخطابي ص (٨٣).

(٤) «الجامع لأخلاق الراوي وأداب السامع» (١/٨٠).

(٥) «الدياج المذهب في معرفة أعيان المذهب» لابن فردون المالكي (١/٩٨).

(٦) «مدارج السالكين» (٢/٣٦٨).

﴿ إسقاط رموز الدعوة في العالم لأنفه الأسباب ﴾^{٨٧}

لقد آتت جهود الدعاة السلفيين المخلصين الصادقين في مشارق الأرض وغاربها ثمارها والله الحمد، فكم بذلوا في سبيل تفقيئه الأمة والنهو من بها من جهد عظيم، فعلموا الناس التوحيد وحدّرُوهُمْ من الشرك، وعلّمُوا الناس السنة وحدّرُوهُمْ من البدعة، ورغّبوا الناس في الطاعات ورهبُوهُمْ من المعاصي والذنوب، وعلّمُوا الناس العلم الشرعي وحدّرُوهُمْ من الجهل، ونشروا الفضيلة وحاربوا الرذيلة، وبدأ نور التوحيد والسنة يشع في سماء المعمورة، وفرح الموحدون المخلصون الصادقون في مشارق الأرض وغاربها بهذه الثمرة المباركة المبذولة من آحاد الدعاة، ولكن هبّت رياح مسمومة وإعصار مدمر لشيطنة هؤلاء الأخيار الأبرار فرسان التوحيد والسنة وغرباء هذه الأمة الذين بذلوا الغالي والنفيس من أجل هذه الدعوة السلفية المباركة، ليت هذا التحذير والإسقاط جاء من خصوم الدعوة الذين يكيدون لها بالليل والنهار، ويمكرُون بها مكر الفجّار، وإنما جاء الإسقاط من إخواننا وبني جلدتنا، وصدق القائل:

وَظُلْمٌ ذُوِي الْقُرْبَى أَشَدُّ مَضَايَّةً عَلَى الْمَرْءِ مِنْ وَقْعِ الْحُسَامِ الْمُهَنَّدِ^(١)
 حقاً إن ظلم ذوي القربى شديد على النفس، وهذا إذا وقع بين الأقارب في النسب، فكيف به إذا كان بين الأقرباء في العقيدة والسنة والمنهج، وكيف به إذا تعدى ظلم فرد لمثيله وأصبح فاشياً في ظلم مجتمع لمجتمع، أو جماعة لجماعة فهو أشد مرارة، وأكثر ألماً، وأعمق حزناً، وأقسى من كل مصاب تصاب به الدعوة من العدو الخارجي الكافر أو المبتدع الضال؛ لأن المحنّة عندما تأتي من إخوة لك في العقيدة والمنهج

^(١) «ديوان طرفة بن العبد» (ص: ٢٧).

المستقيم، فهذا سيؤدي ولا شك إلى فقدان الثقة عند كثير من الناس بمن يتصدى للدعوة في تلك البلاد، ويؤدي كذلك إلى أن يفقد بعضهم الأمل من قرب استئناف حياة إسلامية صحيحة على منهاج النبوة؛ لأنه يرى أهل هذا المنهج الصافي النقى يتشارعون فيما بينهم، وسيؤدي كذلك إلى الإحباط وإشاعة روح اليأس عند البعض، وسيكون التساؤل قوياً وحاضراً ومُلحًا إذا كان هؤلاء يتخاضون ولا يتفاهمون، ويتباغضون ولا يتراحمون.

فهل هناك أمل في الإصلاح المنشود؟! فوا عجباه هل أصيib بعض أهل السنة بأمراض المجتمعات وأوبئتها؟ فصاروا مثل غيرهم من الأحزاب المتناحرة، حيث اشتهرت الأحزاب الضالة بممارسة تصفية زملائهم، سواء بالتصفية الجسدية أو الإبعاد أو السجن.

وأخيرًا: أقول لهؤلاء الذين يتسبّبون بأنانيتهم وأغراضهم الخاصة، ويدافعون عنها ولو ضعفت الدعوة وتمزق الصف: اتقوا الله في هذه الدعوة، التي تكاثر عليها الأعداء، فلا تكونوا عوناً لهم.

إنهم إخوانكم في العقيدة والسنّة والمنهج، اتفقوا معكم في كل شيء إلا في مسألة واحدة أو مسائلتين يسوغ فيها الخلاف، يدرّسون كتب ابن تيمية، وابن القيم، وابن عبد الوهاب، والشوكياني، والصنعاني، والألباني، وابن باز، وابن عثيمين، والوادعي، وجميع كتب العلماء السلفيين، ويحاربون أهل البدع والأهواء والأحزاب والطوائف الضالة، فأسألهم بالله الذي لا إله غيره ولا رب سواه، داعية في قارة من القارات، أو في بلد من بلاد الكفار، أو في بلد مسلم هيمنت عليه البدعة، ليس معه في تلك البلاد معين إلا الله، وهو يجاهد ويدعو إلى التوحيد بمفرده في تلك البلاد المظلمة بالشرك والبدعة والمعصية، يُبَذِّنَذ النواة لأنفه الأسباب، إنه والله

نقص في الدين وفي العقل وفي العلم، لقد بعتم هؤلاء الدعاة بيع الرقيق بحظوظ نفس زائفة قليلة، وكتتم منهم من الزاهدين، أليس من الواجب علينا أن نقف مع هذا الداعية الغريب الوحيد في بلده ونشجعه ونعطيه ونرحمه ونسأله عن أحواله ونغض النظر عن عثرته إن كانت هناك عشرة، ونناصحه بالتالي هي أحسن للتى هي أقوم.

واسمعوا لهذا الكلام الكبير من العلماء الراسخين رحمهم الله، الذين كبروا في علمهم وعقلهم ودينهـم، كيف تعاملوا مع أهل السنة المخالفين لهم في بعض المسائل:

قال الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله^(١) :

«إذا كانت المسألة متعلقة بعالم من أهل العلم في الفتوى في شأنه بأمر من الأمور؛ فإنه هنا يجب النظر فيما يقول إليه الأمر من المصالح ودفع المفاسد.

لهذا ترى أئمة الدعوة رحمهم الله تعالى من وقت الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن - أحد الأئمة المشهورين إلى وقت الشيخ محمد بن إبراهيم رحمة الله - إذا كان الأمر متعلقاً بإمام، أو بعالم، أو بمن له أثر في السنة؛ فإنهم يتورعون، ويبتعدون عن الدخول في ذلك.

مثاله: الشيخ صديق حسن خان القنوجي الهندي المعروف عند علمائنا، له شأن، ويقدرون كتابه «الدين الخالص»، مع أنه نقد الدعوة في أكثر من كتاب له؛ لكن يغضبون النظر عن ذلك ولا يصدعون هذا؛ لأجل الانتفاع بأصل الشيء، وهو تحقيق التوحيد ودرء الشرك (أي: في بلاده بلاد الهند).

^(١) في محاضرة له بعنوان: «الفتوى بين مطابقة الشرع ومسايرة الأهواء»، وانظر: «سلسلة المحاضرات العلمية للشيخ صالح آل الشيخ» (٤ / ٧٠٣-٧٠٥).

المثال الثاني: الإمام محمد بن إسماعيل الصناعي المعروف، صاحب كتاب «سبل السلام» وغيره، له كتاب «تطهير الاعتقاد»، وله جهود كبيرة في رد الناس للسنة، وبعد عن التقليد المذموم والتعصب وعن البدع؛ لكنه زل في بعض المسائل، ومنها: ما ينسب إليه في قصيده المشهورة لما أثني على الدعوة، قيل: إنه رجع عن قصيده تلك بقصيدة أخرى يقول فيها:

رجعت عن القول الذي قلت في النجدي

ويعني به: الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ويأخذ هذه القصيدة أرباب البدع - وهي تنسب له، وتنسب أيضاً لابنه إبراهيم -؛ وينشروها على أن الصناعي كان مؤيداً للدعوة لكنه رجع.

والشوکانی رحمه الله مقامه أيضاً معروض، الشوکانی له اجتهد خاطئ في التوسل، وله اجتهد خاطئ في الصفات، وتفسيره في بعض الآيات فيه تأويل، وله كلام في عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليس بجيد، أيضاً في معاوية رضي الله عنه ليس بجيد؛ لكن العلماء لا يذكرون ذلك (حتى يتفع الناس بعلمه في اليمن).
وألف الشيخ سليمان بن سحمان كتابه «تبرئة الشيختين الإمامين...» - يعني بهما: الإمام الصناعي والإمام الشوکانی -.

لماذا فعلوا ذلك؟ لأن الأصل الذي يبني عليه هؤلاء العلماء هو السنة. فهو لا يخالقونا في أصل الاعتقاد، ولا يخالفونا في التوحيد، ولا يخالفونا في نصرة السنة، ولا يخالفونا في رد البدع؛ وإنما اجتهدوا فاختلطوا في مسائل. والعالم لا يتبع بزنته - قلت: ولعله لا يُتَّبَع بزنته: أي: يفضح بزنته - كما أنه لا يُتَّبَع في زنته - أي: لا يقتدى به فيها - هذه ترك ويسكت عنها، وينشر الحق، وينشر من كلامه ما يؤيد به.

وعلماء السنة لما زل ابن خزيمة رحمه الله في مسألة الصورة - كما هو معلوم - ونفي إثبات الصورة لله جلّ وعلا رد عليه ابن تيمية رحمه الله بأكثر من

مائة صفحة، ومع ذلك علماء السنة يقولون عن ابن خزيمة: إنه إمام الأئمة، ولا يرضون أن أحداً يطعن في ابن خزيمة لأجل أن له كتاب التوحيد الذي ملأه بالدفاع عن توحيد الله رب العالمين، وإثبات أنواع الكمالات له جلّ وعلا بأسمائه ونحوت جلاله جلّ جلاله، وقدست أسماؤه.

والذهببي رحمه الله في «سير أعلام النبلاء» قال: وزل ابن خزيمة في هذه المسألة.

إذن هنا: إذا وقع الزلل في مثل هذه المسائل؛ فما الموقف منها؟
الموقف: أنه ينظر إلى موافقته لنا في أصل الدين، موافقته للسنة، نصرته للتوحيد، نشر العلم النافع، ودعوته للهدي... ونحو ذلك من الأصول العامة، وينصح في ذلك، وربما رد عليه؛ لكن لا يقدح فيه قدحًا يلغيه تماماً.

وعلى هذا كان منهج أئمة الدعوة في هذه المسائل كما هو معروف.
وقد حدثني فضيلة الشيخ صالح بن محمد اللحيدان حفظه الله حينما ذكر قصيدة الصناعي الأخيرة (رجعت عن القول الذي قلت في النجدي) -
التي يقال: إنه رجع فيها، أو أنه كتبها -، قال: سألت شيخنا الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله عنها: هل هي له، أم ليست له؟
قال: فقال لي الشيخ رحمه الله: الظاهر أنها له.

والمشايخ - مشايخنا - يرجحون أنها له؛ ولكن لا يريدون أن يقال ذلك؛ لأنه نصر السنة ورد البدعة، مع أنه هجم على الدعوة...
الشوکانی له قصيدة أرسلها للإمام سعود بنها فيها عن كثير من الأفعال من قتال، ومن التوسع في البلاد، ونحو ذلك فيه أشياء...
إذن الشريعة جاءت لتحصيل المصالح وتكتميلها، ودرء المفاسد وتقليلها، وهذه القاعدة المتفق عليها لها أثر كبير؛ بل يجب أن يكون لها أثر كبير في فتاوى المفتى وفي استفتاء المستفتى أيضًا...» اهـ.

قلت: وهكذا خالف الإمام الألباني رحمه الله الإمام ابن باز والإمام ابن عثيمين في مسائل كثيرة، وحصل ردود من الطرفين، ومع هذا بقي الجبال جبالاً، وبقيت المحبة والمودة والأخوة بينهم لا يزحزحها أحد ولو تلاطمت بين أيديهم الجبال، وكل واحد منهم ينتهي على الآخر، ويدعوه بالتوافق والنجاح، وهكذا الإمام الوادعي رحمه الله خالف أئمة الدعوة النجدية السلفية في مسائل كثيرة، وخالفوه هم أيضاً في مسائل كثيرة، ثم لما حصل له المرض شفع له الإمام ابن عثيمين رحمه الله بالدخول إلى أرض الحرمين للعلاج فيها.

ومن هذه المواقف النبيلة بين الكبار: ما حصل بين الإمام ابن باز والإمام الألباني رحمهما الله، فإن الإمام الألباني رحمه الله طبع كتابه «الذب الأحمد عن مسنـد أـحمد» بعد وفـاة الإمام ابن باز رحمه الله بعـشرة أيام، حيث قال رحمه الله^(١): «فـهـذـا كـتـاب «الـذـبـ الـأـحـمـ دـعـةـ عـنـ مـسـنـدـ أـحـمـدـ» أـلـفـتـهـ قـبـلـ عـشـرـيـنـ عـامـاـ تـنـفـيـداـ لـطـبـ كـرـيمـ مـنـ أـخـ فـاضـلـ كـرـيمـ وـهـ سـماـحةـ الشـيخـ العـلـامـ عـبـدـ الـعـزـيزـ بـنـ عـبـدـ اللهـ بـنـ باـزـ، وـيـشـاءـ اللهـ وـلـهـ الـحـكـمـ الـبـالـغـةـ أـلـاـ يـصـدـرـ هـذـا كـتـابـ إـلـاـ بـعـدـ وـفـةـ الشـيـخـ، فـأـسـأـلـ اللهـ لـهـ الـمـغـفـرـةـ وـالـرـضـوانـ، وـأـنـ يـلـحـقـهـ بـالـصـالـحـينـ مـنـ عـبـادـهـ، وـأـنـ يـجـزـيـهـ خـيـرـ مـاـ يـجـزـيـ بـهـ عـالـمـاـ عـنـ أـمـتـهـ، وـمـاـ ذـاكـ الـطـلـبـ مـنـ الشـيـخـ وـالـجـوابـ مـنـيـ إـلـاـ صـورـةـ عـلـمـيـةـ مـشـرـقـةـ تـمـثـلـ حـقـيـقـةـ تـعـاـونـ أـهـلـ الـحـدـيـثـ وـدـعـةـ السـنـةـ عـلـىـ الـبـرـ وـالـتـقـوـىـ وـتـوـاصـيـهـمـ بـالـحـقـ وـالـصـبـرـ، رـحـمـ اللهـ جـلـ وـعـلـاـ أـخـانـاـ الـفـاضـلـ سـماـحةـ الشـيـخـ عـبـدـ الـعـزـيزـ وـأـحـسـنـ عـزـاءـنـاـ فـيـهـ، سـائـلـاـ رـبـيـ أـنـ يـجـعـلـ هـذـاـ عـمـلـ فـيـ صـحـيـفـةـ حـسـنـاتـهـ وـابـتـغـاءـ مـرـضـاتـهـ، إـنـهـ تـعـالـىـ سـمـيـعـ قـرـيبـ» اـهـ.

(١) مـقـدـمـةـ «الـذـبـ الـأـحـمـدـ» (صـ ٦ـ ٥ـ).

قال الفرزدق:

أوَلَئِكَ آبَائِي فَجِئْنِي بِمِثْلِهِمْ إِذَا جَمَعْتُنَا يَا جَرِيرُ الْمَجَامِعُ

وقال لبيد:

ذَهَبَ الَّذِينَ يُعَاشُونَ فِي أَكْنَا فِيهِمْ وَبَقِيَتُ فِي خَلْفِ كَحِيلِ الْأَجَرَبِ

إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ، وَهُمْ كَثِيرٌ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.



۞ الذي في قلبي على لساني (صفة الداعية الأحمق) ۞

اشتهرت هذه العبارة على أن من كان هذا حاله؛ فإنه سليم القلب لا يقي شيئاً في صدره، حتى وصلت هذه المعلومة المغلوطة إلى بعض الدعاة، فتجده يتكلم بالحق وبالباطل، وبالصحيح والخطأ، ويختبط بخطب عشواء، ويقول بلسانه مفتخرًا مادحًا نفسه: أنا لا أصبر، الذي في قلبي على لساني.

وقد يصدّع الدعوة بفتن ليس لها آخر بسبب هذه المعلومة المخذولة، وهذا الخلق السيء، والحقيقة أن الذي يقول: الذي في قلبي على لساني. على الإطلاق، ليس بصادق في مقولته هذه، فلو أخرج كل إنسان ما في قلبه لتصافح الناس بالسيوف، وتمزقت الأخوة، وتشرذم المجتمع، إلا ما شاء الله؛ فإن القلب له خطرات وأحوال لا يسلم منها أقرب الناس.

ومن الأدلة التي ترد على هذه المعلومة: أن النبي ﷺ سمع رجلاً يطرق الباب فقال: «بس أخو العشيرة» ثم فتح له وہش وبیش في وجهه^(١)، وكم في قلبه ﷺ من ألم من المنافقين الذين عاشهوا معه، يكيدون لهذا الدين ليلاً ونهاراً، ومع هذال لم يخرج أسماءهم إلا لحذيفة رضي الله عنه للمصلحة الراجحة.

قال ابن حبان رحمه الله^(٢): «وإن من أعظم أمارات الحمق في الأحمق لسانه، فإنه يكون قلبه في طرف لسانه، ما خطر على قلبه نطق به لسانه، والأحمق يتكلم في ساعة بكلام يعجز عنه سحيان وائل^(٣)، ويتكلّم في

(١) عن عائشة رضي الله عنها أنَّ رجلاً استأذنَ على النبي ﷺ، فلما رأاه قال: «بس أخو العشيرة، وبيسَ ابن العشيرة» فلما جلس تطلق النبي ﷺ في وجهه وانبسطَ إليه، فلما انطلق الرجل قالَ له عائشة: يا رسول الله، حين رأيتَ الرجلَ قلتَ له كذا وكذا، ثمَّ تطلقتَ في وجهه وانبسطَ إليه؟ فقالَ رسول الله ﷺ: «يا عائشة، متى عهدتني فحاشاً، إنَّ شرَّ الناسِ عندَ اللهِ مُنْزَلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَ النَّاسُ اتَّقَاءَ شَرِّه» رواه «البخاري» (٦٠٣٢)، و«مسلم» (٢٥٩١).

(٢) «روضة العقلاء» ص (١١٨ - ١٢٤).

(٣) سحيان بن زفر بن إيسٍ الوائيٍ، من باهله، خطيبٌ يضرب به المثل في البيان يقال: (أخطب من سحيان) و (أفصح من سحيان)، اشتهر في الجاهلية، وعاش زمناً في الإسلام، وكان إذا =

الساعة الأخرى بكلام لا يعجز عنه باقل^(١).

والعادل يجب عليه مجانبة من هذا نعنه ومخالطة من هذه صفتة، فإنهم يجترئون على من عاشرهم، ألا ترى الزُّطَّ^(٢) ليسوا هم بأشجع الناس ولكنهم يجترئون على الأسد لكثره ما يرونها.

وقال ابن حبان أيضًا رحمه الله: ومن شيم الأحمق: العجلة، والخفة، والعجز، والفجور، والجهل، والمقت، والوهن، والمهابة، والتعرض، والتحاسد، والظلم، والخيانة، والغفلة، والسهو، والغبي، والفحش، والفخر، والخياء، والعدوان، والبغضاء.

والأحمق إذا أعرضت عنه اغتمّ، وإن أقبلت عليه اغترّ، وإن حلمت عنه جهل عليك، وإن جهلت عليه حلم عنك، وإن أساء إليك، وإن أحست إليه أساء إليك، وإذا ظلمته اتصف منه، ويظلمك إذا أتصف به..
اللهم سلم الدعوة من هؤلاء الحمقى الذين أفسدوا فيها أشد من فساد أعدائهم.



خطب يسيل عرقاً، ولا يعيد كلمة، ولا يتوقف ولا يقعد حتى يفرغ، أسلم في زمن النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه
ولم يجتمع به، وأقام في دمشق أيام معاوية، وله شعر قليل وأخبار.

انظر: «الإصابة» لابن حجر (٢٠٦/٣)، «الأعلام» للزرکلي (٧٩/٣)، «جواهر الأدب» (١٢٠/٢).

(١) في المثل: أعيما من باقل، هو رجل من ربعة، كان اشتري ظبياً بأحد عشر درهماً، فسئل عن شرائه، ففتح كفيه وأخرج لسانه، يشير بذلك إلى ثمنه وهو أحد عشر، فانفلت الظبي، فضرب به المثل في العي. انظر: «مختر الصحاح» ص (٣٨)، «تاج العروس» (١٠١/٢٨).

(٢) الزُّطَّ: جنس من السُّودان والهُنُود. انظر «النهاية» لابن الأثير (٣٠٢/٢).

عدم تحرز بعض الدعاة من مواطن الريبة ٨٩

الريبة هي الأمر الذي يرrib النفوس، ويجعل صاحبها في موضع الريبة والتهمة، فيظن الناس به الظنون السيئة، ولهذا قال ﷺ: «دَعْ مَا يَرِيُّكَ إِلَى مَا لَا يَرِيُّكَ» ^(١).

وقال ﷺ: «إِيَّاكَ وَكُلَّ أَمْرٍ يَعْتَذِرُ مِنْهُ» ^(٢).

وَقَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه: «إِيَّاكَ وَمَا يَسِيقُ إِلَى الْقُلُوبِ إِنْكَارُهُ، وَإِنْ كَانَ عِنْدَكَ اعْتِذَارُهُ» اهـ ^(٣).

لذلك يجب على الداعية قبل غيره أن يتعد عن الأمور التي قد يفعلها بحسن نية وطيب قصد وغفلة منه، ولكنها قد يشير الظنون ويعيث على التهمة ولو بغير حق، فيجب على العاقل الذكي الحصيف أن يحافظ على سمعته، ودعوته، ومكانته الاجتماعية، فيجتنب نفسه هذه المواقف وهذه الريّب، ولا يستهين بأسبابها اعتماداً على حسن نيته وسلامة قصده، حتى لا يلصق بنفسه تهمة هو منها بريء، ولا يعرض غيره للوقوع في سوء الظن فيه والاتهام له بالباطل، فيسأله هو ويسأله الناس من هذا الشر.

والخوف من كلام الناس أيها الدعاة ظاهرة اجتماعية متفشية في المجتمع، تربى عليها الصغير، وشאב عليها الكبير، وأصبحت هاجساً

(١) صحيح. رواه أ Ahmad (١٧٢٣) عن الحسن بن علي رضي الله عنهما، وصححه الألباني رحمه الله في « الصحيح الجامع » (٣٣٧٨)، و«المشكاة» (٢٧٧٣)، وشيخنا الوادعي رحمه الله في «الصحيح المستد» (٣٠٨).

(٢) حسن. رواه الضياء في «المختار» (٢١٩٩) عن أنس بن مالك رضي الله عنه وحسنه الألباني رحمه الله في «السلسلة الصحيحة» (٤٣٥).

(٣) انظر: «شرح البخاري» للسفيري (٢/٣٤٥)، و«المرقاة» (٤/١٤٠٠)، و«فتح القدير» للكمال ابن الهمام (٢/٣٤٥).

لدى كثير من الناس، ويُحسب لها ألف حساب، وقد اهتم الدين بهذه المسألة وضبطها ضبطاً جيداً، فإذا لم تكن أنت متسبباً في كلام الناس فيك فلا يضرك شيء وأنت مأجور، وهذه سنة لن تتغير، أما إذا كنت أنت المتسبب في كلام الناس فيك بالوقوع في الشبهات والاقتراب من مواطن الريبة فهذا خطأ واضح.

وقد أمرنا النبي ﷺ بترك الشبهات وأماكن الريبة خوفاً من الوقع في كلام الناس، ولذلك قال ﷺ: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنَ، وَبَيْنُهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبَرَأَ لِدِينِهِ، وَعَرِضِيهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ...»^(١).

ومعنى «استبرأ لدینه، وعرضيه»: أي: صان عرضه من أن يتكلم الناس فيه. وكان ﷺ ذات يوم معتكفاً في العشر الأواخر من رمضان في مسجده، فزارته ليلاً أم المؤمنين صفية رضي الله عنها، ثم قام ﷺ معها ليوصلها، حتى إذا بلغت باب المسجد، مرر رجلان من الأنصار، فسلماً على رسول الله ﷺ، فقال لهم النبي ﷺ: «على رسلكم، إنما هي صافية بنت حبي»، فقاما: سبحان الله يا رسول الله، وكبر عليهما، فقال النبي ﷺ: «إن الشيطان يجرئ من الإنسان مجرئ الدم، وإنني خشيت أن يقذف في قلوبكم شيئاً»^(٢).

فالنبي ﷺ دفع عن نفسه الريبة وكلام الناس فيه، لذلك من روئي مع زوجته في خلوة مريمة فرأه بعض أصحابه عليه أن يخبره بأنها زوجته؛ لئلا يسيء الظن به فيتكلم الناس في عرضه، فعرض الداعية عرض الدعوة، لذلك قال يوسف عليه السلام حين أمر الملك بإخراجه من السجن، قال

(١) متفق عليه: «البخاري» (٥٢)، «مسلم» (١٥٩٩) عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه: «البخاري» (٢٠٣٥)، «مسلم» (٢١٧٥).

بلسان حاله: لا أخرج من السجن حتى أبرئ ساحتى وعرضي ودعوتى أمام العالم، فقال: ﴿فَشَعَلَهُ مَا بِالنِّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيهِنَّ﴾ [يوسف: ٥٠].

فينبغى للداعية أن يتقي الله ويبتعد عن كل مواطن الريبة، سواء في جوانب النساء، أو في جوانب المال، أو في جوانب المردان الملاح من الصبيان والجلوس معهم، وغير ذلك من مواطن الرّيب.

ولقد كان النبي ﷺ يمتنع أحياناً عن فعل بعض الأشياء خوفاً من كلام الناس، ولكن كان خوفه ﷺ لصالح الدعوة الإسلامية وصيانتها من كل شائبة، فقد امتنع ﷺ من قتل بعض المنافقين حتى لا يقال: إن محمداً يقتل أصحابه^(١)، فتتضور بذلك الدعوة ويمتنع الناس من الدخول في الإسلام. وذات يوم جاءت امرأة من قضاة تُدعى أم كَبَشَة، فاستأذنت النبي ﷺ أن تَغْزُو مَعَهُ فَقَالَ: «لَا». فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَدَاوِي الْجَرِيَّ وَأَقْوَمُ عَلَى الْمَرِيضِ. قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا يَحْدُثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّداً يَغْزُو بِامْرَأَةٍ»^(٢).

وكان النبي ﷺ حين يأمر الناس بأمر أو ينهاهم عنه، يحرص أن يكون

(١) متفق عليه عن جابر رضي الله عنه: «البخاري» (٣٥٢٨)، «مسلم» (٢٥٨٤).

قال ابن القيم رحمه الله تعالى معلقاً على هذا الموقف: «كان في ترك قتلهم في حياة النبي ﷺ مصلحة تتضمن تأليف القلوب على رسول الله ﷺ، وجمع كلمة الناس عليه، وكان في قتلهم تغیر، والإسلام بعد في غربة، ورسول الله ﷺ أحرص شيء على تأليف الناس، وأترك شيء لما ينفرهم عن الدخول في طاعته، وهذا أمر كان يختص بحال حياته ﷺ» اهـ «زاد المعاد» (٤٩٧/٣).

وقال القاضي عياض رحمه الله تعالى: «فلو قتلهم النبي ﷺ لتفاقهم وما يبدر منهم، وعلمه بما أسروا في أنفسهم لوجد المنفر ما يقول، ولارتاب الشارد، وأرجف المعاند، وارتاع من

صحبة النبي ﷺ والدخول في الإسلام غير واحد...» اهـ «الشفا» (٥٠١/٢).

(٢) صحيح. رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٤٢٧٠)، وصححه الألباني رحمه الله في «السلسلة الصحيحة» (٢٨٨٧).

أهل بيته أول من يعمل بذلك؛ ليكون هو وأهل بيته أسوة للجميع، فلا يترك ثغرة للمنافقين كي يتكلموا فيه أو في أهل بيته أو في دعوته.

ونعلم جميعاً بأن النبي الكريم ﷺ كان زاهداً ويأمر أهله بالزهد، فذات يوم رأى ابنته فاطمة ؛^{رض} لابسة سلسلة من ذهب أهداها لها زوجها علي بن أبي طالب ؛^{رض} فقال لها النبي ﷺ: «يا فاطمة أيسركِ أنْ يَقُولَ النَّاسُ: فَاطِمَةُ بُنْتُ مُحَمَّدٍ فِي يَدِهَا سِلْسِلَةً مِنْ نَارٍ؟» فَخَرَجَ وَلَمْ يَقْعُدْ، - فَعَمَدَتْ فَاطِمَةُ إِلَى السِّلْسِلَةِ فَبَاعَتْهَا، فَاشْتَرَتْ بِهَا نَسَمَةً فَأَعْتَقْتَهَا، فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّى فَاطِمَةَ بِي مِنَ النَّارِ».^(١)



(١) صحيح. رواه «النسائي» (٥١٤٠)، و«أبو داود الطيالسي» (١٠٨٣)، وصححه الألباني رحمه الله في «السلسلة الصحيحة» (٤١١).

تنبيه

الزغل عند دعاة أهل السنة والجماعة كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود بالنسبة للزغل الموجود عند الجماعات والفرق والأحزاب المخالفة لأهل السنة والجماعة من حيث الكم والوصف.

فهناك زغل كبير وخطير في بقية الدعوات في الأصول وغيرها، لو أردنا بسطها؛ فإن ذلك يطول ويحتاج إلى مؤلفات ومجلدات، ولكن أشير إشارة إلى بعض زغل الدعوات المخالفة لدعوة أهل السنة والجماعة، من ذلك:

- عدم الدعوة إلى توحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، والدعوة إلى التوحيد الصافي الصحيح أساس دعوة الأنبياء والمرسلين.
- ومن زغل الجماعات المنحرفة: محاربة دعوة التوحيد والإنكار عليهم، كقولهم: تركتم شرك القصور وذهبتم إلى شرك القبور. وقول بعضهم: لا تذكروا أمراض الأمة.
- ومن زغل الجماعات كذلك: إحياء البدع وإماتة السنن، ومحاربة أهلها.
- ومن زغل الجماعات كذلك: عدم التصفيه والتربية الصحيحة.
- ومن الزغل كذلك: التنفير عن العلماء والأمراء، ثم التكفير، ثم التفجير، هذه السلسلة الثلاثية المدمرة.

وخصوصاً بالتنفير العلماء المشاهير الذين لهم قدم صدق في الأمة، كابن باز، وابن عثيمين، والألباني، والوادعي، والفوزان، والعبّاد، ومن كان قبلهم أو بعدهم وكان على طريقتهم.

- وهكذا من زغل الدعوات: الخروج على حكام المسلمين بالقول والفعل، كالتظاهرات، والاعتصامات، والثورات، فدمروا البلاد والعباد^(١).

^(١) انظر: كتابي: «الكشف الجلي في بيان أكثر من م(١٠٠) آلية مفسدة في ثورات الربيع العربي».

● ومن زغل الدعوات كذلك: الحزبية المقيمة التي مزقت الأمة وشرذمتها، وما فيها من البيعة، والسرية، والعقود، والمواثيق، والولاء والبراء الضيق، والانصهار مع جميع المبظلين، وابتکار طرق في العبادات والدعوة إلى الله مُحدَّثة مخالفة للكتاب والسنة.

● وهكذا من زغل بعض الدعوات: محاربة العلم والتقليل من شأنه، والدعوة على جهل.

ولو عدنا زغل الدعوات فإن ذلك يطول ويطول جداً، ويكتفي من القلادة ما أحاط بالعنق.

بهذا القدر أكتفي، وأسأل الله العلي الأعلى أن يكون هذا البحث هادياً للطريق الأمثل في الاتباع، وسبيلاً موصلاً إلى رضوان الله تعالى لكل من آتاه الله ديناً وعلماً وعقلاً، فهي نصيحة ﴿وَأَنَا لِكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف: ٦٨]، و﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا إِلَاصْلَاحَ مَا أَسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوْكِيدٌ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]، والرائد لا يكذب أهله، ﴿فَسَتَدْكُرُونَ مَا أَفُولُ لَكُمْ وَأَفْوِضُ أَمْرِيٍّ إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [غافر: ٤٤].

وأسأل الله تعالى باسمه الأعظم الذي إذا سُئل به أُعطي، وإذا دُعى به أجاب أن يجعل هذا العمل القليل مباركاً خالصاً لوجهه الكريم، مقرباً لمؤلفه، وقارئه، وطابعه، وناشره، من الفردوس الأعلى من الجنة، وأن ينفعني به في حيامي، وبعد مماتي، وأن ينفع به كل من انتهى إليه؛ فإنه تعالى خير مسؤول وأكرم مأمول، وهو حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

كان الانتهاء منه في غرة شهر ربيع الأول ١٤٤١هـ.

من حوار البيت العتيق بمكة المكرمة شرفها الله

فهرس المحتويات

٥	تقدير فضيلة الشيخ عبد العزيز بن يحيى البرعي حفظه الله
٧	مقدمة
الفصل الأول: ضعف الدين ورقةه عند الداعية يسبب زغلاً كثيراً في الدعوة—	
١٥	١. ضعف الإخلاص
٢٠	٢. التعالم وحب الشهرة والظهور يقسم الظهور
٢٣	٣. صراع بعض الدعاة على زعامة الدعوة ورؤاستها
٢٥	٤. تجميع الداعية الناس حوله لا حول الحق والدعوة
٢٦	٥. التحسد بين الدعاة
٦	٦. تصوير الخلافات الشخصية إلى خلافات دينية عقدية منهجية
٢٨	حتى يشرعن خلافه مع خصمه ويتصدر عليه
٢٩	٧. المسابقة في تبديع الآخرين
٣٠	٨. إخراج الأسرار بعد الخلاف
٣٣	٩. حب انحراف المشاهير من الدعوة ليتبواً مكانهم
٣٥	١٠. دفن بعض الدعاة لحسنات بعضهم
٣٧	١١. العجب والتطلع لألقاب الثناء والمدح والاغترار بها
٤١	١٢. الاغترار بالجماع والكثرة
٤٣	١٣. بعض الدعاة والمشايخ يجعل نفسه ميزان السنة، من اقترب منه اقترب من السنة، ومن ابتعد عنه ابتعد عن السنة
٤٥	١٤. احتكار الحق في أفراد في الحكم بالسنة أو البدعة
٤٧	١٥. السكوت عن الموافقين وإن أخطأوا، والقدح في المخالفين وإن أصابوا
٤٩	١٦. سكوت بعض الدعاة والعلماء عن جلسائهم المفسدين في الدعوة

- ١٧.** إعطاء بعض الدعاة والعلماء الضوء الأخضر لجلسائهم بالرد والتحذير من بعض الدعاة ويبقى العالم في صورة الصالح المصلح ----- ٥١
- ١٨.** مخالفة بعض أقوال الدعاة لأفعالهم ----- ٥٢
- ١٩.** الكيل بمكيالين، والوزن بميزانين في الحكم على الأفراد. ----- ٥٣
- ٢٠.** تتبع العثرات عند الاختلاف، والسكوت عنها عند الائتلاف ----- ٥٥
- ٢١.** عند الخلاف يصبح الرجل عالماً ويمسي جاهلاً، ويتمسي جاهلاً ويصبح عالماً. ----- ٥٨
- ٢٢.** عند الخلاف يصبح الرجل سنياً سلفياً ويمسي مبتدعاً ضالاً، ويمسي مبتدعاً ضالاً ويصبح سنياً سلفياً بغير أدلة مرضية أو قواعد علمية ----- ٦٠
- ٢٣.** الانتقام للنفس وتصفية الحسابات في وقت الفتنة بلباس الشريعة والغيرة على الدين. ----- ٦١
- ٢٤.** تسجيل مكالمات العلماء الهاتفية بغير إذنهم ونشرها بين الناس بقصد الفتنة ----- ٦٣
- ٢٥.** طرح الأسئلة التي يراد من ورائها إيقاع الفتنة بين العلماء والدعاة ----- ٦٥
- ٢٦.** طغيان الجرح والتعديل والرد على المخالفين على طلب العلم والدعوة إلى الله مخالف لمنهج السلف ----- ٦٩
- ٢٧.** إتقان بعض المسائل العلمية ثم طرحها في المجالس ليقال: عالم محرر ومدقق. ----- ٧٣
- ٢٨.** العجلة في التصدر في فتاوى النوازل، وفي الدعوة، والتأليف. ----- ٧٥
- ٢٩.** زيف بعض الدعاة بسبب الطمع وحب المال ----- ٧٦

٣٠. غياب القدوة أحياناً، خاصة في باب السلوك ومكارم	٧٩
الأخلاق	---
٣١. العنصرية في بعض الدعوة إما بالحسب أو النسب أو البلد،	٨٠
أو الغنى أو الفقر	---
٣٢. الاهتمام بالمظاهر أكثر من المخبر خلل في التربية	٨٢
٣٣. الاستدلال بأخطاء العلماء على صحة مذهبه الخاطئ	٨٤
٣٤. ضعف التحاكيم لكتاب والسنة عند الخلاف	٨٦
الفصل الثاني: ضعف العلم عند الداعية يسبب زغلًا كثيرًا في الدعوة	٩١
٣٥. قال الشوكاني رحمه الله: أنصار المتعلمين هم منشأ الشر	٩٣
والفتن في الدعوة.	---
٣٦. عدم توفر بعض شروط الدعوة في الداعية يسبب خللاً في	٩٥
الدعوة	---
٣٧. عدم الحكمة في الدعوة	٩٨
٣٨. ضعف الخبرة وال بصيرة في الدعوة إلى الله	١٠٠
٣٩. عدم التدرج في الدعوة وتقديم الأولويات	١٠٢
٤٠. عدم تفريق بعض الدعوة بين جهاد الدعوة وجihad السيف	١٠٥
٤١. عدم تفريق بعض الدعوة بين النصيحة والفضيحة	١٠٧
٤٢. تقديم العلم على الرحمة في الرد على المخالف، منهج	١١٢
مخالف لمنهج القرآن الكريم	---
٤٣. المجاوزة والمجازفة وعدم التزام الأدب وضبط النفس في	١١٤
الرد على المخالف	---
٤٤. عدم ضبط بعض المسائل العلمية الاجتهادية التي يكثر	١١٨
فيها الخلاف وبسببها تمزق الدعوة بين الفينة والأخرى	---
٤٥. الهجر بغير قواعد علمية وضوابط شرعية ومراقبة رب	١٢٠
البرية أرهق الدعوة السلفية إرهاقاً عظيماً	---

٤٦. سلسلة هجر من لم يهجر	١٢٢
٤٧. سلسلة تبديع من لم يبدع	١٢٤
٤٨. عدم ضبط وفهم متى يخرج الرجل من دائرة أهل السنة والجماعة	١٢٧
٤٩. التبديع بالمعاصي	١٢٩
٥٠. الخلاف بسبب الترحم على بعض أهل البدع	١٣٠
٥١. الخلاف في وسائل الدعوة هل هي توقيفية أم اجتهادية؟	١٣٣
٥٢. عدم الموازنة في فقه المفاسد والمصالح وفقه المآلات - ٥٣. مسابقة الصغار للكبار في التبديع والتفسيق والهجر، وغير ذلك من المسائل العظام	١٣٤
٥٤. اختلاف المتشدد مع المتوسط والمتناهيل في مسائل الجرح والتعديل في هذا العصر	١٣٧
٥٥. التمييع والذوبان مع أهل البدع والأهواء والأحزاب الضالة وعدم التميز عنهم منهج ضال، مخالف للقرآن والسنة وما عليه سلف الأمة	١٣٩
٥٦. تلميع بعض أهل البدع بحججة الوسطية والاعتدال	١٤٢
٥٧. التحذير من الساكت في الحكم على بعض الدعوة أو المتوقف فيهم للتبيّن خطأ بين	١٤٦
٥٨. إن لم تكن معي فأنت ضدّي مطلقاً بغير قواعد علمية أو ضوابط شرعية	١٤٨
٥٩. عدم ضبط وفهم أنواع الخلاف	١٥٠
٦٠. الخلاف على تشريح فلان وعدم تشريحه	١٥٢
٦١. أخذ العلم من الكتب دون المشايخ من غير المتأهل زلل	١٥٤
٦٢. كثرة الدخول على السلطان	١٥٧

- ٦٣.** غفلة بعض الدعاة عن أن الدعوة السلفية الآن تمر بمرحلة الدعوة المكية في الضعف ----- ١٥٨
- الفصل الثالث: ضعف العقل عند الداعية يسبب زاغلاً كثيراً في الدعوة----- ١٥٩**
- ٦٤.** من كان علمه أكبر من عقله ضرّ نفسه وأضرّ الآخرين - ١٦١
- ٦٥.** الشدة في موطن اللين، واللين في موطن الشدة ----- ١٦٣
- ٦٦.** خوف بعض الكبار من الصغار في إظهار الحق والقول به ١٦٥
- ٦٧.** عدم الشبت في نقل الأخبار ----- ١٦٧
- ٦٨.** عدم تغافل بعض الدعاة عن عثرات إخوانهم الدعاة
- ١٧٠.** أصحاب المنهج الواحد -----
- ٦٩.** خلط بعض الدعاة بين المداراة والمداهنة أدى إلى ترك
- المداراة ----- ١٧٤**
- ٧٠.** الغفلة عن المدسسين والمنافقين في الدعوة من جهات مختلفة ----- ١٧٨
- ٧١.** «إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ» ----- ١٨٠
- ٧٢.** من الخطأ مشابهة المماحكات الدعوية للمماحكات السياسية أحياناً ----- ١٨٣
- ٧٣.** بعض الدعاة يشعل الفتنة ويوجه بإشعالها، ثم يوجه بلسان
- مقاله لا حاله الطلاب بالإقبال على العلم وترك الفتنة - ١٨٤
- ٧٤.** إن وسائل التواصل الاجتماعي في باب الفتنة دمرت وما
- عمّرت، وأوصلت خلاف الدعوة إلى جميع القرارات-- ١٨٥
- ٧٥.** الزارعون والحاصدون، فالزارعون للخير هم الدعاة
- الصادقون، وبعض الحاصدين لبعض هذا الخير هم
- العابثون في الدعوة ----- ١٨٧
- ٧٦.** تهميش من له سابقة في الدعوة وقد صدق فيها. --- ١٨٨

٧٧. الاعتداد بالرأي وعدم مشاورة أهل المشورة في المسائل التي تحتاج إلى مشورة	١٩٠
٧٨. قلة الزيارات والتفقد لأحوال الإخوة والدعاة	١٩٣
٧٩. إظهار خلاف الأمر السائد المشهور بين الناس ومخالفته عوائدهم في الأمور التي فيها سعة	١٩٦
٨٠. الغلو في المدح والجفاء فيه	١٩٧
٨١. الغلو في بعض العلماء	٢٠١
٨٢. الدخول في السياسة	٢٠٤
٨٣. دخول الدعاة وإدخال الأتباع معهم في كل فتنة دعوية	٢٠٧
٨٤. من الأخطاء الشائعة أنك لن تكون سلفياً على العادة إلا إذا بینت موقفك من آخر المستجدات والأحداث الخفية في الدعوة السلفية	٢١٠
٨٥. خلاف بعض الدعاة في مسألة تعين المخالف من عدمه	٢١١
٨٦. تغليب جانب العلم على الأدب والتربيـة	٢١٥
٨٧. إسقاط رموز الدعاة في العالم لأنفه الأسباب	٢١٨
٨٨. الذي في قلبي على لساني (صفة الداعية الأحمق)	٢٢٥
٨٩. عدم تحرز بعض الدعاة من مواطن الريبة	٢٢٧
٢٣١	تنبيه
٢٣٣	فهرس المحتويات



جَمِيعَةُ الْأَرْوَاحُ الْعَلَمِيَّةُ

WWW.SALAFILESSONS.COM



مشروع طباعة المكتبة السلفية

دولة الكويت

